# كأس فودكا

**دار دريم بن للطباعة والنشر**

**العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١**

**هاتف :** 01003288596

**بريد إلكتروني :** Dream.pen92@gmail.com

---

# كأس فودكا

---

**Bakr Al Bengawy**

**الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢٠م**

**غلاف: عمار جمال العبد**

**التصميم الفني: الديوان للتصميم وخدمات النشر**

**رقم الإيداع : 26116 / 2019**

**I.S.B.N: 978-977-85623-9-2**

---

**جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار**

# كأس فودكا

رواية

Bakr Al Bengawy

DREAM PEN
FOR TRANSLATION & PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

## اهداء..

لهـذا العظيـم الذي تمنيت ان اراه يوما في منامي و اُقْبَض بعدها
- إلى ان يمنّ الله عليّ برؤيته في الدار الاخرة -..

اهداء إلى سيدي رسول الله..

«من رشف اول رشفه من كاس العلم ربما قاده هذا الالحاد ، لكن تاكد ان الايمان بالله ينتظره في قعر هذا الكاس»

فيرنر هايزنبيرغ

# الفصل الأول

ا فكـرت يومـا ان يكون عدوك على علم بكل كبيرة و صغيرة عنـك.. ماذا لو كنت تحسـب عدوك اقرب صديق لك بل انك تسـارع لتخبره ما يجوب في اعماقك فتنسي ما حكيت و يتذكر هو لتكون هناك نسـخة واحدة فقط من المعلومات بحوزته.. اخبرني شعورك اذا مـا نصحـك احدهـم ان تقامر بـكل ما تملـك على حصان مـا و بعد ان خسـرت ، وجدته ينظر لك بشـماته و يخبرك بعلمه بالمنتصر من البداية..

دعنـا نطـرح سـؤالا اخر.. ما اول ما سـتفكر فيـه اذا اخبروك ان هناك مبارة شـطرنج اسـتمرت ثلاثين عاما.. حتما سـتجزم انها تدور بيـن ماغنـوس[1] و كاسـباروف[2] و انهمـا بقيـا يتبـادلان الحركات قرابة الثلاثة عقود.. لكنك ستسـقط من هول الصدمة حينما تعلم ان المباراة قد انتهت في ثلاث حركات فقط لاحد اللاعبين.. ستخبرني لم كل هذا الوقت من المؤكد ان احدهم لم يكن في يومه و انه قد اطال التفكير بشده فاعود و اخبرك ان المنتصر هو من كان يتاخر في اللعب حتى ظن من امامه انه ما زال هاو في مدرسة الشطرنج..

---

(١) ولد ١٩٩٠ و هو لاعب شـطرنج نرويجي و هو اسـتاذ كبير في لعبة الشطرنج و بطل العالـم علـى التواليعامـي ٢٠١٣ ، ٢٠١٤ و كذلك عامـي ٢٠١٨، ٢٠١٦.. ثاني اصغر بطل بتاريخ البطولة و صاحب اعلي تصنيف في التاريخ ٢٨٨٢..

(٢) ولد ١٩٦٣ بدينة باكو باذربيجان تحت اسم غاريك كيموفيتش اينشتاين ثم غيرته امه بعد وفاة والده إلى لقبها العائلي كاسـباروف.. يعتبره بعض الخبراء اعظم لاعب في التاريخ و يعد من عباقرة هذا العالم بنسبة ذكاء تبلغ ١٩٠..

اذا لم تصب بالجنون فاعلم ان ما ستقرا سيصيبك حتما بالجنون..

.....

عصفت براسه اسئلة عدة اين هو الان ؟! وفي اي زمن ؟! و كيف وصل لما وصل اليه ؟! كيف سيعيش ؟! هل سيعود ام ستقبره غياهب الزمن؟! كيف سيتعامل مع من يجده كيف يتحدث و يتواصل ؟! ! منحة هي ان يري عوالم جديدة ام نقمة هي تلك التي القته في غياهب الزمن و قبلها غياهب عقله وهو بصدد تلك الأسئلة تفحص عيناه ارجاء المكان.. خضرة ممتدة لمرمي البصر لكنها حشائش قصيرة للغاية اعلاها لا يتجاوز الركبة مما يوحي بانها زرعت خصيصا لأمر ما ، شمس في اوج تألقها قد همس شروقها في اذنه بموضع الشروق والغروب و تكفل نجم الشمال القطبي الذي اطلق عليه بعضهم نجم الجدي بهدايته تجاه الشمال و بالتالي الجنوب.. ها هو قد حصل على بوصلة ربانية.. اضافت له معلوماته انه غالبا ما يقبع في نصف الكرة الشمالي لان نصف الكرة الجنوبي قد حرموا من رؤية النجم القطبي.. نسيم إلى حد ما هادئ ، تضاريس متباينة الارتفاع فهو يقف على ارض منبسطة و تمتد عيناه لتجد ان الارض ترتفع تدريجيا حتى تكون هضبة من جهة الشرق قد لاح عليها هنالك اسوار شاهقة اما من جهة الغرب و الشمال فقد تكفلت بها الجبال اما من جهة الجنوب الشرق فهناك بحر عجزت عينا بطلنا ان تأتي بنهايته..

ا هناك حياة ام تلك ارض لم تطأها اقدام بشر من الاساس رجح عقله في البداية الاحتمال الثاني ربما لأنها لم تلطخ بالتلوث بعد و لكن عقله سرعان ما اعاد الخيار الاول فربما هناك حياة لكنها لم ترتق بعد لإفساد الاض.. ثم ان كانت هناك حياة فمن يمثلها ا بشر ام قد يكون هناك نوعا اخرا غير البشر من الكائنات العاقلة التي طالما قرا عنها في قصص الخيال العلمي التي عادة ما تكون محتلة

مغتصبة ليست ضيفة[1] بل مستبدة مقيمة الاغرب ان تلك القصص طالما انباته انها ربما من صنع الانسان عن طريق الهندسة الجينية التي هدف الانسان إلى تزاوج مخلوقات ما بغرض ايجاد مخلوقات جديدة اكثر فائدة للبشرية فصارت كائنات خارجه عن السيطرة او ربما..

هو قائد فضائي له من الحضارة و الثقافة و التقدم ما يسول لنفسه ان ينشرها في اماكن اخري ثم ينقلب فجلة و تأتي السادية لتتربع على عرش عقله معلنه غزو كوكب ضعيف و ربما من وجهة نظره «كويكب متخلف».. نعم ربما هناك بشر لكن هناك ربما كائنات اخري اكثر تطورا هي من تدير هذا العالم.. لقد قرا كثيرا عن الاطباق الطائرة.. لكن تلك المرة لم تكن روايات بل كانت حقائق وثقها التاريخ حتى لا يصيح احد المتحذلقين في يوم ما و يقول هذا هراء.. نعم لقد قرا في كتاب ما انها ظهرت لأول مرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في منتصف القرن العشرين و ازيدك من الشعر بيتا فقد تعدد ليس ظهورها فقط بل ومناوراتها مع الطائرات المدنية و الحربية.. لقد قرا ذات مرة انه تم تعقب احدهم في فرنسا عام الف و تسعمائة و تسعة و سبعين واخيرا تم تصوير احدها في الولايات المتحدة الامريكية عام الف تسعمائة و ثلاثة و ثمانين لكن سرعان ما عقله تذكر انه قرا انه لم يجزم احد بوجود كائنات عاقلة داخلها.. اذن من المتحكم بها ام انها تدار عن بعد.. لم يكونون قد اتوا اليه لم لا يكون قد ذهب هو اليهم.. نعم هي هي نفس الكائنات الفضائية لكن ماذا لو كان هذا العالم عالمهم..

ماذا لو..

كانت القردة قد فرضت سيطرتها على هذا العالم.. مهلا مهلا

(١) المؤنث ضيف و ضيفة..

ماذا لو كان هذا العالم احد الابعاد الموازية هل هذا سيقوده للقاء نفسه و ابيه و امه و كل من يعرفهم.. او ربما.. ربما كان هذا العالم عالمه نفسه و ما هو الا ماضي له يعلم عنه كل شيء.. او ربما مستقبل يجهل عنه كل شيء او حاضر بعيد عنه قصرت معلوماته عن الإحاطة به.. و هنا جال بخاطره ما قاله [1] ستيفن هوكينغ في كتابه **brief of history** حينما قال ماذا لو اصبحنا نعلم ما سيحدث ا سيصبح مستقبلنا ماضينا او جهلنا ما حدث ا سيصبح ماضينا مستقبلنا..

ماذا لو كان في حاضره الخاص لكنه قد اصيب بفقدان الذاكرة ا تلك نعمة ان يكون كالطفل الرضيع يحب الجميع , يدخل مدرسة الحياة و قلبه خالي من اي بغض بعد ان كان في زمانه كالمسنّ الذي خرج منها في سن صغيرة لا يدري إلى اي منفي ينتمي ام تكون نقمة عليه لأنه فقد كينونته , فقد هويته , شيء ما غادره ربما كانت ذكرياته..

وقد تكون.. تضاربت الافكار في عقله يرفض المنطق نجدته و الوقوف لجواره و يبتسم عقله الباطني خفية.. لن يتيقن من شيء وهو يدير بصره فيما حوله ستظل الافكار تنهش في عقله كما تنهش الضباع في غزال تائه عن جماعته.. اذن عليه التحرك نحو تلك الاسوار الشامخة الموجودة جهة الشرق لعله يجد فيها اجابات تشفي صدره المضرم بالنيران لعله.. و لعله..

---

(١) ولد ١٩٤٢ و توفي ٢٠١٨.. هو من ابرز علماء الفيزياء النظرية و علم الكون على مستوي العالم درس في جامعة اكسفورد و حصل منها على درجة الشرف في الفيزياء اكمل دراسته في جامعة كامبريدج للحصول على الدكتوراة في علم الكون له ابحاث في العلاقة بين الثقوب السوداء و الديناميكا الحرارية و التسلسل الزمني.. اصيب بمرض يسمي "التصلب الجانبي الضموري" ALS.. الف عدة كتب اهمها "تاريخ موجز للزمن" و "الثقوب السوداء و الاكوان الناشئة" و "الكون في قشرة جوزة"

مهـلا يـا صديقـي فانت لـم تحط خبرا بمـا حـدث و ادي إلى ذلك فـإن كان ذلك المنتصف او قبله بقليل فكيف بالبداية.. ان لم يكن لديـك بسـاط سـحري فيكفي ان تعزل نفسـك عن العالـم الخارجي تدخل غرفتك و تغلقها من الداخل بعد ان تعلق عليها من الخارج عبارة " ممنوع الدخول "

و تتبعنـي فـي تلـك الرحلة بعـد ان تتـزود بالصبر و الشـغف.. فما سـتقرأه حتما سـيجري رجفة في اوصالك.. لا تنس ان تصطحب معك قـدرا كبيرا مـن الاطعمة تغلق هاتفك وتقنع عقلـك ان القادم حقيقة لكنهـا حقيقـة مرة.. لطالما صرفها عقلك عنك ربما لأنه لم يحلم بها حتى في ابشـع كوابيسـه و ربما درءا لما يسـميه البعـض بالتفكير المفـرط over thinking و ربمـا لأنهـا لـم تصـر بعـد واقعا ملموسـا وعقلـك تمثل بأينشـتاين و هو يقول انـا لا اتعامل الا مع المادية البحتة و ما دمت لا اراك اذن انت غير موجود لكن ماذا لو صار واقعا , هذا هو السؤال.. و الاجابة ستكون اما

ان يهـرب عقلـك كالعادة متعللا باللامنطقية او يواجه الامر على غير عادته..

صديقنا اسـموه باسل ليتذكر الشـجاعة و يجعلها منهاجا له كلما سـئل عن اسـمه لكنهم لم يدروا ابدا ان الشجاعة هي من ستجيب بدلا منه لتكتب في التاريخ بابا كاملا باسـمه.. ولد باسـل لعائلة متوسـطة الحال اب يمتهن مهنة الصحافة فيجيد التفرقة بين الاخبار الصحيحة و الأخـرى الكاذبة بين الاخبار التي تجذب لبّ القارئ و بين الاخبار التي تنفـره حتـى لو كانـت على قدر كبير مـن الاهمية.. يجيـد ايضا طرح افـكاره بطـرق مشـوقة.. امه كانت مـن ربات المنـازل اللاتي امضين عمرهـن كله في الحفاظ على العائلة و تربية الاطفال تربية قويمة.. قد لا تكـون تمتلك من العلـم ما يؤهلها للحديث في جلسـه علميه لكنها

تمتلك من الخبرات و التجارب ما يجعل اعظم علماء العالم يطرق براسه سارحا في كل حرف تحدثت به في احدي جلساتها و هي لا تلقي بالا لما تقول.. صديقنا من هواة العلوم منذ نعومة اظافره.. لم تكن بدايته بداية طفل عادية بل كانت بداية نابغة.. كعادة النوابغ يلفت انتباههم اشياء لا تذكر.. يميلون للصمت اكثر من الحديث.. يشغل التأمل معظم وقتهم.. يعشقون تفسير الظواهر حتى لو كانت جلية واضحة.. يميلون للوحدة اكثر من التجمع.. قد تجد منهم الفاشل دراسيا و قد تجد فيهم من تجاوز عقله عمره بملايين بارسيكية[1].. لمسوا من حوله فيه ذكاء المعيا ظهر من قدرته على حل مسائل رياضية تتخطي عمره بكثير.. نالت الفيزياء فيه نصيبا فاستطاع ان يعي الكثير من الكتب في سن صغيرة للغاية لم تتجاوز العشر سنوات فمع بزوغ عقده الأول في هذا العالم كان قد احاط علما بقدر من المراجع فشل انصاف المثقفين من الاحاطة بما بها من علم و ربما باسم كتّابها اما العلماء المتخصصون فوقفوا عجزة امام بعض مصطلحاتها و معادلاتها.. نعم قد تظن ان ما تقرأه عيناك ضربا من ضروب الخيال لكن لا تنس اتفاقنا من البداية فالقادم سيحمل الكثير و الكثير من المفاجآت الجديدة التي سيرفضها عقلك اكثر من رفض جهاز مناعي للتر دم كام غير فصيلته.. ففي سن التاسعة كان قد قرا كتب **principles of physics , physics essentials for dummies**..

لك ان تتخيل عزيزي القارئ انه قد بلغ سن الثانية عشر و قد قرا كتب **physics of the future , the hidden reality**..

---

(١) وحدة مسافة يستعملها الفلكيون لقياس المسافات الكبيرة للاجرام الفلكية.. و قد اقترحت لاول مرة عام ١٩١٣ من قبل عالم الفلك البريطاني هربرت هال تيرنر.. اختصارها **Mpc** و هي تساوي ٣,٢٦١ مليون سنة ضوئية و تستخدم لقياس المسافة الهائلة بين المجرات

ليصل لسن العشرين ليكون ويكيبيديا متحركة على الاض ليتم كتب the , brief of history , physics of the impossible ..elegant universe

قد يظن البعض انه كان استاذا موسوعيا في الفيزياء فقط لكن الحقيقة المدهشة انه نال من علوم اخري كالكيمياء مالم ينله العظماء فقرا اساسيات الكيمياء و طرق الفصل و طرق التحليل الكهربي.. قرا كثيرا عن الكيمياء العضوية و الكيمياء الفيزيائية.. تطرق لعلم الميتا فيزيقيا[1] او كما يطلق عليه بعضهم علم البارا سيكولوجي فقرا لمارتن هايدغر[2] كتابه الشهير « مدخل إلى الميتافيزيقيا «.. و لكي يلمّ الماما كاملا بالعلم مر مرور الكرام على المعارضين لذاك العلم امثال كانط و ديفيد هيوم و غيرهم ممن قادوا ثورة الهجوم على ذاك العلم.. قرا ايضا كتب عن نظرية التطور لمؤلفها تشارلز داروين[3].. ليس هذا فقط بل انه كان

(١) هو فرع من الفلسفة يدرس جوهر الاشياء و يشمل شلك اسئلة الوجود و الكينونة و الصيرورة و الواقع.. تشير كلمة الطبيعة هنا إلى طبيعة الاشياء مثل سببها و الغرض منها.. و تشمل المواضيع التي تبحث ما وراء الطبيعة فيها كلا من الوجود و الاشياء و خواصها و المكان و الزمان و السبب و النتيجة و الاحتمالية..

(٢) ولد عام ١٨٨٩ و توفي ١٩٧٦ هو فيلسوف الماني و لد جنوب المانيا درس جامعة فرايبورغ تحت اشراف ادموند هوسرل مؤسس علم الظاهريات ثم اصبح استاذا فيها عام ١٩٢٨ وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود و التقنية و الحرية من ابرز مؤلفاته "دروب موصدة" "مدخل للميتافيزيقيا" و "نيتشه"..

(٣) ولد ١٨٠٩ و توفي ١٨٨٢ عالم تاريخ طبيعي و جيولوجي بريطاني انجليزي.. الف كتاب عن نظرية التطور اسماه اصل الانواع.. كان يري ان كل الكائنات الحية على مر الزمان تنحدر من اسلاف مشتركة و ان هذه الانماط المتفرعة ناتجة لعملية الانتخاب الطبيعي.. لم يظهرها في البداية خوفا من ردة الفعل و الانتقادات التي تنظره فاخذ يجهز ردودا لتلك الانتقادات حتى عام ١٨٥٨ حينما علم بان الفريد رسل ووليس يعمل على نظرية مشابهه فاضطر لان يظهرها على الساحة..

يمارس العديد من الرياضات كالكراتيه و الكونغ فو و الجري ايمانا منه بان العقل السليم في الجسم السليم..

كل ما سبق جعله على دراية كاملة بعلوم ممكنة المنال صعبة الفهم و الخيال مستحيلة التطبيق - على الاقل بامكانيات من في عمره - بل و جسد رياضي ممشوق.. كان ينصرف بطلنا عن دروسه الخاصة و ينهم من تلك العلوم ربما لأنه لم يجد في دروسه الخاصة مبتغاه لم يجد فيها ما يطعم ذاك الوحش الجائع المتطلع للعلوم التي تصنع عقولا يشار اليها بالبنان.. لم يجد سوي قشور من اشياء بعينها و ليس حتى كل شيء , لم يجد الا تاريخ مشوه انصفت فيه بعض الشخصيات و نسف في عينيه و عيني غيره الكثير من العظماء.. كانت دائما ما تراوده عباره لا يكتب التاريخ الا المنتصرون لذك يكتبوه على هواهم و لا يراعون ابدا الحق في النقل لذلك كان واجبا عليه و على من ينشد المعرفة الحقيقية «البحث».. فربما طارق بن زياد لم يحرق السفن بما يورث للأجيال الجديدة ان المسلمين كانوا مجبرين على الحرب و ليس ان اجدادهم كانوا رجالا لا يخشون الا الله و ربما كولومبس لم يكتشف الأميركتين بل كان سارقا لإنجازات غيره و ربما بربروسا لم يكن ذاك القبطان السادي الذي شوهته السنيما الهوليودية بعشقه للدماء بل كان بحارا عظيما لا يشق له غبار ربما العثمانيون لم يكونوا ابدا اولئك الماجنين الذين لا يهمهم الا الرقص و العزف بل كانوا فاتحين ينحني لهم التاريخ ربما كان على و معاوية - رضي الله عنهما و ارضاهما - كلاهما على حق و لم يكن بنية رجل كتب الوحي ان يشطر الدولة الاسلامية طمعا في سلطة ربما لم يكن يزيد بن معاوية سكيرا بل كان فاتحا قانتا لله ربما هتلر كان يدافع عن قضية وربما الولايات المتحدة ام الحرية مجرمة في حق الشعوب ربما كان قاسم امين مدافعا عن حجاب المرأة اكثر من الشيخ محمد عبده وشيخه جمال الدين

الافغاني ربما لم يكن اهل الصعيد محلا للنكات فقط بل كانوا فاتحين للدول بعلمهم امثال العظيم على الجرجاوي[1] الذي استطاع بعلمه ان يفتح اليابان ربما لم تستطع اسرائيل ان تحتل فلسطين إلى الان و نكتشف في النهاية انها احتلت الدول العربية فقط لكن فلسطين ما زالت حرة ابية و ستظل..

كان من القصص التاريخية التي قراها و اعجب بها للغاية وهام بها وحدث والده ووالدته كثيرا عنها ذاك الملك الذي حارب حربا شعواء ليكتشف في النهاية انه كان يحارب جزءا منه..

عقله تطلع للمزيد من المعلومات في شتي العلوم فاتجه للمكتبة جعلها محرابه الخاص.. كان متيقنا ان الكتب و ما في من علم هي سيفه و درعه و يكفيه ان تكون سبيله الوحيد للخلاص من ذاك الجهل المطبق عليه بفكيه من جميع الجوانب.. لن تنهض بلده الا بجيل يفكر خارج الصندوق , جيل يخرج منه جابر بن حيان و ابن الهيثم و ابو بكر الرازي و البيروني و ابن بطوطه.. عرف الكثير وتعلم الاكثر.. كان كلما غاص في بحر العلم ايقن انه ما زال المزيد ليبحث و يفتش عنه .. نعم هو بحر و قد يكون محيط يغرق فيه و تنتهي فيه حياته لكن ان كان الغرق في مثل هذا البحر فهو اولي بالغرق من غيره و لم يغرق او يسمّي هذا من الاساس غرقا فلا احد يصف السمكة بالغارقة انما تغرق السمكة في الهواء.. الغرق

(١) عقد الامبراطور الياباني اجتماعا بعد انتصارهم على روسيا في سبتمبر ١٩٠٥يجتمع فيه ممثلا عن كل ديانة من اجل اختيار افضلها و اصلحها حتى يصبح الدين الرسمي لامبراطورية عام ١٩٠٦..باع وقتها خمسة افدنة من ارضه لينفق منها على رحلته..غالبية من حضروا المؤتمر وجدوا في انفسهم ميلا للاسلام الذي احسن علماؤه بيان ما فيه من قواعد و مبادئ يتفق معها العقل و المنطق لكن الامبراطور الياباني خاف على عرشه حينها..

الحقيقي هو ان توضع في غير مكانك.. و ما دام العلم هو مكانك الخاص و انت تجيد السباحة فأهلا بغواص جديد سيضيف له العلم اضعاف اضعاف ما سيضيفه هو للعلم..

لم يبلغ من العمر سبعة عشر سنة إلا و كان قد احاط بقدر ليس باليسير من المعارف.. الغريب انه كان دائما ما يري ان ما تعلمه لا يبلغ حبة رمل في صحراء كبري , قطرة في محيط , زهرة في بستان.. انقسم من حوله فمنهم من نظر له بنظره تقدير و اعجاب و منهم من نظر له بدهشه كيف لعقل مثل هذا و في سن كهذا ان يحصي هذا القدر من العلوم و البعض نظر له بحسد متمنيا ان يكون مثله لكنه بآمال فاترة و عزيمة خائرة لا تجدي نفعا.. لكن كان هناك نوعا رابع يتوارى خلف ستائر مسرح الحياة لكنه يتواجد في الصفوف الاولي مع الجمهور رغم عدم وجود ما يربطك به , نوع يصفق و يتمني لك المزيد من التقدم يتمني ان يربّت على كتفك و يحدثك قائلا استمر القادم افضل انا اؤمن بك , نوع يراك انجازه الاعظم في حياته , لا تكتمل صلاته الا بالدعاء لك , تمر بجواره فيصرف نظره بعيدا عنك و قلبه معلق بك في كل خطوة تخطوها.. تعددت مرات ذهابه للمكتبة و الساعات التي يقضيها هناك مما اثار اعجاب وربما سخرية البعض لكنهم جميعا كانوا يتفقدونه عندما يغيب ليوم او ليومين او ينصرف مبكرا على غير العادة.. كانت تنهال عليه نظرات الفتيات اعجابا لكن لم يعبا ابدا بهن.. يتذكر تلك الفتاة التي كانت لا تفارقه نظراتها و ابتسامتها الرقيقة التي تزين ثغرها كلما التفت اليها.. بدا يشعر هو الاخر بخفقان قلبه تجاهها.. يبدو ان ذاك المسلسل الذي يطلق عليه العاشقون اسم «الحب» على وشك البدا..

نعم لطالما نعت أولئك الحاملين قلوبهم على ايديهم بالحمقى.. كانت مخيلته قد كونت فكره -نوعا ما- عنهم بانهم فاقدون

السيطرة على النفس..أو ربما لديهم فراغ عاطفي يجعلهم ينهارون أمام الابتسامات الزائفة او ربما تكون حقيقية لكنها مؤقتة تنتهي بانتهاء الموقف.. لكن يبدو انه صار احد الحمقي..

في ذاك الوقت، كان قد انتشر ارتباط الشباب بالموضة اكثر من الفتيات .. القمصان ذات الالوان الزاهية و البناطيل التي ظهرت اليافها عند الركبة فلا تدري ا نال الزمان منها مناله ام القت الموضة الجديدة بظلالها عليها , قصات الشعر المختلفة حتى انك لتحار فيمن يسيرون في الشوارع ا شباب ام فتيات ام نوع جديد غزا كوكبنا ، فهابهم ان يروا احد الفتيان في سن صغيرة له جسد رياضي ممشوق - و هو ما يجعله قريب للغاية وعلي صلة بالسوشيال ميديا - قد ارتدي قميص اسود اللون في معظم ايامه خطا الابيض فيه خطين و بنطال ابيض واسع قد اتخذ عدة الوان من كثرة ارتدائه و حذاء قد لوّح مستنجدا بان عمره الافتراضي قد انقضي من زمن و حان وقت التغيير..

يذهب كل يوم للمكتبة في تمام الساعة الرابعة عصرا و لا ينصرف منها الا في تمام الحادية عشر ليلا بعد ان ياتيها ذلك العامل المدعو «صبري» و يامر الشباب بالانصراف قسرا.. يرجع بيته بعد ان دون في اوراقه علما يفوق العلم الذي يكمن في راس احدهم و تولت اوراقه نيابة عنه تسجيل ذلك العلم في عقله..

يلتهم الصفحات التهاما و كانه يسابق الزمن في ماراثون ليس مئة متر ولا حتى الف متر بل ماراثون حياتي ماراثون يمتد لطول حياته و ما اصعبه من سباق.. يخشي ان ينتهي ذاك السباق الوهمي قبل ان يكون نال من العلم - على الاقل - ما يجعله احد الذين انحني لهم التاريخ و رفع لهم القبعة..

فينهي هذا الكتاب في اسبوع و هذا في اسبوعين.. ينهي هذا المجلد الذي عكف عليه العلماء ما يزيد عن ربع وربما نصف عمرهم

فينهيه في شهر او اكثر بقليل بعد ان اقتنص منه ما يريد..

اسـرار بطلنا بدأت و هو في السادسـة و كان القدر اراد ان يحيط شخصيته مبكرا بالغموض.. فبمثل هذه السن لن تجد اهتمام الاطفال الا و قـد كان منصبـا على الكارتون , علـى الاحرف و الارقام , على القصص التي يتناولها الوالدان بقدر من البسـاطة قبيل لحظات النوم ليدخلا طفلهما في عالم جميل من الاحلام.. قد تجد الطفل قد احاط عقلـه بشـخصيات كبطوط و ميكي و ميمي و وزيـزي و عم دهب و وبنـدق و الكلـب بلوتو و سـلاحف النينجـا قد احتلت جـزءا من قلبه فتجده يتذكر مايكل انجلو فيبتسـم فيتبعه دوناتيلو فتجده يتحدث عـن الاختراعات ثـم يأتـي دور ليوناردو فيكتسـي وجهـه بالصرامة واخيرا رافاييل فيحدثك عن القوة المفرطة ولا ننسـي معلمهم سبلنتر او كمـا اطلقت عليه النسـخة العربية رشـدان ربمـا يتذكر بن تن و يشـتري سـاعة شـبيهه له او يتذكـر جودزيلا ذلك الوحـش الخرافي المنقـذ ربما تدور مخيلته فيأتي بالبـاور رينجرز.. لكن ان تجد طفل يحدثـك عن اينشـتاين و سـتيفن هوكينـغ و داروين و جابـر بن حيان وغيرهم.. ان تجد طفلا قد تجاوز العاشـرة قد اتي بكتب قد كتبت بلغه انجليزية و فرنسـية و اتجه لترجمتها للاستفادة منها فهذا محض خيالي بحت..

استطاع في سنّه الصغير ان يصنع مختبرا بسيطا يتكون من عدة ادوات كيميائيـة بسـيطة للغاية كالجفنة و حامـل الانابيب و انابيب اختبار و موقد نار و دورق مخروطي و سـحاحة و مجهر و قمع و بعض المـواد الكيميائيـة و مجموعة من المسـاحيق و بضع سـوائل اعتقد انها ربما تلزمه في يوم من الايام.. قد يكون المختبر صغيرا و بسيطا لحـد كبير لكن بعلمه هو مـن اكبر المختبرات.. اسـتطاع تصنيع بعض العقاقير البسـيطة التي كان بمجرد ان يتناولها الناس يتماثلون

للشفاء..فبدات الانظار تتجه إلى ذاك الفذّ الصغير.. و ربما...

حسنا دعونا نتبع الاحداث رويدا رويدا دون ان نستبقها.. حتى لا نفقد لذتها..

بدا صديقنا العمل في شهر يوليو يوم الثامن و العشرين و ربما هذا اليوم لا يمثل نقلة له فقط بل نقله للعلم البشري فكم من العلماء حينما بدأوا في تجاربهم لم يكن ليعلمون انهم سيغيرون من مجري التاريخ و انه سيخلد ذكراهم كابسط تكريم لهم.. ربما تتغير حياته فقط مجري و ربما يتغير مجري التاريخ على يده..

ما ذكرنا سابقا جعل صديقنا يبحث عن علاج لمرض و هو مرض نادر الحدوث قلما يصيب البعض ، يصيب القلوب فيؤدي لشيخوختها المبكرة تتمني فعل الكثير لكنك تخشي اجهاد قلبك و ربما وفاتك تصاب بارتفاع في نبضات القلب و اضطرب خواطر فجاة فلا تدري ماذا ستفعل او حتى ماذا تريد ان تفعل و اغلب الظن انك تصاب بجمود شبه كامل ..

بدا في تحضير هذا المشروب حينما لمس من أصدقائه و المحيطين به سقمهم بهذا المرض و عدم توفر علاج ذاك المرض الخبيث.. بل انه قد قرا غير مرة عن اكثر من عالم قد تحدث بشان هذا المرض..

الشئ المريب انه قرا كثيرا عن هذا المرض لكنه لاحظ ان الذين حاولوا البحث عن علاج له قد اطلقوا عليه اسماء مختلفة كالميرم و الاراي و غيرهم من الاسماء التي لا تستند لدليل لتسميتها بذاك الشكل لكنهم في الاخير اتفقوا على صفاته التي ذكرناها آنفا.. اصيبوا جميعا في النهاية بالاحباط فمنهم من شق عليه طريق البحث فحبذ الاستسلام و منهم من استمر حتى اجهده قلبه و لقي حتفه و منهم من نجح و شفي لكن لم يعثر احدا على علاجه الناجح

و لم يذكره التاريخ من قريب او بعيد سوي انه لقي حتفه بعد ان شفي من هذا البلاء و ربما هي لعنة المرض و وجد التاريخ عقول انصاف المثقفين ليصدقوا هذا الكلام و ينشروه مستشهدين بلعنة الفراعنة مثلا..

لكن صديقنا كان موقنا من نجاحه.. شيء ما من اعماقه كان يخبره انه يختلف كثيرا.. ان الامور ليست كما تبدو هناك حلقة مفقودة دائما و عليه البحث و ايجاد تلك الحلقة..

بدا صديقنا في البحث و العمل دون كلل أو ملل فبدا يقرا عن الاشخاص المصابين بذاك الداء على مر التاريخ و ما آلوا اليه في النهاية وكيف كانوا يتعاملون معه ثم بدا يدرسه على ارض الواقع من اصحابه و اقاربه.. يدرس نقاط ضعف هذا المرض و نقاط قوته و يدرس التراكيب الكيمائية و يضيف هذا على هذا و يزيد من تركيز هذا و يخفض قدر هذا.. يفشل تارة و تلوح بوادر النجاح تارة اخري.. انه يقترب و بشدة.. لكن ما اداه بان النجاح سيكون حليف رحلته ما الذي يمنع ان يصل لنهاية الطريق فيجدها مسدودة و مكتوب عليها « عذرا.. عد مرة

اخري «.. و هنا نبض قلبه حتى كاد ان يقفز خارج صدره ا من الممكن بعد كل هذا العناء ان يصل للاشئ و هنا ظهر امامه طريقان اما الاستمرار فعلي المرء السعي و على الله ادراك النجاح او كما قال شمس التبريزي على المرء السعي و ان لم يصل فالسعي في حد ذاته وصول و الطريق الثاني انق يتخلي عن طريقه و يعود لمحرابه المكتبي يقرا و يقرا فقط..

ممزق هو الان بين اكمال الطريق او العودة من حيث اتي.. في هذا الوقت ارتفع اذان الفجر الله اكبر فترك تجاربه و قام فتوضا و فتح غرفته فاذا بوالده قائلا :

- يلا نصلي الفجر وسيبها لله..

صليا الفجر و هما عائدان للمنزل اذا بالاب هامسا في اذن باسل :

- الايام دي انت بتعمل ايه حاسس انك مختفي بتقعد في اوضتك كتير مش بتطلع منها..

- والله يا بابا قريت حاجة معينة في كذا مكان بحاول افهمها اكتر يمكن الاقي ليها

حل..

- واضح انك مش عايز تقول.. طيب يا ولدي عشان تحل أي مشكلة لازم تتاكد انها موجودة اصلا..

- مش فاهمك يا بابا هو انا ممكن احل مشكلة مش موجودة اصلا ازاي..

ضحك الوالد واستطرد ببسمة حانية

- احيانا يا بني بنختلق مشاكل ونحلها فنفرح ونحس اننا كده انتصرنا في حياتنا في حين ان دماغنا بتودينا لحتة تانية خالص علشان تعمل اللي هي عايزاه في الحتة اللي احنا منعرفهاش و اللي لو عرفناها هنرفضها تبقي انت فرحان بانك حليت المشكلة و الحقيقة انه اتغرر بيك شفت بقي مين اذكي..

- مش فاهم حاجة ممكن توضح..

- هتفهم بس يا رب يبقي في الوقت المناسب تصبح على خير..

لم يزد والده كلمة واحدة عن ذلك و ربّت على كتف ابنه و خلد لنوم عميق متمنيا ان يكون قد استطاع ان يضع ذاك الشريد التائه على اول الطريق الصحيح لكن هيهات..

تمر السنة تلو السنة يزداد نضوجه الفكري و العلمي و النفسي.. تزداد معلوماته و خبراته و ايضا يقينه بنجاحه ها هي بوادر النجاح

تلـوح فـي الافق و بوادر اليـاس تختفي تدريجيا بعد ان سـيطرت عليه قرابه العقد من الزمان كشمس مدينة كيرونا التي تغرب بعد اكثر من خمسين يوما !(١)

يصـل لمرحلة الثانويـة العامة و هي في بلاده كعنـق الزجاجة اما تكون او لا تكون.. فهناك شرذمة اختصوا بعض الكليات و اطلقوا عليها كليات القمة و في هذا هدم للعقول المفكرة المبدعة.. لكن كيـف سـيعقلون هـذا ان كانوا هم بـلا عقول من الاسـاس.. اجتهد حتـى نـال الدرجات التي تمكنه من الالتحـاق بكلية الطب و غيرها لكنه راي ان كلية العلوم هي حلمه الازلي الذي يجب عليه تحقيقه.. لـن يلتفت لمحاولاتهم المتتالية لدفعـه لدخول كلية ما فقط من اجل ان احدهـم تمناهـا يوما و لم يصل اليها.. لن يحارب حربهم سـيخوض حربه الخاصة فان انتصر فيكفيه النصر و ان فشـل فيكفيه شـرف المحاولة..

جاء يومه الاول في التعليم الجامعي.. اسـتيقظ باكرا ووقف امام المرآه يضبط هندامه ويصفف شعره جانبا.. يذهب لجامعته.. تتصارع عليـه المحاضـرات و هـو مسـتمتع بذلك يتمنـي ان يعتلـي المراكز الاولي..محققا بذلك امانيه ومسـتمرا في دربه المرسـوم له قبل ذلك.. ينهي يومه الاول و هو عائد إلى بيته يدندن ببعض الالحان الشعبية اذا بشـئ ما يلفـت انتباهه..كان كأي شـخص صُرِفَ انتباهه سـيتوجه حتما لذاك الشيء الذي صَرَفَ انتباهه ثم يعود لما كان عليه..لكنه لم يكن ابدا كأي شئ..

يبـدو ان الحيـاه قد القت بموجتهـا انتظارا ان تعـود محمله بفتات قلبه..

---

(١) حقيقة

ادبر بنظره عنها لكن قلبه لم يستطع ابدا..

مضي يومه سريعا ليس كعادته..لكنه كان في عالم غير العالم..

لقد راي فتا المكتبة التي كانت ترحب به بنظراتها اذا ما اقبل و تودعه اذا ما قرر الرحيل..

لـم يـدر كيف مـرت ليلته تلـك لكن تفكيـره التهمه حتـى اتاه طيفهـا يتفقـده فاصبح يراها في نهاره في طريـق عودته و يري طيفها فـي ليله.. فيتقابلان كل يوم مرتين فاذا كان النهار ودعها قائلا إلى اللقـاء فـي حلم الليلة و اذا كان الليـل ودع طيفها قائلا اتمني الا تغار من نسـختك الحقيقيه فانا ذاهب الان لرؤيتها.. الغريب يا صديقي ان كل هذا حدث و هو لم يعرف اسمها بعد !!

لـم يـدرِ أَ غلبه النوم فـي تلك الليلة ام بات ليلتـه يقظا لكنه اتخذ قرارا بالا يلتفت لها مهما حدث.. لكن هيهات يا صديقي !!

فالـذي جعل عنترة يخـوض الحروب لاجل عيني عبلة و جعل روميو يتجرع السم لاجل جوليت يجعله هو يفعل كل ما بوسعه ليحظي بلقاء او على اقل تقدير نظرة منها..

اخيرا اقبلت هي فادبرت احلامه..

لـم يبالِ كثيرا باحلامه و انما ودعها وداع مضيف لضيف مكث كثيرا.. فبدا بالاقلاع عن التفكير في البحث عن علاج شاف لذاك المرض الذي طالما ارقه..

ارتبطـت حالتـه المزاجية بحالتها فاذا رآهـا فرحه فكانما نُصب علـى الدنيـا ملـكا واذا خيم الحزن علـى عينيها بكـي هو..وصل به الحـال ان كان اصدقـاؤه يعلمـون ا سـعيدة هي ام ترحـة من وجهه و بسـمته..كان يفسر ابتسـامتها له اكثر من تفسير اينشتاين للنسبية او للتاثير الكهروضوئي ففي احيايين كثيرة يفسر انها صدفة و في

النادر يصنف انها اصطفاء.. نعم اصطفاء.. اصطفاه القدر دون غيره..

هـا هو قد صار كبير الحمقي و ليـس احدهم فقط..عاب عليهم فصار مثلهم.. وهنا طرح ذهنه سـؤالا ا غير عقله فكرته التي كونها عـن أولئـك مسـلوبي الإرادة بعد ان اصبـح منهم أم ان عقلـه قد اتخذ جانـب العـداوة من قلبه واصر علـى قراره.. في حقيقـة الامر لم يصل لجـواب ولم يسـعَ حتى ان يصل لان اولوياته قـد اختلفت و صارت هي في المقدمة..

كان يخشـي ان يكـون قـد سـجن قلبه داخـل احدهـم واصعب سـجون العالـم ان تضع قلبك داخل احدهم و هـو لا يعلم و ربما يعلم و حينها فذاك انتهاك لحقوق القلوب..

تيقن انها ذاك الشـخص الذي احتفظ قلبها بصورته خلسـة حينما كان هنالـك فـي برزخ الغيب قبل أن يسـقط للوجود.. نعم ضاعت في صدره المتبعثر.. لكنه عثر عليها الان..

ا تـدري ما اكثر ما يخشـاه الان ؟ الا تكون هـي مآله في النهاية و هنـا ضرب صدره اعصار بسـرعة اربعمائـة كم/س يفوق ما ضرب المكسـيك فـي ٢٠١٥ حتى بات ليلته يقظا و هنـا كان على علم انه قـد غلـب النوم فصـار منتصرا في حربه هـذه لكن علـى النوم ليس علـى قلبـه.. لكنه ربت على قلبه مطمئنا له بان ما عند اللّه لن يبلغ الا بطاعته لذا ليس عليه سوي الدعاء فقط..

ايامـه كانت تمر متشـابهة للدرجة التي دعته للتسـاؤل ا تلك ايام جديـدة ام انهـا مجـرد نفـس الايام لكـن بتقويم جديـد كان يتمني تسارع الايام..تاتي لحظة تخرجه و يتقدم لخطبة تلك الفتاة..ولم يدرك للحظة انه سيتمني ذات ليلة ان يسير الوقت اقل من سرعة سير حيوان الكسـلان التي قد لا تتجاوز الخمس امتار في السـاعة لينطبق عليه مليّا قول العقاد هل حاروا على الاقدار ام هم حيروا القدرا ؟!

حتـى جـاء يوم قلب حياته راسـا علـى عقب.. مكالمـة هاتفية من صديقـه عـادل يخبـره فيها باعـراض المـرض اللعين التي بـدات في الظهورعليـه من فترة لكنه اثر الاهمال كعادة المصريين.. يسـتنتج باسـل اصابـة صديق عمره بذاك المرض اللعين ، ، لتسـقط سـماعة الهاتف من يده..

تنهمـر عليه الذكريات في تلك اللحظة وتتبعها دموعه..لقد اوقف صنـع دواء ذاك المريـض حينما التقي بتلك الفتـاة لتمر الايام و تضعه امـام هذا المازق..ماذا يفعل الان..ا يعود ليكمل ما بدا ام يسـتمر في صرف النظر و يهتم بمتطلبات قلبه..

لـم يفكـر كثيرا و حسـم قراره.. قرار مؤلم لكـن عليه ان يعمل بكل جد و كد حتى يصل للترياق المنشود..

صديقنا في تلك اللحظة لم يقض سـوي سـنة واحدة من دراسـته و رغما عن هذا قرر ان يهمل مذاكرته و ان وصل به الامر لترك تعليمه سرا و يتفرغ للبحث عن الدواء..

لكن ماذا عن قلبه الذي يلقاه كل يوم ؟!

جاء الجواب سريعا و ماذا عن روحه المتمثلة في صديقه عادل ؟..

اذن ليقضي اللّه امرا كان مفعولا.. سيعود للبحث و البحث حتى و ان طرحت تلك الفتاة الف سؤال عن اختفاءه المفاجئ.. لن تموت تلك الفتاة بسـبب عدم رؤيته لعدة شـهور و ربما لسنة او سنتين لكن ماذا عما تبقي من عمر عادل..

ربمـا تجـد حلمهـا في شـاب ثلاثيني ثـري تتزوجه و تنسـاه و ربما وربما لكن في تلك اللحظة قلبه دّق موقنا من انها لن تخذله ابدا..

اما عن والديه فسـيخربهم كذبا بالذهاب لجامعته وبدلا من هذا سينصرف للمكتبات و استيفاء المعلومات عن ذاك المرض..

عـاد مرة اخري لتنـال التجارب منه و لتضعه فـي مواقف يندي لها الجبين خجلا فكان يذهب لشـراء بعض المـواد الكيميائية الغالية الثمـن فتصيبـه نظرات البائع بالشـك ماذا يفعل انسـان صغير السـن بتلـك المـواد و كيـف حصـل على الامـوال التـي تمكنه من شـراء ذلـك بكثـرة و على فترات منتظمة ككل اسـبوع مثـلا.. المضحك المبكـي الداعي للتامل في هذا الشـان ان بعـض هذه المواد كانت رائحتها تصيب بالادمان فكان يستخدمها المدمنون لاشباع رغباتهم الكاذبة مما ادي إلى ان بعض البائعين قد حذره غير مرة انه سيخبر والده بذلك لكنه لم يأبه لترهيبهم ابدا فوصل الحال به إلى ان تحفظ احدهـم عليه حتى ياتـي والده و يخبره بالامر كاملا لكن الاغرب و ما اثار انتباه هذا الرجل ان والده ابتسم حينما اتي و قال..

- سـيبه ياخـد اللي هو عايزه و ميدفعش تمنـه كمان و انا هعدي عليك كل فترة و احاسبك..

- ازاي يا حج المواد دي خطر على اللي في سنه.. لا قدر الله ولدك ممكن يبقي مدمن..

- انا عارف ولدي بيعمل ايه..

حينها تاكد البائع ان والده ليس باقل جنونا من ابنه ، ليست تلك ابدا ثقة مفرطة و انما هي اولي خطوات سلم الضياع..

امـا باسـل فحـاك في صـدره ان هنـاك امر مـا يخيفه عنـه والده كيـف لاب ان يسـمح لابـن لم ينضـج بعد - كما قال لـه احد التجار ذات مـرة - بـان يبتاع تلك المواد التي قد لا تدمره من الداخل فقط بل تلقي بمسـتقبله في غياهب الجحيم و تجعل سـمعة الاسـرة من السوء بمكان.. لم لا يضغط عليه و يجبره بان يخبره عما يفعل.. عندما وقف باسـل و دار الحديـث اعـلاه ظن ان والـده يقول ما يقـول حفاظا على المنظر العام كما يقولون لكن بمجرد ولوجهم المنزل فسيلقي قدرا

من التوبيخ والسب والاهانة لم يلقاه هتلر من كتب التاريخ.. لكن ما ان وصلا للمنزل و اغلقا بابه حتى قال الاب :

- لسه برضه معرفتش المشكلة فين ، ربنا معاك يا ولدي..

انصرف عنه و تركه غارقا في تفكيره حتى النخاع..

لم ييأس باسل ابدا فما نيل المطالب بالتمني لكنه كان موقنا من العبارة التي تقول اذا اردت ان تري ما يستطيع ان يصنعه الانسان فضعه تحت ضغط و حتما سيبهرك.. كان دائما ما يضع مرض والم غيره على كاهله ربما لن تصدق انه كان يبغي العلاج اكثر من الشهرة ، كان مختلفا و باختلافه تفرد عن الجميع..

لكن في احدي الليالي و هو جالس امام معادلاته تلقيه كل منها إلى الاخري كورق بوكر يقذف على مائدة قمار يضع باسل يده على قلبه فيجد نبضات قلبه وقد تسارعت لحد ملحوظ و ظهر عليه الاجهاد و بدا يشعر بدوخة مفاجئة و ما حوله يميد به حتى كاد ان يسقط , اضطراب في خواطره مرة واحدة فلا يدري ما يريد ان يفعل.. اضطراب لم يعهده من قبل..

حدث نفسه حينها " اواه يا صديقي ا من الممكن ان اكون قد اصبت بذاك المرض و ما زلت في تلك السن الصغيرة.. و مذ متي السن الصغيرة تمنع الامراض او الاقدار او حتى الموت.. كل بميعاد يا صديقي ".. قطع عهدا على نفسه بالا يخبر والده ووالدته مهما تكلف الامر و انه سيكتم ذاك الخبر في طيات نفسه إلى ان ياذن الله..

كان اكثر ما يضايقه ان الموت دائما هو ما يبحث عن اولئك المرضي.. لم لا يكون هناك حل يخلصهم من ذاك البلاء فيستريح الجميع او على الاقل لا تنتهي حياة احدهم اكلينيكا عند علمه باصابته بهذا المرض.. الان تضاعف الدافع للوصول لعلاج فبعد ان كان ما يدفعه للمضي قدما هو صديقه عادل واصابته فجاة بنوبة

من الجمود و تسارع في ضربات القلب و اضطراب خواطر يحدثه عنه بعدما يستفيق ، ، ، اصبح هو الان في تعداد المرضي..

يبقي السـؤال.. لم يكون هنالك شـاب لم يتجاوز بعد العقد الثاني من عمره و هو لا يدري كيف سيقضي ما تبقي من حياته حاملا روحه على يده ؟!

اطلـق على مرضه خـلال الاعوام الكثر التـي قضاها في البحث عن علاج له اسم " مرض القلوب "..

وصل بطلنا لسـن العشـرين و في يوم الرابع و العشـرين من شـهر نوفمبـر عـام الفين وعشـرين و هو يوم عيد ميلاده اعتادت الاسـرة ان تأتـي بكعكة عيـد الميلاد و تضـع فيها رقما يعبر عن سـنه القادم يتجمـع هـو و والده و والدته ومن شـاء اللّه له مـن اصدقائه ان يحضر تلـك المناسـبة فيتمني امنيـة العام الجديد.. في هـذا الوقت كان قد انتهي من صنع العلاج، فقرر عرضه على عائلته في هذه الاحتفالية و اعطاءه لصديقه عادل ليتجرعه فقد بلغ منه المرض مبلغه..

تكفل والده باحضار التورتة هذا العام ووضع عليها رقم العشرين و تجمعـت الاسـرة ليـلا.. باسـل و والـده و والدته ودعا باسـل صديقه المقرب عادل فاستهل الاب الحديث قائلا :

- كبرت يا باسل و بقي عندك عشرين سنة ليا عشرين سنة بعملك عيد ميلادك يا تري السنة الجاية مين هيعملهولك..

فانحني باسل وقبل يد ابيه و قال..

- ربنا يطولنا في عمرك يا حج و تعمل لولادي كمان..

- ايه امنيتك للسنة الجديدة..

- عايز اوريكم حاجة كانت امنية السنة اللي فاتت..

ثـم دلـف لغرفته و احضر كاسـا من زجـاج خاص ملـئ بمادة لها

لـون بيضاء لم يتجاوز ثلاثة ارباع الكوب ووضعه على المنضدة امام الجميع فقال ابوه متصنعا المرح..

- ايه و بقيت بتعمل فودكا كمان في البيت..

استكملت والدته الحديث و قالت بمزاح :

- حتى ابوك حافظ القران وامك مش بتقوم من على سجادة الصلاة و انت نفسك قربت تختم القران..

تسائل باسل قلقا :

- ليه بس يا بابا بتقول كده ؟!

- عشان لونه ابيض و هو اصلا بيتكون من مياه و كحول الايثانول و انت عندك معمل فقلت اتريق عليك..

- لا يا بابا ده حصيلة تعب اكتر من عشر سنين من القراءة و البحث و غيره..

يتدخل عادل في الحوار قائلا بلكنة اضاف عليها حزن ممزوج باشفاق عليه نفسه :

- خلاني فار التجارب بتاعه يا عمي و كل ده مقابل قطعة تورتة.. بس انا واثق من عبقريته..

ضحك الجميع و قاموا بتقسيم التورتة و بعدها قال باسل..

- امنيتي بقي ان الدوا ده يقدر يشفي أي مريض من مرضي القلوب اللي حوالينا.. دلوقتي عادل هيشربه و ان شاء الله هينجح..

ثم توجه ببصره صوب عادل و قال..

- ها قد حانت لحظتك يا بطل..

- اعمل ايه يعني..

- تشرب المشروب ده و ان شاء الله هتلاقي نفسك خفيت..

- والله يـا بنـي انا فخور بيك جدا و كنـت متوقع نبوغك من زمان بس عمري ما توقعت انك توصل للدرجة دي..

تفغر الام فاهها فتخرج الكلمات متحشرجة و تقول..

- انت تعرف يا باسل انا نفسي في ايه.. نفسي اشوفك و انت بتاخد جايزة نوبل..

يضحـك باسـل ضحكة قلقـة.. اعصار يدور داخله و تلك البسـمة التي أطلق عليها علماء النفس البسمة الحانية[1] تزين ثغره..

ها هو قد كشـف عن سـبقه العلمي لعائلته.. علاج مرض القلوب و يـا له من اسـم.. نعم قد تناولـوا موضوعه في البداية بقدر كبير من السـخرية لكنه كان ينظر لهم و يبتسـم ابتسـامة سيناريست كتب سيناريو الفيلم و جلس يشاهده مع جمهوره.. يعلم يقينا انهم سينبهرون مـن اثره اللحظي.. و ها هي قد حانـت اللحظة التي انتظرها كثيرا و ربما والداه ايضا..

يعطيـه لصديقـه و يطلـب منـه تجرعـه و الجميـع فـي ترقـب من النتيجة.. نعم هم يخشـون جميعا من النتيجة لكن الخشـية الكبري مـن نتيجـة النتيجة فـالأب و الام يعلمـان ان ابنهما سـيتأثر للغاية وقد يصاب للابد بالإحباط و باسـل سيراها نكسة لن تمر مرور الكرام امـا عادل فربما يربت على كتف باسـل لكن ما ان ينصرف او يخلو بنفسـه فمـن الممكن ان يتهكم عليه.. يرفعه عـادل تجاه فمه رويدا رويدا.. ينظر من حوله تجاهه و يخالونها ثواني قليلة لكنها مرت على كلا مـن عـادل و باسـل دهورا طويلـة وربما قرون فعادل تلوح بسـمة الرفض عليه و العدول عن قراره بسرعة قبل ان يقع ما لا يحمد عقباه لكنه يعود فيخبر نفسـه بان الامر اذا فشـل فلن يقتضي سوي غسيل

(١) و هي بسمة الموناليزا ان تباعد بين ركني فمك دون ان تكشف اسنانك..

معوي و ينتهي الامر برمته ثم ا هناك بعد هذا المرض امراض اشد ؟! حتما لا.. اذن فالمجازفة هي الحل الاوحد للخروج من تلك الشكوك اما باسل فكان ينتظر تلك اللحظة على احر من الجمر.. تلك اللحظة التي تحدد ان كان اختراعه قد نجح ام انه سيلقي مع غيره في الاشياء التي بلا قيمة.. قد تنصفه تلك الحظة وقد تبقي نقطة سوداء في تاريخه يئن بصمت كلما تذكرها..

يتجرعه عادل ثم يغمي عليه.. يحاول باسل افاقته فيسكب على وجهه قدح من المياه المثلجة لكن دون جدوي..

يرتجف الاب قائلا:

- ايه اللي انت عملته بصاحبك ده..

- معرفش يا بابا والله انا اديته الدوا عشان اشفيه مش عشان اضره..

تخمش امه وجهها و تصك بيديها على صدرها قائلة بلوعة :

- يا مراري ، هنعمل ايه دلوقتي..

يرد والده سريعا دون ان يلتفت لامه..

- اطلب الاسعاف بسرعة..

يسرع صديقنا فيطلب رقم الاسعاف , لم تمض سوي بضع دقائق حتى كانت سرينة الاسعاف بصوتها المميز تدك الحي دكا.. صوتها الذي قد يبعث الطمانينة في البعض لقدوم وسيلة النجاة و صوتها المرعب قد يحمل للاخرين رعبا لا مثيل له لاعتقادهم انها قد تحمله لمثواه الاخير.. تعددت الخواطر والنهاية واحدة , حملته سريعا سيارة الاسعاف للمشفي المركزي يتسائلون ماذا حدث.. توقع ان يري ما سمعه عن اهمال المستشفيات الحكومية و قد كان.. اثاث متهالك للغاية , معاملة لا ادمية على الاطلاق , تاخر في فحص المرضي.. لا

يـدري ا يلقـي باللوم على هؤلاء الاطباء ام تكـون لديه الجراة و يلقي باللـوم علـى من لم يوفر لهم مرتبات مالية كافية و ادوات اساسـية ام ان المشـكلة يشـترك فيها الطرفان و ان اختلفت نسبة تشاركهما.. فالجهـة الاعلـي لم توفر و الجهة الادني لـم تبحث و لم تطالب بل ربما البعـض منهـم اعجبه الحـال حتى يجد مبررا لتكاسـله عـن العمل.. ادخلوه غرفة الفحص و و ما هي الا لحظات اذ بالطبيب المعالج يدخل ومعه طبيبة صغيرة السـن.. يحفظ باسـل ملامحها عن ظهر قلب.. هي هـي نفس الفتاة التـي التقاها في المكتبة و بعدهـا في طريق عودته لمنزله..

التقت عيناهما..

ا تدرك شعور ان تعشق اغنية تركية دون علمك بمعناها؟! هكذا كان لقاءهما..

يبـدا الطبيـب المعالج في شـرح حالـة عادل لها مخرجـا اياها من النظرات المتبادلة ثم ينظر بقلق شديد لعادل وثم يعاود النظر لباسل..

يسال الطبيب مستنكرا :

- هو شرب ايه بالظبط..

ينظـر الاب و ابنـه لبعضهما حائرين بين مطرقة القانون و سـندان حيـاة عـادل.. لا يدريـان ماذا يخبـران الطبيب فالاب يخشـي ان يدلي بالحقيقة فيضع فتاه تحت طائلة القانون و الابن يفكر في درجة سواد ذاك المسـتقبل الذي ينتظره.. لكن راعه شـئ ما و هو خوف الطبيبة المسـاعدة , لم يكن خوفا عاديا كخوف الاطباء الذين يلتقون بالف الف مريض كل يوم لا ترهبهم ما به من امراض , لا يخشـون أي شـئ فقـد اعتـادوا على كل شـئ حتى المـوت.. لكن هناك امـر ما فتلك الطبيبة تنظر لعادل و هو ملقي على السرير بلا حراك ثم تعاود النظر لباسل و كانها تدرك ان هناك علاقة بين ما حدث لعادل و ذاك الفتي

الواقـف بجـوار ابيه.. وربما هي لم تدرك و انما ادرك قلبها و ما ادراك بيقيـن القلـوب ؟! انـه ذاك المعطـي الخفـي الذي قد يهـون عليك الم النيران لكنه يذيقك الم الحنين فتؤثر الم النيران..

اخذت باسـل الجراة غيـر مباليا بالعاقبـة و اخبرهم بما حدث في كلمات مقتضبة فثمة امور لا تقبل النقاش او حتى التفكير كحياة صاحبه وليحدث ما يحدث فقال :

- صديقي شرب شوية مواد كيمائية مخلوطة مع بعض..

يسـمع الطبيـب فيامربغسـيل معوي فـوري له.. و بالفعـل يجرون لـه غسـيلا معويـا سـريعا لكن ذلـك يعتبـر بمثابة اعلان فشـل له و لاختراعـه.. بعـد فترة ليسـت بالطويلة كانت مرت فيهـا تلك الطبيبة اكثر من مرة لتطمئن على عادل و تلقي نظرات بلا معني على باسـل , اخبرت الطبيبة المسـاعدة الطبيب بتماثل عادل للشـفاء و امكانية خروجه حينها عادل لم يكن قد افاق بعد..

لكن ان حسـبت ان الرياح سـتاتي يوما بما تشـتهي السفن فاعلم ان ذلك اسـتثناء و لحدوثه فانتظر في محطة الصدف عسـي ان ياتيك قطار المستحيلات..

فقد رفض الطبيب خروج عادل و امر بالتحفظ عليه و ابلاغ الشرطة و اعلامها بما حدث.. لم تات الشـرطة الا و قد افاق عادل من غيبوبته افاقة كاملة جعلته واعيا بما حدث.. فما ان افاق حتى امسك بقميص باسل من لياقته قائلا بانهاك يتواري فيه الم وحزن دفينين و زد عليهما بنظرة خبير غاص في عيني عادل فوجد نظرة اشتياق ولهفة..

- انت عملت ايه فيا..هو ده العلاج اللي انت اخترعته عشان تنقذني بيه..

- انا مكانش قصدي والله..

- مكانش قصدك يغمي على و لا مكانش قصدك اشوف اللي انا شفته..

- تشوف ايه انا مش فاهم حاجة..

يضرب عادل بكفه على كفه الاخر سارحا في خيالاته و كانه يحادث نفسه او انه يجلس في الغرفة وحيدا..

- انا عمرت ما شفت حد بيعالج المرض بمسببه يعني لو حد مبيعرفش يعوم ترميه في البحر , لو حد بيخاف من الوحدة توديه المريخ..

يتدخل الاب في الحوار و يهدئ من روعه بعدما بدا ان يلمس عجز باسل في الفهم والاستيعاب و بالتالي عدم قدرته على الرد او الدفاع عن نفسه..

- يا بني هو اكيد ميقصدش انه يضرك , دا هو حبّ انك تخف مش اكتر..

تقطع الشرطة حوارهما بدخولها من باب المشفي.. يتحدث الضابط الاكبر قائلا :

- فيه ايه استدعتونا ليه ؟!

يرد الطبيب بسرعة..

- الباشا ده ادي صاحبه مواد كيميائية وصاحبه شربها..

يتوجه الضابط بنظره لعادل..

- الكلام ده صح ؟!

- لا انا اللي شربته لوحدي هو مدانيش حاجة..

يبتسم الضابط ابتسامه مغزاها انه يعرف حقيقة الامر كاملا لكنه احترم محاولة عادل حماية صديقه فيربت على كتفه..

- الف سلامة عليك..

و يخـرج سـريعا من البـاب فقد ظن ان هـذا الوضع ربمـا يغير من راي عـادل فيدلي بشـهادة جديـدة فانصرف مهرولا وكانـه يبغي ان المسرحية تنتهي عند هذا الحد.. نهاية سعيدة..

يتنفـس باسـل و والـده الصعـداء و اذا بباسـل يدور ببصـره فيجد تلـك الطبيبـة قد وضعـت يدها على فيـهـا و كانها تخشـي ان تطلق صرخـة فـي لحظة ما و ما رفعت يدها الا حيـن انصرف الضابط دون ان يصطحب باسل معه..

بعد انصراف الشرطة قال الاب ممتنّا وقد بلغ القلق منه مبلغه..

- شكرا يا بني اللي عملته معانا عمرنا ما هننساه..

و همـا بصدد الخروج من المستشـفي اذ بعادل يتجه ببصره صوب باسل قائلا..

- انـا اسـف يا صديقي علـى اللي عملته بس اللي انا شـفته مفيش حد يقدر عليه واللّه..

- طب اشرحلي يمكن اساعدك..

- قلتلك مفيش حد يقدر عليه.. سـاعد نفسـك و اوعي تقع في اللي انا وقعت فيه..

ثم يفلت يده من يده بعد ان يودعه و يعتذر له ثانية

- معلش هروح وحدي.. تعبتك معايا..

- سيبه يا بني صاحبك وصل للحل.. عقبالك..

تأتـي اليـه تلك الطبيبة المضطربـة و قد جلبت لـه وردة.. راها من بعيد مقبلة نحوه فصرف نظره عنها مرتبكا حتى احس بوقع خطواتها رويدا رويدا في اذنيه ، ، اقتربت منه وقالت..

- كل سنة وانت طيب..

يقرا صديقنا اسمها المكتوب على البالطو الذي ترتديه..

- و حضرتك بخير يا دكتورة..... احم احم يا دكتورة رنا..

ثم تنصرف.. فيعود وقع خطواتها ليتردد صداه لكن تلك المرة في قلبه.. !!

يصل بطلنا للبيت يجر قدميه جرا و ذيول الخيبة تخرج منه و قد فاق الياس ليوناردو دافنشي في الابداع على وجهه بالرسم و ابوه لا يملك الا ان يربت على كتفه و يخبره بكلمات المواساة التي لا تجدي نفعا و ربما تترك اثرا سلبا بعد ان تؤكد ما في النفس من عجز و ضعف..

- ان شاء اللّٰه اللي جاي احسن..

تدخل امه عليه غرفته..

- الحمد للّٰه انها عدت على خير.. انا عارف ان اللي هقولهولك صعب بس يمكن والدك مش قادر يقولك كفاية يا ولدي كده و ركز في مذاكرتك و خلاص..

يطرق براسه و يغمغم بنبرة يائسة..

- حاضر يا ماما.. ان شاء اللّٰه خير..

يقضي ليله في صراع مع عقله هو لا يريد النوم و عقله ينشد بشدة الاستلقاء و لو لبضع

ساعات.. حرب تلك التي تدور في راسه ولا يعلم احد عنها شئ.. تجمعت خواطره والامه و ياسه وفشله و سنوات عمره التي ضاعت هباء منثورا..

بالرغم من الامه النفسية الشديدة الا انه بدا يحس باثر اخف لمرض القلوب عليه.. فلم يعد يعاني من اضطراب الخواطر او الجمود الذي كان يصيبه قبل ذلك و هو لم يعرف لذلك سببا ، ،الا ان سؤالين ظلا يترددان في عقله يابيان الصمت و كانهما يصران على

ايجـاد اجابـة لهما.. اولهمـا كان ما الذي ادخلنا في تلـك الدائرة من البداية ؟!.. لم لا نكون مجرد طلبة علم يتجرعون ما يسكب لهم من مناهـج يرتـادون المناصـب و يتقلدون الجوائز و يصيرون مسـار فخر لعائلاتهم.. و ثانيهما ان كان قد بدا يحس بتلاشـي اثار المرض و هو لـم ياخـذ الدواء بعد فلم لم يشـعر عادل بذلك الشـعور بالرغم من انه تجرع الدواء..

و هو يحدث نفسـه ينظر على جدار غرفته فيجد عبارة كتبها يوم الثامن والعشرين من شهر يوليو.. نعم يتذكر تلك العبارة جيدا العبارة التـي كتبهـا قبل بدء تلك الرحلة الطويلة التي الت للفشـل في النهاية عبارة تقول :

" كن انت لا هم.. اياك ان تعيش مثلهم تحب مثلهم و تكره مثلهم.. اياك ان تكون اداة لتنفيذ ما فشلوا فيه.. اياك ان يتغير طريقك لمجرد الفشـل مـرة او اثنيـن او مائة حتما سـياتي النجاح و ان طـال وصوله.. الامـس لـم تعـد تملكه و الغد لغـز كبير و انت ايضـا لا تملكه اما اليوم فهو هدية و هذا ما تملكه.. كن انت.. فقط "

بـدات تدب في عروقـه مرة اخري العزيمـة و الحماس و كانه قد قـرا احد كتـب التنمية البشـرية للعبقـري ابراهيم الفقي او سـتيفن كوفي او نورمان فينسينت بيل.. قرر من تلك اللحظة انه سيعزل نفسه عـن العالـم الخارجي تماما.. حتى عن والده و والدته و اذا به غارقا في احلامـه يفكـر ما سـيفعل في الغد و كيف سـيعيد تجاربـه , تقطع طرقات منتظمة حبل افكاره..

- ادخل يا بابا..

يدلف والده للغرفة و قد علت ثغره بسمة عريضة.. و قال..

- من زمان و انا نفسـي اسـالك بتعرف اللي بيخبط منين سـواء انا او امك..

- حضرتـك قبل ما تخبط خطواتك ثابتة ناحية الباب و لما بتخبط بتخبط خبطتين ورا بعض و التالته بعيدة عنهم شوية اما ماما.....

- ما شاء اللّه عليك يا بني واللّه.. خلاص فهمت مش لازم ماما.. يلا قوم نصلي الفجر..

يرتدي الوالد جلبابه المفضل و ينزلان تجاه المسـجد فيقول الاب دون ان ينظر لباسل و كانه يحادث نفسه..

- قلتلك مفيش حد يقدر عليه.. سـاعد نفسـك و اوعي تقع في اللي انا وقعت فيه..

- ايه اللي حضرتك بتفكر فيه بتكرر كلام عادل ليه..

- عشـان عـادل وصـل لاخـر الطريق بدري يـا ولدي ربنا يسـترها عليـك.. خايـف عليـك توصل بدري.. و فـي نفس الوقت نفسـي توصل بدري..

يتمتم باسل في نفسه بصوت خافت دون ان يسمعه احد..

- و اللّه انا مش فاهم أي حاجة خالص..

يصليان ويخرجان فاذا بصوت صريخ ياتي من نهاية الشـارع يسرع باسـل و والده و كلما يقتربان يجدان الصـوت يخرج من عمارة عادل فيسالان..

- في ايه..

فيرد احد المارة بنبرة حزن..

- عادل اتوفي..

- ايه !

- اه واللّه والدته بتصحيه للفجر فلقيته توفي..

- لا اله الا اللّه.. انا للّه و انا اليه راجعون..

يدخل باسـل في نوبة بكاء هسـتيرية يحتضنه ابوه بشـده.. يهرول

تجـاه منـزل عـادل يقطع درجات السـلم العشـرين في خمـس قفزات يجـد بعدها باب شـقة عادل مفتـوح.. صوت نحيب والـدة عادل يجري كسـكاكين تقطع في صدره و قلبه.. يجده امامه جثة هامدة و قد غطـوه بقمـاش ابيـض.. يرفع طرف القمـاش من على وجـه صديقه و يطبع عليه قبلة حانية ثم يجلس بجواره..

مـا اصعـب تلك القبلـة التي تودع بها ميـت.. قبلة انت تعلـم انها لن تجدي شـيئا فلن تعيده مـن الموت لكنها ضرورية للغايـة.. قبلة تنهي بها لقاءكم المادي الاخير لتلقاه بعدها في لقاءات وجدانية بحتة..

يقضـي تلك الليلـة التي هي مـن اصعب ايام حياته بجـوار صديقه تارة يقرا له القران و تارة يدعو له اللّه ان يغفر له و هو غير مدرك لما يحدث حوله و تردد نفسه في حسرة..

- لا حول ولا قوة الا باللّه عادل ! عادل ! ليه بس يا رب ليه بس..

يسـتمر بالبكـاء حتى تغلبه سـطوة النوم فيري عادل في منامه قد اتّشح بالثوب الابيض الجميل المحبب له و هو يقول..

- كفاية الطريق ده.. امشي في الطريق الصح بقي..

يسـتيقظ باسـل فـورا من النـوم و تتردد فـي ذهنه جملـة « كفاية الطريـق ده « ينظـر في السـاعة فيجد انه قد مر علـى نومه ما لا يزيد عن ثلاث او اربع ساعات و قد بدا اهل عادل يحضرون ليبدءوا مراسم دفـن الجنـازة.. يذهبون به لمثواه الاخير و يكون باسـل احد من حمل نعشه و عيناه تذرفان الدموع..

يعود لمنزله و هو ليس لديه ما يمكن خسـارته بعد الان.. صديقه المفضـل و هـا قد رحـل و راي التـراب و هو يغطي جثمانـه فما الذي سيخسره اكثر من ذلك.. لا شئ.. باسل ظن انه ليس هناك ما يخسره اكثـر مـن ذلـك لكـن القـدر كان لـه راي اخـر.. حينهـا ردد الغد ضحكـة مجلجلة ارتجـت لها جدران الغرفة سـمع صوتها الجميع الا

هو و اجاب قائلا..

" نفسك يا عزيزي.. نفسك هذا ما ستخسر "

جلس على مكتبه الخاص يقضي ما تبقي من يومه مراجعا جميع المعادلات التي كتبها منذ أكثر من عقد.. جميعها صحيح بلا استثناء ليس هناك خطا..فبدا يراجع المواد الكيميائية و نسبها التي استخدمها في ذاك المشروب و التي لم تتجاوز الثلاث مواد و هي الاسباتير و النوبان و الريسلا.. اين الخطا ، ا زادت مادة عما قدرته لها ، ا اضفت المزيد من سائل ما.. اين الخلل اذن.. يراجع ما كتب من خطوات على سبورته دون ان يجد فيها أي شئ يحتاج لتعديل..

فحص ايضا خصائصه فوجده مضبوطا كما خطط له من اول مرة.. فالمشروب رغم انه يحتوي على مواد كيميائية الا ان به مواد تمد الجسم باستمرار بالطاقة و الغذاء..ربما تكون نقطة ضعفة الوحيدة او ما يبطل مفعوله سريعا المياة المثلجة لانها تعمل على تجميد جزيئات ذاك المخلوط فيفقد وظيفته لكنها في نفس الوقت تفقد فاعليتها بعد ست ساعات على الاكثر..

ثم مهلا ما الذي تحدث عنه صديقه عادل رحمه اللّٰه.. لِمَ قال ما قال.. ماذا راي في غيبوبته ليقوم فزعا بتلك الطريقة الامر لا يتعدي غسيل معوي.. لم قال ا تعالج المرض بمسببه.. ماذا يقصد بان ما راه يفوق الوصف و لايستطيع ان يتحمله جبل.. لم قال ساعد نفسك اولا و اياك والوقوع ثم كرر والده تلك العبارة و هو يعلم تماما ان اباه لا يلقي الكلمات جزافا.. ثم اكمل بعدها بان صديقه قد وصل لنهاية الطريق مبكرا أي طريق ذلك الذي يقصده والده.. لم بدات الالغاز في التعدد و الغموض بدا يلف كل شئ.. ثم من جوليت تلك التي منحته وردة و هناته بعيد ميلاده و كيف من الاساس عرفت بان هذا اليوم هو يوم عيد ميلاده.. لم تهتم كل هذا الاهتمام تنظر اليه نظرات

ملتاعـة فـي البداية و مرورا بوضع يدها على فيهـا و نهاية بتلك الوردة التـي القاها بمجـدر خروجه من فناء المستشـفي.. لقد راها قبل ذلك نعـم لقد راها قبل ان يلقاها في المستشـفي.. لكـن اين ؟ لا يذكر.. صرف افكاره تلك و تنهد قائلا..

- يلا نبدا من الاول..

حسـم قـراره ان الخطـوة القادمـة هـي ان يشـرب بنفسـه ذاك المشـروب و ليري ما سـيحدث ، و ربما من مفارقات القدر ما احسـه بالـم فـي صـدره.. ربما تكون اشـارة له علـى الاسـتمرار.. هو الان لا يحتـاج لمتطوعيـن جـدد او فئران تجـارب كما قال صديقـه عادل - رحمه اللّه - فقد اصبح هو فار التجارب و اصبح عقله الباحث الاول و الاوحد.. ثم ماذا سيحدث في اسوا الظرف.. ما اسوا النتائج التي قد لا تاتي في مخيلة دستويفسـكي نفسها.. اذا اصيب بغيبوبة فسيهرعون للمستشـفي مـرة اخري ويكفيه غسـيل معوي و حينها فـذاك اعدام علنـي لاختراعـه و ربما يمنّ عليه القدر برؤيـة جوليت مرة اخري.. اما اذا لـم ينقـذه احد فها قد تحققت نبوءة والـده له - كما فهم - و انهي طريقه مبكرا و حينها سـيصعد لصديقه عادل و يخبره عن الحقيقة كاملة.. الحقيقة التي لم يستطع ان يصل اليها بعقله على الاقل !

قضي الامر..

بدا في اعداد المشروب من المواد التي ذكرناها سابقا و استغرق اعـداده بضعة ايام.. ها قد حانت اللحظة الحاسـمة.. القي نظره اخيره علـى محتويات غرفتـه لعلها تكون المرة الاخيـرة مكتبه الذي يمثل عالمـه الخـاص و مصباحـه شـمس هـذا العالـم.. اوراقـه و اقلامـه.. سبورته الخاصة و ما عليها من خطوات.. ادوات معمله و المواد الثلاث المسـتخدمة فـي الصنع.. فراشـه و اوراقه - التي تبث فيـه الروح من جديـد - تقبـع على الحائـط.. اخيرا تلك الوقة التـي تمثل مثلث حياته

الخاص امل , الم ، اخلاص.. و التي جمعها في كلمة hpf..

Faithfulness , Pain , Hope..

حسم امره بعد كل هذا و رفع ما صنع لفمه و تجرع كل ما فيه.. و بعدها تهاوي ارضا..

❖ ❖ ❖

# الفصل الثاني

يعود عقله رويدا رويدا..يشعر بان اطرافه قد دبت فيها الحياة مرة اخري و عادت للحركة.. نسيم لطيف يضرب وجهه من كل اتجاه.. يفتح عيناه فيجد شئ اشبه بالبيضة الصغيرة ما ان ينظر اليه حتى يرتفع الجزء العلوي لها كاشفا عن تجويف داخله يخرج منه قائم معدني سرعان ما يكون صورة اشبه بالهولوجرافية.. يرتاب من المنظر للوهلة الاول فيقترب و يضع يده داخل الصورة فاذا بيده تخترق الصورة دون ان يحدث أي شئ ليده او للصوره.. راعه ايضا ان الصورة ثنائية الابعاد و ليست بثلاثية الابعاد كالمعتاد.. الصورة توضح ملامح شخص ما يرفع يده من جانبه و يمدها له محاولا ان يلامس يده دون جدوي ثم فجاة و بلا أي مقدمات تختفي الصورة تاركة لغزا جديدا ثم تنفجر البيضة مخلفة رماد يتطاير مع النسيم.. يبدا في رؤية ما حوله بوضوح دون ان يحجبه شيئا.. يجد نفسه في مساحة خضراء ممتدة لمرمي البصر.. لا اثر لوجود بشر ولا حتى احياء على ظهر الكوكب.. يبدا في التساؤل اين هو الان و ما الذي اودي به إلى هنا و ماذا سيفعل و كيف سيعود و في اي عصر هو.. ا هنا القي عادل رحمه اللّه ايضا ؟! يسال و يسال و لا يجد جواب سوي صوت الصمت و يا له من صوت.. يجد الخضرة قد كست كل ما يحيط به من أراض.. عيناه لا تلمحان الا اسوار عالية تلوح من بعيد جهة الشرق و اعلام فوق تلك الاسوار قد نقش عليها سيف يتكئ بنصله على الارض و كانه مغروس فيها و اعلي هذا السيف قد نقش خطان مائلان بزاوية ما بحيث يكون اعلاهما ملتقيان في نقطة اما اخرهما فمبتعدان للغاية وفي منتصف الخطين رسم خط ثالث ليربط بينهما في منتصفهما..

شمس في اوج تالقها و كانها تعبر عن نفسها.. عقله مستمر لا يتوقف عن إلقاء اسـئله لا اجابة لها لم يرمز تلك العلم ولم ضوء الشـمس بهذه القـوة , انه لم يسـبق له ابدا رؤية شـمس بمثل هـذا الضوء و بمثل هذه الحـرارة.. عقله يسـاله و قلبـه ينبض من الخوف و مـا هي الا لحظات حتـى قطع انتباهه صوت صهيل للخيول يتعالي فوقه صوت محاربين.. نعـم كوكبة من المحاربين يلوح البـأس في وجوههم و الصرامة في اعينهـم و القوة فـي اعضادهم التي خلت من الـدروع.. تراهم من بعيد فتظنهم اشـبه بمحاربي السـاموراي.. دروع تغطي اجسـامهم كاملة , سـيفين سـيف في كل جانب و ربما في نفس الجانب و غطاء خاص على رءوسـهم.. بدا يسـتعيد ما قراه عنهم في احدي الكتب من القوة المفرطـة والوفـاء الشـديد و التضحية بالروح من اجل مـا يؤمنون به.. لـم يكن عددهم مـن بعيد يتجـاوز البضع لكن احينمـا اقتربوا منه احصاهم سريعا فكانوا عشرة.. احاطوا به إحاطة السوار بالمعصم و اخذوا يتحركون حوله في صمت.. شـكلوا حوله دائرة متحركة ثم لـم تمض لحظات حتى انفصل احدهم عنهم - تبين باسـل بفطنته انه كبيرهم - ثم دخل لداخل الدائرة و شهر سيفه في وجه باسل ووضعه تحت ذقنه و ساله ..

- من انت و ماذا تفعل بارضنا ؟!

فتلعثم باسل في البداية و تفاجا اما عن سبب تلعثمه فهم لم يدر ما يقول و اما عن سـبب تفاجاه حديث ذلك الرجل باللغة العربية لكنها كانـت فصحـي من الطراز الاول فنظر له باسـل بنظره مرتبكة ثم حاول ان يجاريه بالفصحي قائلا..

- انا باسل من مصر ..

- لا توجد بلد في الوجود تسمي مصر ..

- ما الذي تقوله يا هذا ؟! انها في الشمال الشرقي من قارة افريقيا..

- نعـم هنـاك قـارة تسـمي افريقيا لكـن لا يوجد بها بلد تسـمي مصر.. لا ريب انك جاسوس تختلق القصص ..

- جاسوس !

- يبـدو ان الملـك كريتيـس مصرّ علـى ان تقوم حـرب تعجّل من نهايته..

ثم توجه نحو جنوده بعد ان خرج من الدائرة و قال بلهجة امره ..

- خذوه للملك لنري ما سيصنع به..

لا يجد صديقنا ما يقول سـوي ان ينكس راسه و يهمهم بكلمات غير مفهومة.. يقيدون يديه و قدميه بسلاسل حديدية ثم يلكزونه في ظهره حتى يتحرك بسـرعه وعقله يردد سـؤالا واحد ما الذي اودي بنا لهنا ؟!

يتهكمون على بطئه في السـير و هو لم يتجاوز العشرين الا بفترة قليلة.. يسـيرون به فترة طويلة حتى تظهر اسـوار القلعة جلية واضحة.. اسـوار تتجاوز العشرين متر ارتفاعا بنيت من حجر الجرانيت الصلد.. يقف اعلاها رماة سهام يتجاوز عددهم الثلاثمائة جندي.. حينما يقترب الفرسان ومعهم باسل يصدر قائد الرماة امرا بفتح ابواب القلعة فتفتح البوابات الحديدية علـى مصراعيها مصدرة صريرا مزعجا.. يدفعونه للامـام بخشـونه.. حينها كان باسـل يشـعر انه يشـاهد احد الافلام القديمة او احدي المسرحيات لكن لم يخطر بباله ابدا انه سيكون بطـل هـذا الفيلم او تلك المسـرحية لكن علـى ارض الواقع ..بمجرد ولوجـه داخـل المدينة يجد حيـاة متكاملة اناس يجيئـون و يروحون.. اطفـال يلعبون..مزارعيـن و صناع.. جنود وفرسـان.. اراض خضراء قد زرعت بما تشـتهي الانفس و تلذ الاعين..يبدا في السـير في الشـوارع و الطرقات كانت هنالك منازل منتشـره على جانبي الطريق.. منازل تؤكـد ان هذه البلاد قد بلغت من الهندسـة المعمارية شـانا عظيما..

و ها قد لاح من بعيد قصر اقل ما يقال عن منشـئه انه من عالم اخر.. قصـر اتخـذ مـن المربع شـكلا له بزغـت اطرافـه الاربعـة لتعلو ما حولها.. في منتصفه قد وجد هذا الشـعار سـيف مغروس في الارض و عليه تلك الرسـمة الغريبة.. كان اشـبه بمخيم صغير محصن.. دلف لداخلـه ليجد كمّا مـن التماثيل المنحوتة بدقـة عالية.. ارض القصر قد فرشت بمادة مخملية ناعمة تسير عليها فكانك تسير على حرير.. دهش من الفتنة الطاغية لجواري الملك اللائي قابلنه في طريقه.. حتى وصل للجناح الملكي.. لم تبهره الحراسـة الزائدة فتلك شـيم الملوك لكنهـا ليسـت من شـيم العظماء و لهم في ابن الخطـاب عبرة و عظة فيكفيه ان تكون سـماؤه شـجره تظلل عليه و ارضه ترابا تربت على جانبه اشفاقا..

وصـل لحجـرة الملـك الخاصـة فـاذا بهـا دهليـز كبيـر يتجـاوز طوله الامتار العشـر.. قد وضع عرشـه المزخـرف بالذهب و الاحجار الكريمـة و النقوش الرائعة المتداخلة التي تدل على براعة من صنعه فـوق منصـة - كالمعتاد - لها سـلالم لا تتجاوز الخمس ثم كرسـي على يمينه يختلف عن باقي اثاث الغرفة ثم كراسي او دعنا نقل لقد كانت كراسـي من ذهب خالص.. الغريب ان العرش لم يكن عرشا بالمعني الحرفي بل كان اشـبه بما يطلق عليه الهنود القدماء **Gaddi** فقد نقشـت اليه اضافة لما سبق صور لالهه معبوده داخل تلك القلعة.. اجمل ما كان في هذا المشـهد الدراماتيكي هو وجود تلك الستائر خلف الملك و التي اسدلت بطريقة ما توحي بانك في مسرحية حيّة قد نجـح مخرجها في ان يجعلك تعيش معه الواقع.. كثرة الشـموع ايضا اضافت للمشهد قدرا هائلا من الرهبة..

استقر اخيرا على وجه الملك لكن وهو يمر بنظره اذا بفتاة تجلس علـى ذاك الكرسـي المجـاور للعرش.. فتـاة اقل ما توصـف به انها «

فينوس [1]" الهه الجمال والحب عند اليونانيين القدماء..

فتاة استولت على كل الفتنة الطاغية و منعت غيرها من الفتيات من الحصول على بعض الجمال.. فهي شقراء لها شعر ناعم ينسدل على كتفيها ، فمها صغير منمنم.. هي فينوس التي تحدثت عنها الاساطير الاغريقية.. نعم ربما تختلف عنها في ان فينوس كانت عارية الجسد تماما و اتخذت من الصدفة رمزا لها اما فاتنته تلك فقد ارتدت رداء الملوك.. رداؤها كان قطعة واحدة تنورة قد زينت بقطع من الذهب ، كان اشبه بما قرا عنه و اطلق عليه الكوريون الهانبوك او الجيو جوري لكنه كان ملكيا.. نعم ربما يعجز ان يصفها و يصف ما اجتاحه تجاهها عند لقائهما الاول.. لن يتحدث عنها كشكسبير في قصيدته فينوس و اودينيس او ربما سيكتفي فقط بذكر اسمها كالمدعو بروسيبر ميريميه [2]في قصته لا فينيس ديل.. لكن في النهاية ستقف الفاظ اللغة عاجزة عن التعبير.. يكفيه ان يقول انها كانت ايه من ايات الجمال..

نعود مرة اخري لذاك القابع فوق العرش.. هو رجل ما بين الاربعين و الخمسين يضع يديه وراء راسه و رجليه مشبوكتين و كان بطلنا

(١) الهة الحب و الجمال و الرخاء و النصر لدي الرومان و اسمها فيي اليونانية افروديت.. اعتقد الرومان انها ولدت في البحر و جاءت إلى شواطئ قبرص في محارة..تعتبر صاحبة اقدم معبد مكرس لعبادتها.. لها ابن يسمي كيوبيد اله الحب و اشتهر بسلاحه القوس الذي اذا اصاب شخصا ما يقع في الحب بشكل جنوني.. اصابه سهمه ذات يوم فوقع في حب امراة تدعي بسايكي التي اصابها ايضا سهمه لكن فينوس لم تقبل بها..

(٢) ولد ١٨٠٣ و توفي ١٨٧٠ كاتب و عالم اثار و مؤرخ فرنسي و لد في باريس في وسط برجوازي فابواه فنان مثقفان مما دعاه لدراسة القانون و الفلسفة و تعلم العزم على البيانو.. كان متحررا ساخرا لافصي حد عاصر بعض كبار الادب الفرنسي ك هوغو بالزاك و كان صديقا لستندال..من اعماله فينوس ايل و كولومبا و كارمن..

قد قرا في كتب body language ان هذا المشهد يدل على التعالي على الاخرين مما يعني ان الملك مصاب بالنرجسية الشديدة.. يتفحص صديقنا وجهه فيجد ان الشيب قد وخط فوديه ، له جبهه عريضة تدل على ذكاء كبير و ذقن مدببة تميل بشرته للاصفرار نوعا ما يمشي على مهل لا تدري ا من مرض ام كبرياء و غرور.. تحدث مباشرة مع كبير الجنود و قال..

- دادور .. من هذا و لم احضرتموه مسلسلا بتلك الطريقة ؟

و اشار لباسل دون ان ينظر اليه..

فرد دادور سريعا..

- سالناه عن بلده فاخبرنا انه من مصر و هي في شمال افريقيا و نظرا لتلعثمه و ارتباكه و عدم وجود بلد بهذا الاسم فقد زاد يقيننا انه جاسوس كاذب..

شبك يديه خلف ظهره فعادت كتب الحركات الجسدية تنبا باسل بمعني تلك الحركة التي تدل على غضب شديد و ربما قلق.. ها قد اتت كتب الحركات الجسدية بثمارها و ان لم يتوقع باسل يوما ذلك..

ينظر لباسل ببرود غريب و يقول..

- لو ما اخبروني به صحيحا فهذا يعني ان نهايتك قد اقتربت و بشدة..

قالها بسادية شديدة..

- سيدي الملك انا من مصر..لست جاسوسا و لا اعرف اسم بلادكم العظيمة حتي..

- متزلّف ماهر..

ثم قطبه بنظرة نارية استنكارية توحي بعدم تصديقه ثم قال..

- ساعيد سؤالي ثانية لعلك تجد جوابا فيما ساقول ربما انت من البتراء او تيمقاد ربما من بالميرا او لبده مثلا ؟

- بدا عليه التردد ثم قال..

- يا سيدي الملك انا لا اعلم ان كانت تلك اسماء بلاد من الاساس ام لا..

حينها يخرج احدهم من الظلام من احد اركان الغرفة و يرفع غطاء راسه الاسود قائلا..

- ملكي العظيم ادموند.. ا تتوقع ان هناك جاسوسا يقر و يعترف من البداية.. بالتاكيد سيكذب علينا و يحاول مماطلتنا.. انه لمن الواضح انه جاسوس كاذب اتي ليدمر مملكتنا العظيمة كونت..

تبدا ملامحه في الوضوح تدريجيا رجل ابيض البشرة قد غزا الشيب راسه فانتصر.. له لحية بيضاء ليست بالطويلة و لا بالقصيرة ، يرتدي ثوبا اسودا كاملا.. تدخلت فينوس القصر في تلك اللحظة مستعطفة اباها..

- و ما المانع ان نعطيع فرصة و ننصت لما يقول لعله صادق ثم انه لا يشبه من قريب او بعيد ايا من لاجواسيس الذين امسكنا بهم قبل ذلك..

تجاهلها والدها غيرمباليا وقال..

- خذوه للسجن.. و عاجلا اجلا ستظهر الحقيقة ان كان جاسوسا او ان كان مظلوما.. لكن الان لا وقت للمهاترات..

اصطحبوه إلى الاسفل حتى وجد قبوا ليس في طابق القصر الارضي و انما تحت ارضية القصر.. قبو يبدو انه اعد خصيصا للخطرين امثاله.. بين ليلة وضحاها تبدل الحال ، صدق من قال ما بين غمضة عين و انتباهتها يغير الله من حال إلى حال.. نزل سلالم

طويلة لها مركز عمودي تلتف حوله حتى بدات الروائح الكريهه في الظهور و تشتد كلما اقترب اكثر و اكثر حتى صارت لا تطاق و اغمي عليه..

لم يتركوه كثيرا فسرعان ما افاق بطريقة ما ليجد ان الجنود قد رحلوا و تركوه في زنزانة ليس لها الا باب حديدي في احد جوانبها و لها فتحات تهوية صغيرة للغاية في اماكن متفرقة من الحجرة تنشر الضوء في بعض اجزاء المكان.. غرفة مظلمة كليا لا يري فيها حتى يديه.. لا يري الا ما يسقط عليه الضوء و هو الباب الحديدي..لا يوجد في الغرفة أي شئ حتى فراش و وسادة ، يقف عليها من الخارج جنديان يمنعان مرور أي شئ حتى الامل يمنعان دخوله.. !!

اراد ان يتيقن ان كان هناك احد بالزنزانة المجاورة ام لا فاخذ يضرب بكلتا يديه على احد حوائط غرفته حتى جاوبه من على الجانب الاخر.. اذن هي صداقة من خلف الجدران..

الامر الغريب الذي اثار حيرته هو ان وطاة الالم قلّت بشكل ملحوظ و تلك المرة الثانية التي تخفت فيها بعد عودته من المشفي لكن ا يعني هذا تحجره من المرض ؟ لم يعط لنفسه فرصة الغرق في الاحلام الوردية و سرعان ما اخرج تفكيره منها بان تلك النوبات ستعود مرة اخري..

ايامه كلها كانت رتيبة مملة لا يعرف شروق الشمس او غروبها الا من خلال فتحات التهوية.. يستيقظ في الصباح الباكر ثم ياخذونه إلى قاعة الطعام فيتناول غداءه مع غيره من المساجين ثم يعود ليقضي ليلته دون جديد لكن في احدي مرات تناوله للطعام , لمح شجارا حادا بين رجل مسن قد تجاوز الستين و احد الشباب قد استهزئ به فدار الشجار و رغم كون العجوز منهكا الا انه كان يبدو عليه احد اولئك العظماء الذين دار عليهم الزمن و لقّنهم درسا قاسيا.. كان

خمـري البشـرية لحيته قد اتشـحت بالبياض عدا اجـزاء منها قاومت فبقيت سـوداء..يعرج علـى احدي قدميه و دائما ما ترتسـم على وجهه بسـمة امـل خلفها حـزن دفين.. قام باسـل من علـى منضدته و تخطي الامتـار الثلاثـة - التي تفصله عن الشـجار - بسـرعة بالغة و منع ذاك الشـاب الذي يطلقون عليه كروبس من لكم هذا المسـن و بدلا من ذلك لقنه درسـا قاسـيا حتى تجمع حراس السـجن و فصلـوا بينهما و اعادوا كلا منهم لزنزانته.. و العجوز ينظر و يبتسم ربما قد عثر على بغيتـه اخيـرا.. بعدها بعدة ايام اخذ باسـل طعامه و اتجـه به لمنضدة العجوز و القي عليه التحية و جلس يتبادل معه اطراف الحديث..

فبدا العجوز بالحديث سـائلا باسـل عن هويته.. مستفهما متعجبا عما فعله باسل و عن دفاعه عنه فما كان من باسل الا ان قال..

- اسمي باسل و انا ضحية من ضحايا الملك و ظلمه و تجبره..

- ما الذي اودي بك إلى جحيم السجون يا ولدي ؟!

حينها اضطر باسل للكذب و اوهم الشيخ انه احد معارضي الملك السياسـيين الذيـن اراد الملـك ان يضمهم لجانبه لكن باسـل رفض مستمسـكا بمبادئه و بما يؤمن به.. فساله الحكيم عن سبب دفاعه عنـه فاخبره باسـل انـه يكره الظلـم و التجبر و يدافـع عن الضعيف مهما كلفه الثمن و ان اقتضي الامر حياته.. حاول باسـل ان يدير دفة الحوار سريعا فسال العجوز..

- لكن من انت يا سيدي و ما هي قصتك ؟ يبدو عليك انك كنت عزيز قومك في يوم من الايام..

قال العجوز بحسرة..

- انا سميث حكيم الملك سولجان و مربي الملك ادموند ..

- اذا كنت انت حكيمه فليس من المنطق ان يسجنك ؟!

- الملـك سـولجان هـو والد الملك ادموند.. اما عن سـبب سـجني فهذه قصة يطول شـرحها لها علاقة وثيقة بالملك.. سـاقصها لك فيما بعد..

استمرا في تناول طعامهما و اثناء ذلك تحدث الحكيم عن شبابه و عـن مـدي قربـه للملك و اختلق باسـل عـددا كبيرا مـن القصص الخياليـة حتى يقنع الحكيم بصدقـه.. انتهي وقت الطعام و عاد كل منهمـا لسـجنه و مـا زال صديق باسـل يدق الحائط كل ليلة و باسـل يرد عليه و كانهما يبلغان بعضهما السلام و يطئنان إلى انهما ما زالا احياء..

نام باسـل مبكرا في تلك الليلـة حتى فوجئ بان احد الجنود يفتح عليه الباب خلسه في منتصف الليل فقام باسل مرتعبا سائلا اياه..

- ماذا تريد مني يا رجل ..؟!

- لقد ارسـلني اليك الملك يسـتفهم عما دار بينك و بين الحكيم سميث.. ماذا اخبرك عن ملكنا العظيم ادموند ؟!

- كنا نتبادل اطراف الحديث حول ايام شباب الحكيم ومغامراته في تلك الايام..

- ا انت على يقين ان لم يدل لك بشـئ اخر تخص بلادنا او العائلة الملكية من قريب او من بعيد ؟

- بالتاكيـد.. و اعـدك انـه لـو اخبرني أي شـئ سـيكون الملك ادموند اول من يعلم..

اكتفـي الجنـدي بمـا اخذه مـن معلومـات و انصـرف يبلغها لمن ارسله..

فـي اليـوم التالي اجتمع الحكيم و باسـل فـي الغرفة المخصصة لتناول الطعام.. بدا باسـل يوجه اسـئلة ثائرة تابي الصمت و التراضي..

تريد اجابات اجابات فقط..

- ايها الحكيم لقد اخبرتني البارحة بان قصة سجنك قصة طويلة هل من الممكن ان تسرد على و لو جزء بسيط منها الان ؟

تنهد الحكيم سميث تنهيدة عميقة ثم قال..

- حسنا ساحكي لك الان سرا عظيما يخص العائلة الملكية فاصغ السمع و عاهدني ان يبقي هذا السر بيننا للابد ليس خوفا مما قد يحدث لي بل خوفا مما قد يفعلوه بك.. احد مخاوفي الذي طالما لازمني ان يموت ذلك السر و هو بجعبتي او ان افضي به لاحد لا يقدر قيمته.. لكن بعد ان التقيت بك ادركت ان السر سيكون في مامن اكثر معك..

حدّث باسل نفسه ما الذي يدفع هذا الرجل للادلاء بسر قد يجلب له الموت ثم قال..

- سيدي الحكيم انت تزيدني شوقا و رهبة في نفس الوقت.. رجاء ابدا بالحديث..

- منذ اكثر من ثلاثة عقود من الزمان حملت الملكة راشيل ام الملك ادموند بولد ففرح الملك سولجان فرحا شديدا و عمت البهجة ارجاء كونت..لم يكن مثار بهجة الملك حمل الملكة بولد فهو لديه ابنه البكرادموند.. لكن كان بسبب توقف مراته عن الحمل لفترة طويلة بالرغم من انه جلب لها اطباء المملكة قاطبة.. مرت شهور الحمل و لم تكن اجمل سنة يقضيها الملك و زوجته فقط بل كانت اجمل سنة قضتها المملكة باكملها.. إلى ان آن وقت الولادة.. فوضعت ملكتنا راشيل ولدا جميلا..اطلق عليه الملك اسم جامجي.. كانت الملكة راشيل ايضا سليلة عائلة ملكية فطلبت من الملك سولجان ان تذهب لعائلتها لكن الملك قابل طلبها بالرفض القاطع لان البلاد كانت في حرب شديدة و ممنوع خروج او دخول أي شخص

منهـا ايـا كان.. اختلـف النـاس في تفسـير رفـض الملـك فمنهم من بـرره بالخوف الشـديد و منهم من ارجاه إلى حـب الملك في التملك و السيطرة.. منعها الملك فهربت بجامجي ليلا.. في الصباح الباكر اول ما فتح الملك عينيه و هو في مخيم الحرب و معه ادموند ، ، علم بهروب زوجته و ابنه الصغير.. سـرعان ما ارسـل جنوده في اثرهم لكنهم لم يجدوهـم ابدا بـل وجدوا آثار مقاومة مسـتميتة علـى الارض و بعدها اختفت تلك الاثار..

انفصـل باسـل عـن الحكيـم سـميث و اخذ يحـادث نفسـه ا من الممكـن ان تكـون نفس الرواية التي قراهـا قبل ان يلقيه القدر هنا ا مـن الممكـن ان تكون تلك الاسـطورة الزائفة حقيقـة.. ما كانوا يتهكمون عليه عندما كان يقص القصة عليهم اصبح واقعا يعيشه.. نعم تلك القصة كانت بعنوان « ما بين القدر والندم «..

الغريـب ان كل ماحـدث قـد مـر عليـه و هـو يقـرا تلـك القصـة باستثناء..... رجع عقله في تلك اللحظة للحكيم فسمعه يستطرد في كلامه و يقول..

- ..... بعد ذلك دخلت بلادنا في مناوشـات مع بلاد مجاورة تدعي بـلاد الرمسـان و كانـت تلك المناوشـات فـي عهد الملك سـولجان ملكنـا و الملـك بورال ملكهم.. حذرت ملكنـا اكثر من مرة انه لا داعي للحرب و ان الحرب لن تجلب الا الدماء للطرفين لكن في تلك الاثنـاء كان الملـك سـولجان يريد ان يبسـط نفوذه علـى تلك البلاد و يضمهـا لكونـت.. اثناء الصراعات المتتالية و بعـد اختفاء الملكة راشيل لمدة طويلة وجدها جنود الملك و احضروها مسلسلة لزوجها..

قال باسل لنفسه دون ان تتحرك شفتاه..

- فسـجنها الملك سـولجان بسـبب هروبها و ضياع ابنهم الصغير جامجـي بـل و ادعـي ان جامجـي مات و ان سـبب سـجنه لزوجته هو

ارتكابها لفاحشة الزنا مع احد خدم القصر..

ردد سميث ما قاله باسل في نفسه لكن بصوت عال مما اكد لباسل شكوكه و حوّلها بداخله

لحقائق..

اكمل الحكيم كلامه و قال..

- و هذا سببا هاما للغاية جعل الملك سولجان يدفع بي للسجن لانه بدا يشعر باني امثل شوكة في ظهره و نقطه ضعف له قد تهدم في لحظة كل ما يسعي لصنعه.. في اليوم الذي قرر فيه اعدامي كان قد سبقه القدر و اخذ روحه و هكذا ذهب و معه سر الملكة و قرار اعدامي ايضا لكن كلا السرين قد عاشا معي و لا اتمني ان يموتا معي.. مرت الايام سريعا و تقلد الملك ادموند مقاليد الحكم و مات ايضا الملك بورال ليخلفه ابنه الملك كريتيس و استمرت الحرب ايضا و كأن الاسماء هي التي تغيرت فقط و ما زالت العقول محتفظة بقراراتها.. نصحت كثيرا الملك ادموند بان يكف عن الحرب و نعقد معاهدة سلام لكنه اصر ان الحرب ستستمر إلى ان تضع اوزارها.. بدات استميل عواطفه و احكي له عن امه الملكة المسجونة ظلما و اجحافا و ان الملك سولجان كان قاسيا عليها في حكمه و انها لم ترتكب الجرم الشنيع الذي نعتها به الملك و قام بنشره في جميع ارجاء المملكة و ان خطأها الوحيد انها هربت باخيه جامجي.. عندها قام الملك بسجنها ، سجنها في تلك الزنزانات و اشار بيده على مجموعة السجون التي يتواجدان فيها.. حاولت اقناع ادموند كثيرا لكنه لم يحفل ابدا بكلامي..

قالها و اخذ يسعل بشده، ،فطلب من باسل تاجيل الحديث.. هذا الوقت، ،كان قد انتهي وقت الطعام و رجعوا إلى الزنازين الا ان باسل توقف واستجمع شجاعته و اتجه نحو جنود الحراسة الواقفين

عند الباب فسالوه..

- ماذا تريد يا هذا ؟

- اريد ان القي الملك الان فمعي اسرار خطيرة تمس امن بلاد كونت و بالاخص العائلة الملكية..

ارتاب الجنود في امره في البداية فهو جاسوس و ربما تكون احد مهامه التخلص من الملك و في نفس الوقت يخشون ان يحجبوه عن الملك فيكون لديه بالفعل ما يغير خريطة هذا العلم فيتعرضون لعقاب الملك بعد ذلك.. حسموا قرارهم بذهابه للملك في حراسة مشددة للغاية لدرجة انهم قد ربطوا يديه وقدمه بنفس الاغلال القصيرة للغاية.. قرا كثير في العلم المسمي بعلم النفس و عرف ان الاشخاص المصابين بجنون العظمة لا بد ان يكون التعامل معهم بحذر شديد و في نفس الوقت لا بد من اظهار الفخر والاعجاب بكل ما يفعلونه كبيرا كان او صغيرا..

بمجرد دخوله على الملك انحني في طريقه مسرحيه قائلا..

- سيدي الملك انا...

- لقد بلغني انك تحدثت مع سميث و نقل اليك كلامه المهترئ و اصابتك عدوي خرافاته

ا هذا صحيح ؟

استجمع باسل كل ما اوتي من شجاعة وقال..

- سيدي الملك.. لم تحكم على كلام سميث قبل ان تسمعه.. كلامه إلى حد ما صحيح..

- يبدو انك سئمت السجن و تتعجل نهايتك ، انا لا مانع لدي من ان انهي حياتك الان لكن علّك تعود لرشدك.. خذوه لزنزانته ثانية..

حينها كانت بوادر خطة قد بدات تنمو في عقل باسل فقرر ان

يسلك طريقا جديدا فربما ينجح في ان يصل لما يريد فقال مستدركا باستعطاف بعدما ادرك انه لا جدوي من السير في هذا الطريق..

- سيدي الملك صبرا.. فانت لم تحط بعد ما لدي.. لقد طلبت من فخامتكم ان اتواجد هنا لامر اكثر اهمية و هي ان اؤكد اني لست بجاسوس و اني اجيد التنبؤ بما سيحدث..

- انت منجّم اذن..

- ربما ينطبق عليّ هذا الوصف يا مولاي فوالدي كان من اكبر المنجمين[1] فاخذت هذا العلم عنه و برعت فيه..

- ماذا لو فشلت ؟

- ضعني يا سيدي محل الاختبار و لن تخسر شيئا و انا في جميع الامور طوع امرك..

- حسنا سننظر في هذا الامر..

و اشار له الملك بالانصراف.. تحدثت بنت الملك في اللحظة التي كان فيها باسل على باب الملك من الخارج..

- سيدي الملك انا على يقين من نجاحه.. تبدو عليه علامات الذكاء الشديد و الثقة في النفس.. لقد لمحت عينيه تبرقان و هو يخبرك انه منجم مما يعني صدقه..

---

(١) علم التنجيم كما يدعي البعض :هم مجموعة من التقاليد و الاعتقادات حول الاوضاع النسبية للاجرام السماوية و التفاصيل التي يمكن ان توفر معلومات عن الشخصية و الشئون الانسانية و غيرها من الامور الدنيوية و يعتبره العلماء من العلوم الزائفة او الخرافات و قد اشتق اسمه Astrology من اليونانية ASTRON و تعني كوكبة من النجوم و استطاع تايكي براي تلخيصه في عبارة قائلا "استطيع ان اري ما هو في الاسفل من خلال النظر لاعلي " و كانت هناك مناظرة في الغرب بشان ما ان كانت الاجرام السماوية عبارة عن علامات فقط ام انها تبشر بالاحداث او الاسباب الفعلية للاحداث..

حـكّ الملـك ذقنه في تلك اللحظـة دلالة على التفكيـر العميق ثم قال..

- رأي الراهـب ايريـك سيحسـم الامر فيما يدعيه الجاسـوس.. ما تقول في هذا الامر ؟

- رايي يا سـيدي من البداية انه جاسـوس كاذب يماطلنا ليحظي ببعض الوقت.. و عندما لم يجد فائدة مما يفعل ابتدع فكرة التنجيم..

- لكن لم تظن انه يفعل ذلك ؟

- فـي الحقيقـة لا ادري الان.. لكنـي اثق ان هنـاك خطة تدور في عقله..

- اذن الافضل لنا ان نستريح منه للابد و نعدمه..

- لا يا سيدي و عذرا لاختلافي مع فخامتكم لكن نعطيه فرصة نتيقن من كذبه فيها و بعدها نجزّ عنقه..

رجع باسل إلى زنزانته يحارب الافكار الشتى.. الرواية التي قراها قبل ذلك الملك والراهب والحكيم و اخيرا تلك الفاتنة..

قضي ليلته حائرا بين تلك الامواج المتلاطمة حتى اقترب الليل من انتصافه فدقّ احدهم الباب بدقات خفيفة ثم فتح باب الزنزانة و خرج قلبه من بين اضلعه..

انها مارية بنت الملك..

بدات بالحديث في حرج..

- انـا اعتـذر اليـك نيابة عن والـدي.. فوالدي ملك يعشـق بلاده و يخشـي عليها من اي شئ.. و بلاد الرمسان تفاجانا بين الحين و الاخر بجاسوس بين صفوفنا..

- كنت اتمني ان ينصت للحكيم سميث لكن يبدو انه فد وضع اصبعيه في اذنيه و انتهي الامر..

- قلبي يطمئنني و يخبرني بانك صادق و انه مهما طالت تلك الضيقة فستنفرج..

كانت قد اتت معها بقدر كبير من الطعام قد وضعته في جلباب و اخفته في طيات ملابسها.. شكرها على صنعه ثم ودعته تاركة له الطعام بالجلباب..

اتي اليوم الثاني ليكمل الحكيم الحديث قائلا : اين وقفنا امس؟!

- حينما حاولت اقناع ادموند بامر والدته..

لاحظ الحكيم ان باسل مشغول الذهن فقال :

- حسنا..ا تريد ان نكمل باقي القصة اليوم ام ندعها ليوم اخر تكون فيه مرتاح البال..

- اكمل سيدي الحكيم سميث.. فلا يدري احد ما يخبئه لنا القدر الايام القادمة..

- لم يقتنع الملك ادموند بحديثي كما سبق و ذكرت لك بل على العكس زوّد عليها العذاب و الحراسة.. لكنني كنت اتسلل اليها كل يوم بمعاونة الجنود المخلصين الذين كانوا ما يزال عدد كبير منهم يثق في امانتي و اخلاصي و كنت ازودها بالطعام فادلت لي بمعلومات جديدة و خطيرة..

استطاع الحكيم ان يجذب انتباه باسل بكلماته فساله..

- ماذا قالت ؟

يسال باسل السؤال و في عينيه تلوح الاجابة لكنه يود الوصول لشئ ما في اعماقه ..

- اخبرتني.. اخبرتني انها عندما هربت خرجت بدون حراسة من القصر الملكي و بعد فترة من سيرهم خرج عليها هي و ابنها قطاع

طـرق اختطفوهـا و طفلهـا.. جزموا بان تلك الانثي و الطفل سـيجلبان لهمـا ثـورة ضخمة لما يرتديـان من ذهب و حلي.. لكـن تلك العصابة اختلفـت فيما بينها فاقتسـموا الغنيمة فبعضهـم اخذ الطفل و البعض الاخر اخذوها هي و اتفقوا على ان يمض كلا منهما في طريقه عند شـروق الشـمس.. و بحيلة اسـتطاعت الهروب لكنها لم تبتعد طويلا ففلـذة كبدها مـا زال معهم.. بل بقيـت تراقبهم من بعيـد.. حتى طلع الصباح و تتبعتهم فعرفت ان ابنها قد بيع في سوق رقيق بلاد الرمسان و ان الذي اشتراه احد القامات الكبري هناك ثم علمت انه..

قال باسل مداعبا..

- اكمل يا سيدي فقد بلغ مني الشوق مبلغه.. اما لتلك القصة من نهاية ؟ من سعيد الحظ الذي اشتراه في بلاد الرمسان ؟

فـي هـذه اللحظة احسّ الحكيم ان هناك من يسـترق السـمع من الجنـود و ينظـر اليهـم نظرات غريبة فسـكت الحكيم مـرة واحدة فابتعد الجندي في خطوات مضطربة مرتجفة.. لكن يبدو ان الليلة لن تمر بسـلام.. لم تمض دقائق حتى انتهي الوقت المحدد لتناول الطعام فعاد كل منهما لغرفته دون ان يزيد سميث كلمة واحدة اضافية..

تثاقلت اجفان باسـل في تلك الليلة فشـعر ان النوم سـينتصر عليه اخيـرا.. لكنه قلـق عندما دق على الحائط و لم يـرد عليه الاخر رغم عدم علمه بهوية السجين الاخر..في البداية جاوبه صمت شديد فاعاد طرقاتـه لكـن بقلق تلـك المرة فعـاد الصمت ليرد عليـه.. في الاخير سمع ايضا صوت احدهم و هو يسعل بشدة دون ان يتوقف.. لا يستطيع التقـاط انفاسـه ثم بـدات تقل تدريجيا حتى سـكنت تمامـا.. فاغلب الظن انه قد هدا و خلد للنوم..

اشـرقت الشمس في صباح اليوم التالي و حان وقت الطعام و ذهب للمـكان المحدد لكنه لـم يجد الحكيم.. اخذ يتلفت يمنة و يسـرة

دون ان يجده فسال عنه احد الجنود فاخبروه انهم قد وجدوه ميتا في زنزانته..

اذن القدر اختار ان يكمل باسل الرحلة وحيدا معتمدا على تلك المعلومات المتبعثرة في ثنايا عقله من تلك الرواية.. ربما وقفت المسرحية عند المشهد المهم و هو اين ذهب جامجي ؟ ربما مات السيناريست لكن بقي الابطال كما هم ليكملوا المسرحية.. هل يكون القدر قد جلبه خصيصا لأجل اداء دور البطولة ام ما زالت هناك كواليس كثيرة لم يبح بها المسرح بعد..

اغلب الظن انه لم يتناول شيئا من طعام ذاك اليوم.. عاد مهموما محملا بالاثقال حتى جاءه نفس الجندي الذي جاءه من قبل من طرف الملك.. و كأن الليل قد اعتاد على حمل الرسائل له على ألسنة بشر..

- انا موريس احد الجند التابعين للملك ادموند لكن ولائي للحكيم سميث..

- اكمل.. ا تريد ان تخبرني ان...

- نعم فالحكيم سميث هو اللي بعثني اليك اول مرة ليتاكد انك لن تخونه و تدلي بما وعد ان يخبرك به للملك ادموند او احد حراسه..

تذكر باسل ارتعاش موريس حينما اتاه و الوقت المتاخر ايضا مما يوحي انه يفعل تلك الامور خفية بعيدا عن اعين الملك..

- لهذا السبب رفض الحديث في اول لقاء بيننا ثم بدا يخرج ما في جوفه في اليوم التالي..

- بالضبط.. حينما وجدت حكيمنا متوفيا وجدته يشير باحد اصابعه تجاه الحائط الغربي من زنزانته.. و هذا الحائط هو الفاصل بين سجنك و سجنه..

- سجني و سجنه !!! ا من الممكن ان يكون هو صديقي الذي

خلف الجدران الذي ابادله الطرقات..

- نعـم هـو بعينه.. ليس هذا فقط يا سـيدي بـل كان نزيلا لنفس الزنزانة التي كانت بها الملكة قبل ان تموت..

لقد وضع ثقته كاملة فيك اثناء حياته و هو الان يضع ثقته الكاملة بعـد مماتـه و يطلب منك ان تبـذل كل ما تملك و تقـف بجوار الملك ادمونـد و تحـاول ان تزيـل عن عينيه تلك الغشـاوة و تبيـن له الحقيقة الغائبة..

حرك باسـل راسـه بحركة توحي بتفهمه الامـر.. بعد ان انصرف الجندي حاول باسل ان ينام.. يريد اي شئ ليتف به ، يرتجف ليس من البـرد و انما من الخوف من القـادم يبحث عن ذاك الجلباب الذي اتت به مارية دون ان يجده.. يبحث و يبحث لكن بلا طائل..

هـا قد عادت سـتائر المسـرح تكشـف الكثير مـن الكواليس المتوارية و يبقي السؤال ما الذي اتي به إلى هنا.. ؟!!

طلب الملك ادموند حضوره في اليوم التالي..

- ما اخر ما اخبرك به سميث قبل موته ؟

- لم يقل شـيئا يا مولاي فلقد بدات اقتنع ان ما يقوله خيال محض لا يقتنع به طفل صغير ..

- حسنا..

و نظر اليه نظره متشككة ثم قال..

- ادعيـت قدرتـك على التنبـؤ بالغيب اما زلت عنـد وعدك ام انك احجمت عنه؟

- الرجال لا تخلف و عودها ابدا يا سـيدي و انا طوع امرك في أي وقت و أي مكـان..

- امامـك طريقـان امـا النجاح و اما الفشـل ففي النجاح سـتصبح

ملازمـا لـي فـي كل مـكان لا تفارقني و سـتكون تميمـة حظي و ساغدق عليك في المقابل الاموال اما لو فشلت ف.....

و اشار بيده تجاه رقبة باسل اشارة توضح بقطعها عن جسده..

- متي نبدا يا سيدي ؟

- من الان لو اردت..

- حسـنا سـيدي و طلب منهم ان يحضروا له بلورة سـوداء كتلك التي مع السحرة و المنجمين و ذلك حتى يوهمهم بقدراته الخارقة.. ثم بدا يحرك يديه حولها بطريقة غير منتظمة و قال..

- اري جيشـا يتحـرك تجاهنا من بلاد الرمسـان يبلـغ عدده الفين جندي يسلكون طريق الشرق..

- جهـزوا الجنـود و اعلنوا وضع الطوارئ.. و لنري ما سيسـفر عنه اول اختبارحقيقي لك ..

فـي حقيقـة الامر لم يكن باسـل منجما بل كان قارئـا و القراءة تجعلـك تتخيل ما سـيحدث اذا حدث امر شـبيه او مماثـل .. فما بالك بقراءتك لما سيحدث بالتحديد..

المهـم لـم يمض يوم و نصـف حتى كان ذاك الجيـش الصغير قد وصل لاسـوار القلعة ووجد الجنود في انتظاره من اعلي الاسـوار.. في هـذا اليوم امطرت السـماء الاسـهم و دارت معركـة حامية الوطيس لكـن النصر كان مكتوبا لبلاد كونت فابيد جيش الرمسـان عن بكرة ابيه..

اصبح الملك ادموند يثق ثقة عمياء بباسل ثقة تشبه ثقة فرعون في سـحرته لكن بالتاكيد لـن يتمني ادموند ان تنتهـي الحكاية نهاية فرعون وسحرته..

اخـرج الملـك باسـل من سـجنه و اغدق عليـه الامـوال و اصبح له

منصب رفيع و قربّه منه و جعله مستشـاره الخاص و اصبح راي باسـل من الاراء الاولي المهمة التي تطلب في الجلسة و صديقنا ايريك يعض اناملـه غيظـا.. لا يدلي باسـل براي الا و احتج عليـه ايريك و كالعادة ينصـر الملـك باسـل و تزيد ضغينـة ايريك وبغضه لباسـل.. لا يخوض حربا الا بعد الرجوع لباسـل و باسل يسـتغل الفرصة تلو الفرصة حتى خرجـا في يوم يتفقـدان احوال الرعية و كانت المرة الاولي التي يري فيها باسـل التصميم الهندسـي المبهر للقلعة و التي يجعل منها حصنا حصينـا لكـن كالعـادة مـا دام الصانع بشـري فحتما هنـاك نقطة ضعف في مكان ما..

القلعـة بنيـت باكملهـا مـن الطوب عكـس باقي القـلاع و نظرا لمخطط الطابق الارضي المربع الشكل و شكله الهندسي ذا الهيئة الاقرب لشـكل المكعب كانت اشبه بما بناه الالمان.. تعمق اكثر و اكثـر فوجـده ايضا مخيـم محصن له اربـع بوابات.. شـكله العام وابوابـه تمكـن من تعبئته واخلاءه على وجه السـرعة.. له فناء واسـع يضم ما يزيد عن خمسـة و ثلاثين غرفة و جناح ملكي خاص اقصي الطـرف الجنوبي.. الجناح يتكون من غرفـة الملك الداخلية و اعمدة مزدانـة بالذهب مما تدل على براعـة صانعيها وثراء مالكيها.. جيش من الخدم و الجواري ضجّ بهما القصر..

نعـم قـد تكون هناك حمايـة ربانية من الشـمال و الغرب بالجبال و جنوبيـة بالبحر و القلعة من الاسـاس تتواجد فـوق هضبة مما يجعل اختراقهـا مسـتحيل.. لكن لا بد ان يكون لها جيش و جيش يخشـاه الجميع ايضا..

تفقد ايضا اماكن تدريب الجنود و الاسـلحة المسـتخدمة و مدي باسـهم و قوتهـم حتى في التمارين القتالية.. عـرف ايضا من الملك ان عدد الجيش يتجاوز الاربعين الف بقليل.. اعجب كثيرا بمعسكراتهم

و الخدمات المتوفرة لهم.. و قد ايقن ان هذا الجيش قد يعد من اقوي و اضخم الجيوش في ذاك الوقت..

هناك شئ اثار حيرة باسل و هو ان مارية بنك الملك فاتنة القصر كانت تجول معهم كل الاماكن و كانت هناك احاديث تدور بين الملك و باسل لكن الملك لم يوجه حديثا لها ابدا و لو لمرة واحدة حتي.. رغم انها كانت تتحدث فيبتسم باسل و ربما يرد في بعض الاوقات لكن لم يبد الملك أي رد فعل..

في صباح يوم من الايام اقتحم باسل الجناح الملكي دون استئذان..

- سيدي الملك هناك جيش جرار عدده يفوق العشرة الاف متوجه ناحيتنا ..

- بلغوا الجند بالاستعداد و اجمعوا أي شاب او رجل لديه القدرة على حمل السلاح.. و ادخلوا الاناث المخيم و اخبروهن ان يتجهزن للهروب في أي لحظة..

- المشكلة الحقيقية ليست في الجيش يا سيدي..

- اين هي اذن ؟ لا وقت لالغازك يا باسل..

- احد رجالك خائن يا مولاي و عند الفجر ستفتح البوابات بامر منه و سنجد جيش الملك كيريتيس يحاصر القصر الملكي..

- خيانة !! بين جنودي انا.. من هذا الدنئ الذي سيفعل ذلك ؟

- الراهب ايريك يا مولاي ، تحالف سرا مع الملك كريتيس..

- ماذا تقول يا باسل ان ايريك من اخلص رجالي..

- انا متاكد مما اتفوه به يا مولاي..

- برادي « كبير الجنود « اقبض على ايريك و القه في السجن حتى تنتهي الحرب و ناخذ قرارا فيه..

- سيدي الملك نحن نضيع على انفسنا فرصة ذهبية.. نحن الان

نمسك بسبب هام من اسباب النصر..

- وضّح كلامك اكثر يا باسل..

- قمة الذكاء يا سيدي ان تقرا المشهد كاملا و تظهر جهلك به.. دع الامور تجري كما خطط لها ايريك و بعد ذلك .....

ثم اغلق باسل يده بعد ان ثني اصابعه بحيث اصبح اصبع الابهام فوق الاصابع الاخري ثم لفّ يده بسرعة شديدة مما يوحي باعتصار جيش العدو..

شرح باسل خطته كاملة للملك فدهش الملك من تلك العبقرية الشيطانية التي تجلس بجواره و لا يبدو عليها سوي البراءة التي تدعو للشفقة..

مرت الايام تباعا حتى جاء اليوم الموعود فبعد الفجر بساعة واحدة اذا بصليل السيوف و صهيل الخيول.. قتلي هنا و قتلي هناك و صوت المنادي ينادي لقد تمت خيانتنا و فتحت الابواب ، يخرج الملك من شرفة غرفته مرتديا درعه الكامل تقف على يمنه مارية و على يساره باسل و خلفه برادي.. راع الجنود كيف لملك في مثل هذا الوقت الذي يخلد فيه لنوم عميق تنازعه فيه احلامه ان يرتدي حلته الحربية كاملة.. ثم اخرج سيفه من غمده فجاه وقال باعلي صوته..

- من اجل كونت.. من اجل كونت..

و في غمضة عين تغلق ابواب القلعة.. و تخرج فئة من خيرة جنود الجيش من خنادق خلف الاسوار الشاهقة يخرج من فوق اسطح المنازل رماة اسهم يمطرون اعداءهم.. و يوضع جيش الرمسان بين شقي الرحي و تدور حرب طاحنة.. لا تتبقي منهم سوي رءوسهم او دعنا نقل بقايا منها.. لا تكفي حتى ان يدرسها طلبة الطب ..

يربّت الملك على كتفي باسل و يقول..

- ما فعلته اليوم لن ينمحي من ذاكرة شعب كونت للابد..

قال باسل بفخر

- سيدي الملك انا خادمك المخلص و وجب على النصح ، فهذا دوري في المملكة اما عن الشكر الحقيقي فيجب ان يوجه لدادور.. و اشار باسل اليه..

تحدث دادور حينها و قال :

لولا رؤياك الصائبة ما تمكنّا ابدا من صد غزوهم..

تدخلت مارية في الحوار وقالت بسعادة بالغة : كنت اعلم انه سيكون لك شان عظيم في يوم من الايام..

توجه الملك ببصره لبرادي و قال بتهكم..

- ما رايك في تلك الخطة يا برادي ؟

- عظيمة يا مولاي.. لكن لم اخفيتها عنّي و انا قائد جيوشك..

- انت تعلم اننا في حالة حرب ثم مال عليه و همس في اذنه قائلا : و كريتيس يلقي بجواسيسه هنا و هناك و دادور قد قام بالامر على اكمل وجه الان احضر ايريك من السجن و اعدمه..

- لقد اختفي ايريك اثناء الحرب و لم نعثر له على اثر..

- اختفي !! كيف حدث هذا ؟ انبش عنه الارض نبشا وائتني به حيا او ميتا..

لم يجد باسل افضل من ذلك الوقت ليدلي بدلوه و ينبّه الملك فقد اجتمعت كل الظروف المواتية لذلك.. انتصار و فرحة عارمة للملك و مكانة مرموقة يحظي بها باسل في قلب الملك لم يتوقعها في اعلي امنياته خاصة بعد انصراف دادور و بنت الملك فقال..

- سيدي الملك كنت اريد ان اخبرك بامر ما ..

- ليس الان يا باسل هذا وقت الاحتفالات و من حق الجنود ان

ينالوا قسطا من الراحة..

- مولاي هذا افضل وقت متاح لادلي فيه بما اريد ..

جاوبه الملك باصرار على قراره..

- ليس الان يا باسل..

ثم نادي في جنوده ان اقيموا الحفلات و ليشرب الجميع الخمر و لترقص الجواري..

ما زال الحمل الثقيل على كتفي باسل يؤرقه كلما تحرك.. و خاصة بعد ان بات هو الوحيد الذي يعلمه بعد وفاة الحكيم..

توالت الايام تباعا حتى بعث الملك في يوم ما احد الخدم له في بيته الذي خصصه له الملك..

كانت دعوات الملك لباسل او ذهابه من نفسه للملك تجعله يطير فرحا ليس للقاء الملك و انما للقاء بنته مارية.. ارتدي من الثياب انسقها ثم اتجه لقصر الملك.. ما ان دلف اليه حتى بادره الملك بوجه غاضب..

- لمتي ستظل بلاد الرمسان تسخر منّا و تتهكم علينا ؟!!

- معاذ اللّٰه يا مولاي ان يسخر احدهم منك..

تدخل برادي و كانه يذكر الملك بشئ قد نسيه او ربما تناساه فقال موضحا باسل..

- ما يثير الغضب يا مولاي انهم قد احتضنوا ذلك الخائن المدعو ايريك بعدما هرب اليهم و طلب حمايتهم.. انا اري ان حربهم هي الحل الامثل..

- لا لا يا برادي.. ارسلوا لهم رسالة مضمونها عقد هدنة و ايقاف الحرب مقابل تسليم ايريك..

تحدث باسل اخيرا وقال بثقة ..

- سيرفضون يا مولاي ..

- لم ؟.. سيتجنبون حربا مهلكة قد تكون مثل النار في الهشيم تقضي لهم على الاخضر و اليابس.. فمن الاولي ان يقبلوا بهذ العهد..

- كلامنا مجرد فرضيات لا يوجد فيه شئ مؤكد.. لكن المؤكد ان بعد ذلك لن يقف احد بجانبهم بعد ان يعلو صيت انهم يسلّمون جواسيسهم..

- ابعث بتلك الرسالة يا برادي و لننظر ما سيكون ردهم و بعدها نقرر..

- قبل ان تاخذ قرارا يا مولاي.. هناك امور لا بد ان تعلمها فربما تغير قرارك ان كان الحرب..

- مثل ؟

- انا من اشد مخلصينك و وجب على ان انقل هذا الكلام لك في جمل مقتضبة او انقله لك على لسان الحكيم سميث نقلا عن الملكة راشيل..

- ا ستعود للخرافات ثانية ؟

- لا تنسي يا ملكي اني كنت بالنسبة لك خرافة إلى ان اصبحت واقع سعيد لك و للمملكة.. و تميمة حظك كما تطلق على دائما..

بدات تظهر علامات الاقتناع على وجه الملك مما شجع باسل على الاستمرار في الحديث..

- الملكة راشيل لم ترتكب تلك الفاحشة التي سبّها بها الملك.. كل ما في الامر انها هربت باخيك جامجي لكن الملك سولجان منعها قسرا بسبب ظروف البلاد وقتها..

- اكمل فلقد سمعت هذا الهراء من فم المجنون سميث..

- لكنه لم يخبرك بان اخاك قد بيع في سوق رقيق الرمسان و ان الذي اشتراه هو.....

- ليس اخي.. لقد مات جامجي منذ زمن و ابي الملك سولجان اخبرني بذلك و هو على فراش الموت.. و امي زنت مع احد خدم القصر.. و لو كررت هذا الكلام مرة ثانية سينتهي بك الامر مثل المجنون سميث..

- مولاي.. انا.....

- انتهي الكلام اذهب الان و احتفل و لا اعد لهذا الهراء ثانية.. ثم اشار لباسل بالانصراف..

علم باسل في تلك اللحظة انه هناك صراع شديد يدور بين عقله و قلبه.. ممزق هو..

قطع باسل على نفسه قرارا بالصمت وعدم الحديث مرة اخري في هذا الشان.. هدات ثورة الملك و بعدها بايام بعث لباسل يخبره بان مملكة الرمسان قد بعثت بردها بخصوص تسليم ايريك.. فارسل له احد خدمه ليتدارسوا الامر..

قرا برادي رد مملكة الرمسان بصوت عال على الملك و باسل و كان نصه الاتي..

- « من عظيم الرمسان كريتيس لملك كونت ادموند..

وصلني تهديدك باننا لو لم نسلّم ايريك فستقضي علينا جيوشك.. و بدون تفكير انا اعلمك ان ايريك اصبح مواطنا رمسانيا له منّا حقوق منها الدفاع عنه حتى الموت.. و انا في انتظار جيشك.. عظيم الرمسان»..

احمرّ وجه الملك ادموند بشه فالرسالة في فحواها تعلن الحرب الابدي.. كظم غيظه و وجه الحديث لباسل قائلا..

- ما رايك في هذا المتعجرف ؟

- لا تنس يا سيدي ان منظوره للامور يختلف عن منظورنا فهي

بالنسبة له ليست خيانة و انما هي خدمة..

- لكن بالنسبة لكونت هي خيانة توجب اعدام ايريك.. لن نبقي ابد الدهر رد فعل بل سنكون تلك المرة فعلا و سيلاقون منّا ما لا يطيقون..

- سيدي احد العظماء في عهدي كان يقول الهجوم خير وسيلة للدفاع..

اقترح باسل عليه الهجوم على بلاد الرمسان و ان يقطعوا الطريق عليهم و ليضعوا حدا لتلك الحروب المتتالية.. و يضموا تلك المملكة لبلاد كونت فتكون تابعة لها تاتمر بامرها و تحذو حذوها..

سرعان ما بداءوا يفتشون عن اضعف نقاط بلاد الرمسان فوجدوها جهة الشمال حيث الغابات الكثيفة التي ستحجب جيش كونت حتى يكون على مشارف القلعة المعادية لكنها في نفس الوقت نقطة ضعف واضحة للغاية قد تكون فخا يقضي عليهم في سلاح ذو حدين.. اما باقي حدوها بحيرة ضحلة من الشرق و خندق محفور بطول اسوار القلعة الغربية اما الجنوب فيتواجد جبل من التراب الذي يتواجد اعلاه عددا من الجنود يكشفون ميلا من الاض على الاقل.. استقروا في النهاية على الهجوم من الشمال.. اصدر الملك اوامره لبرادي و اعدوا خطة الحرب بان يقتحموا عند الغسق من جهة الشمال و يقتلوا من في القلعة جميعا حتى ملكهم المدعو كريتيس..

تدخل باسل في الحوار قائلا..

- اري يا سيدي انه الافضل ان تقتله انت بيديك..

اراد باسل ان يظفر ببعض الوقت لعله يستطيع تغيير وجهة نظر الملك ..

- فكرة رائعة يا باسل..

ثـم اشـار لبـرادي و امره بـان ياتي به ذليـلا منهكا يقبـل الاقدام متمنيا الموت.. فما كان من برادي الا ان قال..

- امر مولاي نافذ ..

باسل : سيدي الملك ا سنذهب للحرب معهم ؟

- لا.. سننتظر هنا حتى يزفّ خبر النصر لنا ..

و اشـار لبرادي بالانصراف و هو يبتسـم بسـمة ماكرة لم يلحظها احد الا باسل و لم يفهمه احد الا باسل ايضا فابتسم ..

و اغلقت الجلسة ، مخلفة وراءها لغز مرعب..

اسـتغرق اعداد الجيوش قرابة خمسـة او ستة ايام ثم تحرك جيش يقارب العشـرة الاف جندي تجاه حصون الرمسـان.. و باسل موقنا من النصـر و نقـل يقينه لملكـه فصارا اشـبه بالذي يشـاهد فيلما و هو يعرف نهايته جيدا..

بعـد اقل من نصف يوم من تحرك جيش كونت بقيادة برادي لغزو الرمسـان من الشـمال امر ادموند باسـل بالاسـتعداد فسـيتحركون صباح اليوم التالي..

- طوع مولاي..

- ا لن تسال او حتى تتعجب من عدم تحركنا معهم ؟

- لا يا مولاي..

- لم ؟

- لان لدي مولاي نظره ثاقبة .. للاسف تلك النظرة صحيحة..

- اريد ان اطلعك على شئ..

- اعلـم يـا مـولاي بامر الوثيقـة التي وقّـع عليها و التـي تفيد بفتح الابواب..

- داهية انت يا باسل..

و غمز بعينه فقهقه الملك بصوت عال و سمح له بالانصراف لترتيب اغراضه.. تحرك جيش يقارب الثلاثين الفا في بداية اليوم الثاني.. يتقدمه الملك و باسل و مارية.. كانت اشبه بالاميرة المحاربة « زينا " التي ذكرتها الاساطير اليونانية و هي تمتطي حصانها الابيض ممكسة بسيفها البتار في يمينها و درعها و لجام خيلها في يسارها.. صوت حوافر الخيول كان يدك الارض دكا و صهيلها مرعب ينبا ان النهاية اتية لا ريب.. بعد يوم من تحركهم عرفوا ان جيش برادي قد وصل لمشارق القلعة جهة الشمال و عرف الملك ايضا من عيونه ان جيش الرمسان كانت بانتظارهم و قد قتل الجيش عن اخره عدا فئة قليلة خمسمائة فرد منهم القائد برادي و اخذوا كاسري..

بعد نصف يوم وصل الملك للجهة الشرقية للقلعة حيث البحيرات الضحلة و خيم هناك حتى الصباح.. عند الصباح اصدر اوامره بالتحرك بعد ان قسّم جيشه لثلاثة اجزاء يمنه و يسرة و قلب..

تحركت الجيوش الصغيرة الثلاث صوب شرق القلعة.. فقد وكلتا الميمنة و الميسرة - و كان معظمهم على مستوي جيد من رمي السهام - بتوفير غطاء لجيش القلب للاقتحام.. فوجئ جنود الرمسان او دعنا نقل من تواجد منهم على الجبهات بعد ان ذهب معظمهم للاحتفال بزوال الخطر ولم تمض ساعات حتى كانت كونت و جيشها وملكها في القصر الرمساني الحاكم..

و بات سقوط باقي اجزاء القلعة في ايدي جنود كونت مجرد وقت ليس اكثر..

ماجت شوارع كونت بالفرحة الشديدة حتى اتاهم الخبر الاخير الذي ينبا بان كونت قد فرضت سيطرتها رسميا على بلاد الرمسان و ان الملك ادموند قد جلب الملك كيريتيس اسيرا معه..

لكن ماذا عن الخمسمائة جندي الاسري من جيش كونت دعونا نعود خطوة واحدة للوراء عندما دخل الملك ادموند القلعة و فتح جنوده سجونها لاصدقائهم.. حينها امر برفع علم كونت فوق القلعة و احضار كلا من الملك كريتيس و برادي و ايريك للحجرة الملكية و يا له من اذلال ان يدخل احدهم ذليلا منهكا راكعا بعد ان كان من سويعات قليلة يدير كل شئ.. كالعادة جلست على يمينه اميرته و على يساره منجمه المخلص و بدا الحديث بضحكة تهكمية قائلا..

- يبدو ان جيشي لم يتاخر كثيرا فلا احب ان ادعك تنتظر طويلا..

فنكّس الملك - سابقا - راسه و قال بنبرة خنوع..

- اعترف بانك خدعتنا بجيشك الصغير الذي هاجمنا من ناحية الشمال و جعلنا نعتقد ان هذا معظم الجيش..

- سذاجة ان ترسل جيشا له قائد خائن..

ورمق برادي بنظرة نارية.. فحاول برادي ان يدافع عن نفسه فقال و قد صبغ كلامه بلهجة تعجبية استنكارية..

- انا خائن ؟!

- نعم يا عزيزي.. و هناك اكثر من موقف يؤكد ذلك و سل ايريك..

رد ايريك متلعثما..

- يا مولاي.. انا.... انا...

- انت يا برادي من ابلغت ايريك بان باسل كشفه فهرب و انت ايضا من ابلغت بلاد الرمسان اننا سنهاجم في اليوم كذا في وقت كذا.. لهذاالسبب جعلتك تقود عدد صغير من الجيش حتى افاجاهم انا بالطريق الاخر.. اخيرا ليكتمل مسلسل جرائمك انت من امرت الجنود بفتح البوابات.. و انا كنت على علم بذلك ، لذلك كلفت

دادور بتولـي الامر و اعداد خطة مواجهة لخيانتك و طلبت من الجميع الا يخبروك شيئا..

انتهـز ايريـك تلك اللحظة ليحافـظ على رقبته ملقيـا بالتهمة على برادي..

- نعم يا سيدي.. هو من فعل تلك الفعلة الشنيعة..

- لا لا يـا ايريـك.. لا تهمـل دورك العظيـم فـي تلـك الخيانة فانت الجاسـوس و بـرادي المنفـذ بحكـم منصبـه و بعدها اصبـح برادي الجاسوس و المنفذ بعدما هربت انت بسببه و بمساعدته..

قال باسل متزلّفا..

- انت مثال حي للعبقرية السياسية و التخطيط العسكري المتقن يا سيدي..

- مـن الغريـب انـك لم تتعجـب او تعتـرض حتى حينمـا امرتك ان تتجهز لنتحرك بالجيش..

- لا تنس يا مولاي اني اسـتطيع قراءة المسـتقبل ككتاب مفتوح على مصراعيه..

قال برادي في توسل..

- الرحمة يا مولاي ارجوك..

- ان يكون قائد جيوشـك خائن و احد كبار رجال الدولة ايضا.. فهـذا يعنـي ان هناك الكثير من الامورالتي تحتـاج لقرارات حازمة و صارمة..

ثم امر جنده باخذهما لميدان عام و اعدامهم شـنقا ليكونا عبرة لغيرهمـا.. بعدهـا امـر باصطحـاب كريتيـس معهم لكونـت ليعلم صغيرها قبل كبيرها ، شبابها قبل مسنّيها ، نساؤها قبل رجالها ان لهم ملكا سـتقف امامه سـطور التاريخ لكنه نسي العبارة التي تقول

العبرة بالخواتيم يا صديقي..

مضـي يـوم وليلـة و كان كريتيس راكعـا امام عـرش ادموند.. عرف باسل انه لن يستطيع تغيير شئ فطلب من الملك الانصرف حتى لا يري نهاية المسرحية امامه..

لم يرد ادموند ان تنتهي القصة بتلك النهاية.. فامر جنده ان يطوفون بكريتيـس في شـوارع كونت ليـراه الجميع منتكسـا خانعا.. يبغي الملـك الذليـل طريقة موت رحيمة و ادموند يفكر في طريقه سـادية للتخلـص من عـدوه اللدود.. طريقة يذكره بهـا التاريخ.. عادوا به بعد ان طافوا به و دخلوا على الملك ادموند و هو يجر اغلاله جرا و قد بلغ منـه الاعيـاء حدا عظيما فترجل الملك من على عرشـه و قال بتهكم و هو يدور حوله..

- ملك امس ذليل اليوم معدَم الغد..

- امس كنت احارب من اجل وطني و اليوم اسـرت من اجل وطني و غدا ساموت من اجل وطني و هذا شرف لا يضاهيه شرف ..

- كلها شـعارات بلا قيمة و التاريخ سينساك كما نسي غيرك ، و لن يتذكر سـوي انتصاري انتصرت.. التاريخ مثل الغنائم من ينتصر يحصل عليه..

- تسـتطيع ان تشوه التاريخ و تذمني فيه كما تشاء.. لكن تاكد سياتي اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق ..

ثم نظر في عيني ادموند و كانت المرة الاولي التي تلتقي نظراتهما و يدور حديث مطول بين عينيهما لكنه حديث صامت.. قطعه الملك بان امر خدمه باحضار سـيف الملك سـولجان الـذي صنعه خصيصا مـن اجل اليوم الذي سـياتي و يقطع به راس الملك بـورال.. لكن تمر الايـام و تاتـي اللحظة التي يقطع فيهـا ادموند راس كريتيس.. و يا له من قدر !

رفع الملك سيفه ثم قال» من اجل كونت « و قطع راس كريتيس.. ثم وقف امام الجثة فاقدة الراس بضع دقائق و هو يحاول ان ينفي تلك العلاقة بين عيني كريتيس و هو يقطع راسه و عيني ابيه و هو على فراش الموت ثم اغمض جفنيه و عاد لعرشه و امر بازالة الدماء و الجثة و وضع ساقه فوق الاخري و كانه لم يقتل انسانا للتو ثم امر باستدعاء باسل.. ليقيم له مراسم خاصة للشكر و التتويج..

في تلك اللحظة في منزل باسل.. اعصار رهيب قد بدا يضرب عقله و بشدة..هزة شديدة في جسده فاحس بدنو شعور الزوال فقام سريعا و انتزع ورقة ما كان قد كتبها من زمن ثم وضعها فوق منضدة تتوسط غرفته.. بدا يحس بارتفاع شديد في ضربات قلبه و دوار يضرب كيانه كله حتى غاب عن الوعي.. تهاوي تماما و اختفي و كانه سحر..

لقد عاد إلى زمنه..

دخل احد الخدم منزل باسل بعد ان طرق الباب عدة مرات دون ان يجيب احد فوجد المنزل خاليا.. باستثناء تلك الورقة المميزة.. فتحها فوجد عنوانها رسالة للملك فاخذها و اتجه للقصر و سلمها للملك بعد ان شرح له ما حدث..

« سيدي الملك هذه الورقة هي تميمة نصرك ، ،هي من جلبت لك الخير لكنها ستجلب لك الخزي.. ساعود موطني فلا تجهد نفسك بالبحث عني..

سيدي المتحذلق اتمني ان تقرا تلك الرسالة قبل ان تنهي حياة احدهم و ان انهيتها فاقراها لعلك تخرج منها بعبرة.. و لكي نكشف القناع عن ذاك الذي سيعدم او الذي اعدم فعليا فلنبدا القصة من بداياتها لعلك تعقل شيئا و لو بسيطا فيما هو قادم.. الملكة راشيل لم تزن ابدا و انما هي جريمة هلامية من مخيلة الملك سولجان اخفي بها

غطرسته و تجبره و عدم انصياع زوجته للاوامر

لقد اختطفت ملكتي و ابنها ثم استطاعت الهرب بمفردها تاركة للصوص فلذة كبدها.. لكنها بحثت عن ابنها كثيرا قبل ان يجدها والدك و يسجنها.. فعلمت انه بيع في سوق رقيق بلاد الرمسان.. بيع للملك بورال و نظرا لكونه لا ينجب فقد تبني ذاك الطفل الملائكي الملكي لينتهي به الحال في الاخير جالسا على عرش الرمسان بعد وفاة ابيه بالتبني فهو وريث عرشه الاوحد.. انتهي به الحال و هو يحارب اخاه..افحص احد حوائط سجن الملكة و ستجد العجب العجاب..... "

نزل سريعا لا يدري ماذا يفعل.. دخل الزنزانة مهرولا و توقف امام احد الحوائط و كان نفس الحائط الذي وجدوا الحكيم يشيراليه باصبعه فنفض التراب عنه فوجد عبارة محفورة بالدماء..

« سيدرك الحقيقة لكن بعد فوات الاوان.. سيكتب بنفسه السطر الاخير من وثيقة وفاة اخيه و سيوقع سيف والدهما على تلك الوثيقة لكن بالدماء.. نعم سيبكي لكن كالبطلالذي اسدلت ستائر مسرحيته فما عاد يجدي بكاؤه.. ليغلق القدر طريق العودة للخلف و يكمل الندم الطريق للامام..

الملكة راشيل»

انتفض جسد باسل ثم هدا مرة واحدة وحينما فتح عينيه وجد نفسه في غرفته ممددا على الارض قد بلغ منه التعب مبلغه وضع يده على راسه.. صداع شديد يكتنفه.. يتذكر تلك الرحلة و ما الت اليه في النهاية.. نبضات قلبه المتسارعة ذات الصوت المرتفع تقطع تفكيره و بشده.. ما زال قلبه يؤلمه.. لم يعد عليه بفائدة ذاك المشروب او تلك الرحلة الطويلة.. لقد ضيعت من عمره عده ايام.. ذاك المشروب الذي اسماه والده بالفودكا لم يسلبه الا عقله فقط دون ان يشفيه.. ماذا فعل هذا المشروب به.. انه لاشبه باغلي انواع الفودكا «سكريمنج

ايجـل كاب « الذي ياخذك بعيدا بعيـدا عن الواقع..ليس الواقع فقط و انمـا يلقيـك في عالم من تخيلاتك.. لكنه لـن ييأس ابدا.. هو موقنا من النجاح وعليه السعي.. فان كان الماضي مؤلما فالتعلم هو السبيل الامثل لا الهرب.. انتابه اليأس للحظة ثم قرا على احد حوائط غرفته « ربما لم تكن بداية قصتك سعيدة لكن هذا لا يعني انها ستحدد من ستكون بل بقية قصتك هي من تفعل ذلك «

علـى كل حال لا مشـكلة ان يجرب مرة اخـري لكن مهلا لا بد ان يعـرف كم اسـتغرقت تلـك الرحلة من الوقت.. ليـس عليه ان يفعل شـئ سوي النظر للتقويم الموجود في غرفته لقد شرب المشروب يوم عيد ميلاده.. متيقن هو أنه لم تمض سـوي بضع ايام..اذن سـيخرج من غرفتـه ليطمئـن والده ووالدته ثم يعود لابحاثه مـرة اخري.. لكن ثمة شـئ غريـب في غرفته.. التـراب يلف ارجاء المـكان.. نعم نفس اثاث الغرفـة لكن يبـدو ان الزمان قد نال مناله.. و في نفس الوقت لم يغب عن غرفته سوي ايام قليلة كيف للتراب ان يتواجد بذاك الشكل..؟!!

يلقي سمعه فاذا بصوت المذياع الذي اعتادت امه فتحه.. يقطعه صوت ضعيف من رجل جاوز السبعين او الثمانين على اقل تقدير يصدر من الخارج.. يفتح باب الغرفة و اذا برجل مسـن قد اقترب خروجه من مدرسـة الحياة يتكا على عصا.. غزا الشيب شعره فانتصر في جميع المعارك فلم يترك شعرا اسودا معارضا و لو قلّة قليلة و كانه يبغي ان يستعرض قدراته.. وضع باسل يده على كتفه و هو يرتجف..

- انت مين ؟ ابويا و امي فين ؟ وبعدين انت دخلت هنا ازاي ؟!

اخذ والده يرتعش حينما سـمع صوته وادار راسـه سـريعا فالتقت عيناهما فارتمي باسـل في حضن والـده فنظر الاب اليه بنظره ملاها الضعف و الحنان..

- باسل !!

- ايه اللي حصل يا بابا و ازاي حضرتك كبرت بالسرعة دي..

- سـرعة ايـه بس انت اللي فينـك انا دورت عليك كتير و نشـرت خبـر في الجريدة اللي كنت شـغال فيها بس تعبـي و مرضي منعوني اني اكمل..

- خبر في الجريدة ليه يا بابا ؟ يا بابا انا سايبك ليا كام يوم.. بس واضح انك نسيت.. من كام يوم كان عيد ميلادي العشرين و احتفلت بيه انا وانت و ماما و عادل و بعدها عادل تعب و اخدناه المستشـفي و يومها عادل اتوفي رحمة الله عليه..

- كام يوم ايه بس يا ولدي ؟! اللي انت قلته ده مر عليه اكتر من عشر سنين..

- عشر سنين !!

- و اكتـر كمـان دا انا حتى من كام يـوم احتفلت بعيد ميلادك لوحـدي كالعادة ، بس على الاقل انـت كنت معايا قبل كده بتهون علي.. بس انا كنت متاكد انك هترجع حتى لو ملقتش الطريق..

و انهمـرت دموعـه علـى وجنتيه كشـلال تمده امطـار غزيرة في احدي المناطق الاستوائية دون ان يتوقف..

قاطعه باسل حينها..

- يـا بابـا كل ده من ايـام.. يومها انت قلتلي ان عـادل وصل لنهاية الطريق بدري و انا

مفهمتش قصدك..

- عـادل وصـل فعلا لاخـر الطريق.. عارف لقيوا عـادل كاتب ايه في مذكراته ..

- ايه ؟!

ناوله والده كتيب صغير قرا فيه..

« حزنت بشدة عندما علمت اصابتي بمرض الرانم.. الخوف.. الخوف هو السلاح الفتاك الذي يفتك بعمرك دون ان تشعر..خوف البدايات يقلق لكن خوف النهايات اعظم.. يظل الاحتفاظ بالشعور الجميل وان كان مؤلما اكثر فتنة من الحصول عليه ثم فقدانه ، الخوف يجعلنا نكتفي بنصف الامنيات فقط.. شكرا باسل قد ساعدتني على بلوغ امنيتي كاملة لكن يبقي هناك دائما معطي مجهول في المعادلة.. انه النصيب «....

- ده اللي لقيوا عادل كاتبه ، اوعي تكون لسه مش عارف الطريق او تايه..

- واضح اني مش تايه واضح اني مش في الطريق ده اصلا.. عموما ماما وحشاني جدا انا هدخلها المطبخ..

يدخل باسل المطبخ و يسمع والده يبكي فيبتسم لعلمه انها دموع الفرح ، يعانق امه عناقا حارا فتقول..

- وحشتني جدا يا باسل.. على فكرة انا كنت عارفة انت فين.. قلبي قالي..

- طيب ما دام عارفة طمني بابا بقي، ، قوليلي ميقلقش علي..

و قبل باسل راسها و دخل لغرفته..

بمجرد ان ولج باسل لغرفته حتى اخذ يحدث نفسه امن المعقول ان يحدث كل هذا في غيابي.. زادته رسالة عادل عزيمة و اصرار على الاستمرار فيما بدا فيه..

ثم تحرك تجاه غرفته و اغلق الباب و استغرقه تفكير عميق..

كان يشتاق للمزيد من المعلومات لكنه كان يخشى أيضا من دوران رحي عمره دون ان

يدري ..والده الان قد صار عجوزا و امه قد كبرت في السن و بدا المرض يتسلل خفية لجسدها فاغلب الظن انه سيعود بعد رحلته

القادمة ليجد رفات والده في انتظاره و اذا ما كان القدر مشفقا عليه فسيعود ليجد امه لكنه سيكون قد صار اربعينيا.. لكن للعلم ضحايا و ما نيل المطالب بالتمني و لكن.. و لكن تؤخذ الدنيا غلابا.. ا يسعي وراء حلمه تاركا ابويه ام يجلس بجوارهما و يترك حلمه.. عليه ان يختار لكن اذا كان تحقيق حلمه سيساعد البشرية فيما بعد في القضاء على هذا المرض فحلمه الان ليس ملكه لوحده بل ملك للبشرية باسرها و هو لن يضيع على الناس فرصة كهذه للخلاص..

حسم قراره انه سيتجهز ليخوض للمغامرة الثانية.. نظر لمكتبه فوجده قد اكتظّ بالكتب و الروايات فقرا عنوان رواية ما اثارت اعجابه يوما ما « ارض الخلود «..

راجع معادلاته مرة اخري و خطوات تجاربه و المقادير لتبرز امامه نتيجة جديدة.. نتيجة مرعبة هذا المشروب الذي دفع به إلى الامام ، اذا زادت جرعاته فانه يؤثّر بطريقة ما على خلايا المخ فيؤدي إلى نتيجة عكسية يؤدي إلى نقص في العمر.. رغما عن هذا فالنتيجة تستحق العناء و التضحية و كما قال احدهم يوما « على قدر الحلم تكون التضحية «.. استغرق اعداد الفودكا كما سماها والده ما يقارب ثلاثة أيام قضاها باسل في اعداد كتابه المسمي ب « كاس فودكا»..

هذا الكتاب الذي احب باسل ان يفرغ فيه ما عاشه في الرحلة الاولي و ربما ما سيعيشه بعد ان يشرب المشروب للمرة الثانية.. كتاب يحوي الامه و اماله يحي ذكرياته..كتاب لم يعرف باسل فيما بعد انه سيكون له شانا عظيما..

بعد مرور ثلاثة ايام اصبح المشروب جاهزا صالحا للاستعمال فتجرعه و غاب عن الوعي لتبدا رحلته الثانية ..

# الفصل الثالث

يبدو ان صديقنا له مكانة عزيزة عند القدر.. فقد حجز له تذكرة ذهاب و عودة على نفقته الخاصة.. لم يدم سكون بطلنا كثيرا حتى دب النشاط من جديد في عروقه و انتفخت رئتاه بالهواء الطلق.. لم يختلف الامر كثيرا عن المرة السابقة فقد وجد بيضة شبيهه بما راي سابقا تستقر امامه.. سرعان ما انفتح الجزء العلوي لها و خرج منها قائم معدني شكّل صورة هولوجرافية.. لكن اختلف الحال تلك المرة.. فقد بدات تتضح ملامح جزئية للصورة ، ان الصورة لبشري و ان لم يستطع الجزم ان كانت لفتي ام فتاة.. ايا كان فهذا البشري يمد يده له حتى تلامست يداهما و كالعادة ادخل صديقنا يده فوجدها تنفذ من الجهة الاخري دون ان يصيبها اذي و فجاة اختفت الصورة الهولوجرافية كاشفة عما وراءها من خبايا.. اثار انتباهه تلك الحشائش الطويلة الشبيهه بحشائش السافانا.. تلك الاشجار التي لم ير مثيلا لها من قبل فقد اتفقت جميعها على انها اكثر من شجرة لكن بجذر واحد و جزءها العلوي قد تباعدت اغصانه بشده في بداياتها ثم اقتربت حتى تلاصقت في نهاياتها.. اوراقها متدلية لاسفل و كانها تنحني بطريقه مسرحية لاحد الملوك.. قد تساقط منها مادة صمغية عجيبة لها بريق اخاذ يجذب الانظار و يخطف الالباب.. العديد من الحيوانات و الطيور التي تسكن تلك الاشجار.. تربة طينية منتشرة هنا و هناك لكنها لون غير مالوف من الطين نعم قد يتشابه مع ما عرفه من حيث السواد الفاحم لكن يختلف عنه كثيرا فهو صلد لحد كبير و يتواجد على هيئة كتل و كانه قد رصّ من قبل احدهم قطعة بجوار قطعة.. ما جعله يحملق و يفغر فاه

دهشــة ذاك الينبوع ذي اللون الاحمر الذي يمد المكان بالماء.. تتبعه باســل حتى اختفي مصدره.. شــمس ذاك العالم كانت شمس معتدلة ليســت بالشــدة التي راها من ذي قبل و ليست بضعف شمس الغروب.. و اقرب الظن انها تشــبه شــمس عالمه.. لكن بجوار تلك الشــمس قد بزغــت عدة نجوم بشــدة مما يوحــي بانفجارها.. لم يابــه لها كثيرا و اســتمر في ســيره حتى بدا يسمع اصوات غريبة.. اصوات اشبه بدقات الطبــول المنتظمة التي يزداد صوتها تدريجيا حتى يصل لاعلي حد ثم يخفــت تدريجيا حتى يكاد يختفي و كانها تقترب و تقترب ثم تبتعد و تبتعد.. استمر في السير حتى دخل لغابة متشابكة الاغصان فتيقن انه ربما في احدي الغابات الإستوائية في قارة افريقيا ربما في الوسط او فــي الجنوب.. لفت نظره من بعيد بعض الخيام الموجودة على ارض منبســطة و ذاك البئر الكبير الذي يتوســطهم.. سمع صوت همهمات غاضبــة و صوت اقــدام تقترب منه فاختفي خلف بعض الاشــجار.. مرّ امامه موكب عظيم يدل على ان من به شــخصية قيادية.. رجل مهيب الركــن شــاهق الطــول مفتــول العضــلات يســير مرتديا لــروب نيلي مصبوغ بحرفية عالية وقبعة صغيره تشبه الكوفيه و حوله اكثر من عشرين حارسا يرتدون قميصا منقوشا عليه كلمة « ماديبا « و يلفون حــول اوســاطهم حزاما جلديا معلقــا في احد طرفيه خنجرا منقوشــا عليــه ما يشــبه الخطــان المتوازيان و هناك خط مائل قــد ربط بينهما و الجهة الاخري ســيفا بتارا.. هذا الرجل الهركليزي - كما صورت الاساطير اليونانية شبيهه - كان يناقش احد جنوده في امر ما و هما يتجــولان وســط اشــجار الغابة.. وفجاة اذا بشــئ له ملمــس ناعم يلتف ببــطء حول قدمي باســل و بــدا يعصرهما عصرا.. شــئ من الضخامة بمــكان بحيــث صنفته كتب الحيــوان بانه من اضخم بني جنســه و اطلقوا عليه اســم « ثعبان الصخور الافريقي «.. كان باســل يعلم يقينا ان هــذا الثعبــان من الثعابين الغير ســامة لكن هابه منظــره الهائل و

وزنـه الذي قـد يتجاوز ١١٤ كيلو جـرام.. اطلق باسـل صرخة رعب.. فتحقق المثل القائل رب ضارة النافعة.. هذا المثل الذي سـينقل باسـل مـن مجـرد تائه في بـلاد غريبة إلى مكانة لم يحلم بهـا ابدا.. صرخة باسل حفّزت حواس الجنود فاطلقوا ابصارهم في كل مكان يبحثون عـن مصدر الصوت.. في تلك اللحظة اذا بصوت رصاصة تشـق الهواء متجهه لجسـد الزعيم.. امسـك اثنـان منهم الزعيـم و ذهب ثلاثة في اتجاه صرخة باسل و ذهب الباقون يفتشون عن ذاك الخائن الذي اطلق الرصاص.. قسّموا انفسهم فرقتين يبحثون في انحاء الغابة المختلفة.. فرقـة منهـم وجدت بندقيـة قنص ملقاة على الحشـائش و فرقة اخري وجدت رجلا ابيض البشـرة يركض امامهم.. سـرعان ما اطبقوا عليه و نـادوا المزيـد مـن الحـرس و ما ان حضـر الحرس حتـى انهال عليه احدهم و كان يدعي جيان و اخذ يضربه بكلتا قبضتيه و يقول..

- قتلت زعيمنا العظيم فرانك ايها القذر..

اثارت كلماته مشـاعر اصدقـاؤه فاخذوه يضربونه و يفرغون فيه غضبهم و اعينهم تذرف الدموع حتى مات..

اما الثلاثة الباقون فوجدوا باسل و وجهه يتصبب عرقا يخشي مما قد يصيبه من هذا الكائن الغريب.. يرتعب ان تكون تلك المعلومات التـي قراهـا عنه ذات يومـا معلومات مغلوطة.. يخرجونـه من افكاره سـريعا فيغرس احدهم سـلاحه الشـبيه بالرمح في راس ذاك الثعبان حتـى بـدا يتفلت رويدا رويدا عن قدمي باسـل.. يلفظ الزعيم انفاسـه الاخيـرة و قـد احضر جنده كلا من القاتل و باسـل و بندقية القنص التـي قتـل بها و وضعوهـا امامه.. يحملونه علـى اكتافهم ليذهبون به لقبيلتهـم الا انه يشـير لهم اشـارة بيده مغزاها " دعونـي هنا ".. لكن عينيه لم تتركز على جثة القاتل بقدر اهتمامها بباسل و لسانه كان يلهج بكلمة واحدة " ارياستو " و كررها عدة مرات و كانه يخبرهم

بالكثير في كلمة واحدة.. خفتت انفاسه مرة واحدة و تجمدت عيناه في مكانيهما و سكن صوته تماما فعلم جنوده انه قضي نحبه.. حملوهم جميعا و هم عائدون بهم للقبيلة اذ بباسل يلمح عينين تراقبان من خلف احد الاشجار الضخمة البعيدة.. هاتان العينان تتبعهما في صمت و باسل يشعر بذلك لكنه لا يستطيع الحديث او ربما مرارة الاسر طغت على لسانه فوق.. عينان لشخص ملثّم لا يري منه سوي عيناه لكن اثناء حركته خلفهم ببطء شديد اذ باللثام ينفك لتتضح ملامحه التي كان يخفيها هذا الغطاء.. فيعود و يضع لثامه من جديد.. ما ان يصلوا القبيلة حتى يبحث عنه باسل بنظره فلا يجده.. يصلون للقبيلة مع غروب شمس هذا اليوم الكئيب و يلاقون اخت زعيم القبيلة الصغري نارين.. لها بشره سمراء و شفتين غليظتين و شعرمجعد و بثور متناثرة في وجهها تتحدث بكبرياء الملوك و بلوعة الفقد.. حينما رات الجنود يحملون زعيمهم هتفت قائلة..

- ماذا حدث يا واكسو ؟!

- سيدتي.. لقد قتل ذاك المجرم زعيمنا بطلقة غادرة استقرت في صدره..

و اشار لجثة هانبيال بغيظ شديد.. حاولت ان تتمالك نارين اعصابها فسالته..

- لم قتلتموه ؟! لم يكن من الافضل ان نستجوبه و نساله عن السبب..

فقال واكسو..

- لم نستطع ان نسيطر على انفسنا و زعيمنا يلفظ انفاسه الاخيرة..

- قالت نارين بغضب شديد : اغبياء..

تدخل في تلك اللحظة واكسو و قال..

- سيدي كان يردد « ارياستو « « ارياستو « قبل موته فهل يعني ذلك شئ..

- "ارياستو" ا انت متاكد انه كان يردد "ارياستو" ؟! ام ان الامر اختلط عليك..

- انا على يقين يا مولاتي من ذلك والا ما سارعت لاخبركي بها..

- نعم انها تعني الكثير و الكثير.. و الا ما رددها اخي قبيل وفاته بلحيظات قليلة..

ثم توجهت بنظرها لباسل و سالت واكسو..

- من هذا و اين وجدتموه..

- هذا يا سيدتي لغز اخر.. فقد تزامن وجوده مع مرور زعيمنا في غابتنا..

- انه لامر غريب حقا..

- الاغرب يا سيدتي انه حينما شهق مرتعبا اذا بزعيمنا قد اصيب..

- و لم صرخ بصوت عال ا ليحذركم ام ليصرف انتباهكم..

- لا اعلم يا سيدتي لكننا وجدنا ثعبانا كبيرا يلتف حول ساقيه حتى كادا ان يتلاصقا و اغلب الظن ان هذا سبب صراخه..

اشارت بيدها لواكسو اشارة توحي بالصمت فتحول لصنم في الحال و اشاحت بوجهها عنه ملتفتة لباسل قائلة..

- من اين اتيت..

- من مصر..

و هو متيقن انه سيحدث مثلما حدث في المرة المنصرمة.. سيكذبونه ثم يلقونه في غياهب احد السجون و تدور الدائرة كالعادة لكنها فاجاته بقولها بهدوء..

- مصر هبة النيل..

التقط باسل طرف الخيط سريعا وقال..

- نعم انت تعرفينها؟!!

- و مـن لا يعرف مصر ، ، انها حاميتنا الاولي و الوحيدة ولكن لم كنت تختبا خلف الأشجار طالما انك من بلد حبيب.. ؟

- لقد كنت في بعثة تابعه لجامعتي لكني ضللت الطريق فراعني مرور الزعيم و حرسه فاختبات خوفا من ان يُظَنّ بي الظنون..

- يكفينا انك مصري..

ثم سرحت بخيالها و اخذت تردد ارياستو ارياستو.. ثم قالت

- ها قد اتت اللحظة التي انتظرتها قبيلتنا كثيرا.. عذرا يا باسـل لكنك سـتبيت تلك الليلة تحت حراسة مشددة و هي من باب حمايتك ليس اكثر.. و في الصباح الباكر لنا حديث طويل..

ثـم اشـارت بيدهـا لواكسـو بخصـوص هانبيـال اشـارة توحـي باعدامـه.. و كأن واكسـو كان ينتظـر تلـك اللحظـة ثـم تركته و انصرفـت.. تعجب باسـل مـن تلك المعاملة و تعجـب الجنود اكثر من تلك الثقة التي منحته اياها دون حتى ان تستوثق بنفسها من كلامه..

مضت تلك الليلة و بعد شـروق الشـمس اذا بنارين تدخل خيمته و تامر حراسها بالوقوف

خارجها..

- اتمني انك قد هنيت بنومة مريحه امس..

- نعم إلى حد ما..

و هـو يتفحص عينيها املا في ان يكشـف ما يدور بخلدها لكن عينيهـا كانت اشـبه بنـار عميقه سـطحها هـادئ و قاعها مضطرب بشدة..

- انا نارين اخت الملك..

- علمت ذلك من حديثك مع واكسو..

- لكن ما لا تعلمه معني الكلمة التي رددها اخي قبيل وفاته..

- ارياستو..

- نعم ارياستو.. ان تلك الكلمة تعني الكثير.. فهي اسطورة خالدة.. نبوءة تنبات بها احدي العرافات..

قال باسل بتهكم..

- و ماذا تقول تلك الخرافة..

- نبوءة وليست خرافة..

ثم حدجته بنظرة استنكارية..

- و هي لملك عقيم لم يمن القدر عليه بوريث.. هذا الملك سيقتل على يد قاتل ماجور و في نفس وقت مقتله يبرز شخص يدعي انه افريقي.. هذا الشخص س.... س....

- سيعدم !!

- لا لا.. سيتقلد مقاليد الامور و يصير زعيما لقبيلتنا..

- انا !

- نعم انت.. انت من منّ عليه القدر بذاك الشان ليسطّر اسمك في تاريخنا.. يا للقدر تكون زعيما لمجرد ان ذكرتك النبوءة..

- لكن كيف احكم بلدا لا اعرف حتى اسمها..

- سل القدر فهو من اتي بك لهنا..

القت كلمتها و قامت انصرفت فلم تدع له مجالا للتفكير او حتى النقاش و هي على مقربة من باب الخيمة قالت..

- جهز نفسك فالليلة ستقام احتفالات و مراسم تتويجك..

نازعته افكاره اين يذهب عقله به كل مرة.. اين يلقيه ولم يلقيه.. ا هناك شئ يستتر خلف ستائر ما يعيشه.. في الاخير هو هنا لمهمة واحدة.. ان يتيقن من فاعلية مشروبه ريثما يعود ليس هناك شئ بيده الا مجاراة الاحداث..

اتوه بثوب عبارة عن قطعة واحدة و جعلوا شعره ضفائر و وخطوا على وجنتيه بسائل غريب تركه علامة حمراء في جهة و اخري زرقاء في الجهة الاخري..

سرعان ما بدات المراسم بعد غروب الشمس بقليل.. احضرت الولائم و تعالي صوت الطبول الافريقية و الرقصات الافريقية الشهيرة التي طالما احب ان يشاهدها في التلفاز و يقرا عنها في الكتب حتى انه من شدة حب صديقنا لتلك الرقصات خال نفسه " كتافودبيا " المفكر و الفنان الافريقي المشهور اذا بفتاة مقبلة نحوهم فتاه في عمر العشرين.. بالرغم من سنها الصغير الا انها قد لمست جانبا في قلبه.. لقد راي تلك الملامح من قبل.. لقد راي ذاك الجوهر من قبل.. اخيرا لقد احس هذا الاحساس من قبل.. عرف فيما بعد انها بنت الملك و تدعي راوية.. دقّ قلبه مضطربا انها تشبه بنت الملك مارية.. نعم هي هي فاتنة القصر الملكي.. قد يختلفان في الشكل لكن قلبه دق لكلتيهما.. قطعت حبل تفكيره نارين فقامت و رفعت يدها اشارة بالصمت و بدات بالحديث و الدموع تترقرق من عينيها ..

- لقد انتظرنا تلك اللحظة طويلا.. نعم جميعنا حزاني من اجل الملك فرانك.. لكننا سعداء من اجل قبيلتنا العظيمة.. هذا اليوم الذي اخبرتنا به النبوءة انه سيغير من مكانة كاليبولا للابد..

فتعالي هتاف اهل القبيلة..

- اليوم نعلن باسل زعيما للقبيلة..

ثم اخذت تهتف و هم يرددون وراءها..

- من اجل كاليبولا.. من اجل كاليبولا..

ثم ألبسوه تاجا عليه نفس العلامة التي راها منقوشة على خنجر احد جنود الملك فحدث نفسه ان ذلك ربما يعني رمز القبيلة.. فتعالت الصيحات..

- يحيا باسل.. يحيا باسل..

انتهي ذاك اليوم و توجه صوب خيمة الزعيم.. كانت تختلف عن باقي الخيم فهي خيمة مسقوفة بالقش.. في الخارج جنديان لا يغمض لهما جفن.. و في الداخل فراش وثير و وسادة ناعمة و كرسي مزين بنقاط حمراء اغلب الظن انها من ذاك الينبوع الغريب.. باسل في وجوم تام لا يدري ماذا يصنع او كيف يحكم تلك البلاد التي بالكاد عرفها اسمها قبل ساعات.. كان ملجاه الوحيد من مرض التفكير هو النوم لكنه غاب عن عقله ان ما سيهرب منه سيلاقيه في احلامه..

قبل ان يخلد للنوم ، ،لاحظ انتظام ضربات قلبه و كانه شخص طبيعي لا يعاني من أي مرض لكنه اصبح مريضا خبيرا و يعلم ان المرض سيهاجمه مرة اخري حين يستيقظ او على الاقل بعد فترة من الزمن..

نام ليلته و في عقله تضطرب الافكار.. يتمني الا يستيقظ فهو يخشي ان يطمس بجهله ماضي و تاريخ تلك القبيلة الذي هو من الواضح انه من العظمة بمكان..

حينما يستيقظ يجد ان شاه قد شويت و مدت على طاولة ضخمة و بجوارها بعض المقبلات الغذائية التي يسيل لها اللعاب.. يبدا باسل بغسل وجهه في البداية ثم يتوضا وضوءا كاملا ثم يصلي.. تدخل نارين فتحترمه و هو يؤدي فروض ديانته.. فتساله..

- ا انت مسلم.. ؟!

- نعم و باي ديانة تدينون انتم..

- انا مسلمة و عائلتنا كذلك..

- كيف تتحدثون العربية ؟

- لقد درس جزء كبير من قبيلتنا في الازهر الشريف منارة العلم.. لذلك اتقنّا اللغة العربية و بعد عودتنا لكاليبولا نشرنا اللغة العربية فاصبح معظم اهل القبيلة يلهجون بها و من لا يستطيع الحديث يفهمك اذا حاورته بها..

- و هل كل اهل القبيلة مسلمين ؟

- لا.. يوجد شق مسيحي ايضا و بعضا ما زال يعتنق تقاليد الوثنية ، ما زالت عادات ابائهم راسخة في عقولهم.. كوجود الارواح التي تاتي من الاموات و غيرها..

- ارواح ؟!!

- نعم انهم فئة قليلة لكن رغما عن ذلك استطاعوا ان ينشروا في القبيلة ان الارواح تتمثل في كائنات ضخمة تخرج ليلا و تهيم في الغاية بل و قد تاكل البشر.. و ساعدهم على نشر تلك الخرافات وجود بعض القتلي..

- لكن لم اقترن وجود بعض القتلي بالارواح ؟!! قد تقتلهم حيوانات مفترسة كالاسود و الضباع و غيرها..

- نحن نعلم ذلك.. لكن الخوف و ما ادراك الخوف.. الخوف دعا بعض الناس إلى ذبح حيوانات و تقديمها كقرابين لكي يتخلصوا من اللعنة..

- يا للجهل..

- ليس جهلا بقدر ما هو اقتناع..

حرك باسل يده موحيا بعدم اقتناعه بالامر و انه لا جدوي من النقاش..

تناول باسل طعامه و قبل ان ينهي طعامه دلفت راوية بنت الملك فالقت عليهم التحية فلم ترد نارين و ابتسم باسل و دعاها للجلوس و لم تمض فترة حتى خرجوا يتفقدون احوال الرعية فاستاذنت نارين بالانصرف لتوقيع بعض الاوراق الهامة فاذن لها..

لاحظ ان الرجال يلبسون قطعا من الجلد لستر عوراتهم اما الفتيات فيرتدين قميصا صغيرا من الجلد ايضا و يضعن حليا من الخرز الملون اما امهاتهم فيرتدون ملابس طويلة شبيهه لما ذكرناه انفا.. اتفق كلا من الرجال و النساء على العادة الفريقية الشهيرة و هي وضع حلقات من الخرز حول كواحلهم.. بدا واكسو و راوية يتناوبان في اخباره بالكثير عن القبيلة

حدثته راوية عن اهل القبيلة فهم يعيشون في جماعات صغيرة تربط بينهم صلة القرابة.. يعيشون في عدد من الاكواخ .. هذه الاكواخ لها بناء هندسي على شكل قبه.. يتكون كل كوخ من غرفة واحدة و لا يزيد عن غرفتين.. جدرانه قد صنعت من قصب طويل تتجاوز المتر و بها فراغات على هيئة نوافذ مغطاة بستائر خفيفة.. داخل الكوخ قد وجدت غرفة لاعداد الطعام و اخري للمبيت.. اكواخهم مرصوصة فيما يشبه دائرة غير منتظمة هذه الدائرة تضم الماشية و تحاط من الخارج بسياج كبير.. ظهر جليا مدي احترامهم له كزعيم اثناء سيره و وقوفهم على جانبي الطريق يبادلونه التحيات و الورود و لاحظ تقدير الصغير لمن هم اكبر منه سنا و جوا من الالفة يسود ربوع المكان.. عرف انه يتم التفريق بين الصغار عند بلوغهم لسن العاشرة فالاولاد يبداون في التدرب على السلاح و امتطاء الخيل و من لم يشتد عوده بعد في تلك السن يرعي الابقار و يعتني بها إلى ان يلحق بزملائه.. اما الفتيات فيأوين للمنازل لمساعدة امهاتهن و حلب الابقار و تجهيز الطعام و تنظيف الخيام.. ما اثار انتباهه هو وجود كما

كبيرا من الماشية و رغما عن ذلك لا يستخدمونها في طعامهم.. فهم يشبون الهندوس الذين يمتلكون اعلي نسبة من الابقار في العالم و مع ذلك لا يذبحونها.. بدا يعرف الكثير عنهم فعرف انهم يحترفون مهنة الصيد و يعتمدون عليها في طعامهم يخرجون للصيد كمجموعة و لا يصطادون بالطرق التقليدية بل يراقبون الفريسة من بعيد و يشكلون حلقة حولها و يضيقون تلك الحلقة حتى لا يعد لها سبيلا للهروب و من ثم يطبقون عليها.. كانوا يصطادون الغزلان و الارانب البرية و غيرها بل من العجيب انهم كانوا يصطادون الحيوانات المفترسة كالضباع والفهود و غيرها حتى يامنوا شرها و في نفس الوقت للاستفادة من جلودها في ملابسهم..

استمر باسل في السير حتى وصل لسر كاليبولا الاعظم او كما سيعرف فيما بعد سرها الاخطر وصل لاشجار كاليبولا و تربة كاليبولا الغريبة فتوجه ببصره صوب واكسو وقال..

- منذ ان وطات قدماي ارضكم تلك و عقلي يتسائل عن ذاك السائل الغريب الذي يتدلي من تلك الاشجار و عن تلك التربة الصلدة التي اقف حائرا في وصفها..

- هذا سر كاليبولا العظيم الذي لا يعلمه العالم عنا.. منذ ما يزيد عن قرن من الزمان هبط شئ ناري علينا اضاء سماءنا و احال عتمة ليلنا لنهار بزغت فيه الشمس و كانها تستعرض قواها.. ثم صنعت هذا الممر المائي..

و اشار بيده للممر المائي ذي اللون الاحمر و كانه مصبوغ بالدم.. ثم استطرد في

حديثه..

- بعدها بدات تلك المياة تغذي التربة و تحولها لما تراه..اعتقدنا في البداية انها لعنة قد حلّت بنا و بدات تعلو اصوات اولئك المؤمنين

بـالارواح.. حتى نمت اشـجار تلك الغابة لتعطينـا كل عام قدرا وفيرا من سائل لم نعرف خصائصه الا من فترة قريبة.. سائل الرخا..

- الرخا !!

- نعم.. سائل يشفي الامراض و يطيل عمر صاحبه لدرجة قد تصل به للخلود..

- مهـلا ان كان الامر هكذا فلـم مات ملككم مثخنا بجراحه ما دام قد شرب هذا المشروب..

- للاسف لم يقتنع ابدا بقدرات هذا المشروب بالرغم من ان اخته نارين قد تجرعـت بضع قطرات منه و لم تمرض ابـدا و ما زالت على قيد الحياة لكنه كان دائما يقول انها ستموت يوما ما.. و هو بانتظار اليوم الذي تبطل فيه خرافة الخلود..

- الحياة ترافق الجميع و لا تتمسك باحد..

- نعم.. لكني كنت و مازلت مقتنعا و بشـدة بذاك المشـروب.. و بما انك ستصبح زعيمنا فقد حان دورك لتتجرعه..

- اظن ان الزعماء فقط هم من لهم الحق في ذلك..

- بالتاكيد.. و مع ان اهل كاليبولا يعلمون بسـره لكنهم رفضوا ان ينالوا تلك المكانة و اصروا ان تكون للعائلة الملكية وحدها..

- لكن ان عرف العالم ذاك السائل فلن يترك لكم منه ما يكفي لاطعام طفي ملكي رضيع..

- لذلـك صـار سـرنا الاعظم الـذي وجـب علينا كتمانـه للابد و حمايته و ان طال الامر ارواحنا..

- لكن ا لم تفكروا في الاستفادة من ذاك الينبوع الاحمر بطريقة اخري..

- كيف ؟

بـدا في الحديث و هو يسـتعيد ذكريات معملـه القديم و تجاربه: بمعنـى ان تبـداون في فحص الخـواص الطبيعيـة و الكيميائية لهذا السـائل الاحمـر و تسـتغلونه في صنـع عقاقير و مـواد اكثر صلادة تدخل في صنع اسلحة تدافعون بها عن انفسكم و اجهزة متقدمة..

- نعـم لقـد فكر ملكنـا العظيم فرانك في هـذا الامر لكنه لم يشـا ان يخبر العالم بهذا السـر لذلك لم يطلب معونتهم بل بعث قدرا كبيـرا مـن شـبابنا الذين ظهر نبوغهـم باكرا من فتـرة طويلة لدول متقدمـة كالولايـات المتحدة و كندا و المانيـا و المملكة المتحدة ليتعلموا هناك و يتقنوا الكثير من العلوم و بعد فترة يعودون لموطنهم و يمدونه بما لديهم من علم و بهذا يظل سـرنا الاعظم اسـيرنا للابد.. لكن القدر شاء ان يموت زعيمنا لتخلفه انت و تكمل مسيرته..

ثم امر واكسـو بان يحضروا لباسـل سـائل الرخا ليشربه ، ما ان لامس هذا السـائل حلقه و بدا يصل لمعدته حتى شـعر باسـل بنشاط عجيب و شعر بان الامر قد انتهي..

ربما لم ينته بل بدأ..

عاد باسـل لخيمته.. بدا باسـل يعرف بعض المعلومات المرعبة عن تلك البلاد التي بين طرفة عين صار سيدها.. لا يدري ا يهرب ام يواجه.. ا يكون قدر المسـئولية التي القيت علـى عاتقه ام يخبرهم بالحقيقة التـي طالمـا اخفاها.. ثم كيف لتلك الاسـطورة ان تجمعه هو و مقتل الزعيم فرانك في يوم واحد في مكان واحد.. انّي لتلك الاسـطورة ان تعلم انه سـياتي و هو في الحقيقة بسـبب نتاج تجربة قد يثبت خطاها في النهاية.. دخل عليه احد جنده و اعطاه رسـاله عليها خرزة بيضاء.. فضها باسل سريعا و هو يقول متهكما على حاله..

- اتمني مزيدا من الغموض فقد سامت الاعتيادية..

فوجدها رسـالة من احد زعماء القبائـل المجاورة - قد ترجمها له

احد خدمه - يبعث له فيها بتهانيه الحارة عن منصبه الجديد و يدعوه لحفل زفاف ابنه.. بعث باسل ردا بالموافقة و بانه سيحضر و معه بنت الزعيم السابق فرانك.. لم يدر باسل لم يصر على اصطحابها في كل مكان ا حفظا لمكانة ابيها ام ان هناك شيئا يخفيه قلبه.. في اليوم التالي تحركا باتجاه القبيلة المجاورة و كانت تدعي « امونيولا «.. في اثناء سيرهما بالغابة اذ بعينين ترقبان باسل من بعيد كلما تحركوا تحركت تلك العينان و كلما وقفوا لينالوا قدرا من الراحة اختفت العينان.. و باسل لا يريد ان ينقل قلقه لجنوده.. وصلوا اخيرا لقبيلة امونيولا و حينها وجد قدرا كبيرا من الماشية المذبوحة فاخذ يتساءل عن السبب الذي دعاهم لمخالفة القاعدة تلك المرة فعلم ان تلك الماشية لا تذبح الا في مناسبات معينة كاحتفالات العرس و المآتم و ان الناس ينظرون اليها على انها مصدر الثروة و معيار المكانة.. اما الطعام اليومي فيعتمد كليا على الصيد..

بدات مراسم الزفاف التي كانت في احدي الليالي القمرية ، حضر الزوجان و كاهن القبيلة و بارك الزواج.. و حينما تقدم والد العريس بقدر كبير من الابقار لوالد العروسة امام الناس فكر باسل لم هذا الفعل فطرح عليه عقله مجموعة من الافتراضات منها ، اظهارا لقدراتهم المالية او مقابلا للخدمات المنزلية التي كانت تؤديها العروس لاهلهم او ربما لا هذا و لا ذاك و ان هذا احد تقاليدهم العديدة التي بلا سبب و عقتله يختلق الاسئلة البديهية.. و قدم العريس للعروس قطعة من جلد الضباع باعتباره من اثمن الجلود ثم رقصا سويا على الموسيقي الافريقية التي تخص كل قبيلة دون غيرها ثم انتقلت العروس على ظهر ثور لكوخ زوجها و حملت صديقاتها اغراضها الخاصة على رءوسهن إلى المنزل وسط فرحة عارمة..

عاد باسل لكاليبولا و تلك العينان لا تفارقان خياله تتمثلان له

في كل موضع.. الغريب انها نفس العينين اللتين رآهما في الغابة عند مقتل الزعيم فرانك.. من هذا الشخص الذي يراقبه من بعيد دون ان يكشف له نفسه ا يضمر له الشر ام انه يخفي معه سرا جديدا ؟؟

مرت ايام باسل تباعا فذهب في يوم يتفقد الجيش فوجد بعض الادوات البسيطة كالسيوف والرماح و الاسهم و الخناجر و الدروع.. عدد الجيش لا يجاوز البضع الاف.. لكن كان يظهر في وجه الجنود القوة و الشراسة.. يرتدون ملابس من جلود الحيوانات التي يصيدونها و غالبا ما تكون من جلود الفهود و درعا من المعدن المكسو بجلد القطط المتوحشة و غطاء له راس ذو ذيل معدني.. و في يوم دعي لاحدي الحفلات الراقصة فبدا يتناول طعام الشعب و يشرب شربهم.. كان باسل يتشبث باي فرصة تتاح له للتقرب من اهل القبيلة و معرفة اسرارهم.. فاتوا له باطباق من الارز و اطباق من اللحم والخضر ، قطع فاكهة مجففة ، قطع لحم غريبة الشكل فسال عنها فاخبروه انه لحم غزال يعلق على اكواخهم لفترة فباعده عنه.. مشروب الشعير الساخن و اخيرا مشروب اشبه بالخمور.. و هو خبير بانواع الخمور و خاصة الفودكا.. المهم انه اكتشف فيما بعد انه نبات يشبه البطاطا يعطي لذه لكن لا يغيب عن العقل.. استمرت ايامه هكذا حتى جاءته نارين ذات مرة ليتبادلا اطراف الحديث..

- هناك امر ما اريد اخبارك به..

- غير سر كاليبولا العظيم..

- نعم.. ان والدي تاوري كان له من الابناء اثنين.. فرانك و ايثموث.. فرانك تولي حكم قبيلتنا و بعث بايثموث لاحدي الدول المتقدمة..

- لم ؟! بعثه ليبعده عن الحكم..

- اطلاقا.. لكن جاءت انباء لابي و هو على فراش الموت تعلمه بان مخابرات احدي الدول قد علمت بطريقه او باخري عن الرخا..

مما يعني وجود جاسوس في قبيلتنا.. و نظرا لان هذه الاخبار قد اتت بعد ذهاب ايثموث و شبابنا بسنوات معدودة فقد شك كلا من ابي و فرانك ان ايثموث او احد الشباب قد اغراه المال.. فباع سرنا العظيم..

- و بعد..

- تم تتبع جميع شبابنا بلا استثناء فوجدنا كلا منهم مهتم بعلمه بل ان صيته قد بدا ينتشر في العالم و ان بعضهم قد صار رائدا لعلمه في العالم..

- اذن الجاسوس هو..

- نعم.. فقد استاذن فرانك من ابيه ان يذهب و يتدارس الامر مع اخيه فاذن له.. ثم كانت

المفاجاة.. بعد ايام عاد فرانك ومعه راس اخيه و ادعي ان اخاه قد انكر ما وجه له من تهم و بادر فرانك بالضرب فقتله..

- و ماذا يعنيني انا من تلك القصة ؟!

- يعنيك الكثير فما ادراك ان جذور الخيانة قد اقتلعت.. ربما بقي هناك خونة بيننا فخذ حذرك و لا تنس لا بد ان تكون ملمّا بتاريخ البلد التي تحكمها..

انتهي الحديث و كالعادة حمل لباسل معلومات جديدة و باسل يردد سؤالا واحدا

ما الذي اودي بنا لهنا ؟؟!

بدا باسل بعقد اجتماعات مع السحرة الاطباء ليخبرهم بانه قد بعث لعلماء القبيلة ما يفيد بان الوقت قد حان للرجوع لبلدهم الام و خدمتها فهي في امسّ الحاجة اليهم الان.. بالرغم من سن باسل البصغير الا انه كان محنكا لدرجة كبيرة فكان يطبق قول الفيلسوف الصيني « هان فان تسو " "الحاكم الذكي لا بد ان

يكون غامضا فيبدو و كانه لا يستقر على راي واحد و يصعب فهم ما يريده بحيث يفكر الجميع في محاولة فهم ما يقصده دون ان يعترضوا فكيف لهم ان يعترضوا على شئ لم يفهموه ، بذلك ينعم الحاكم بالهدوء و يرتعد منافسيه «..

باسل كان يطبق تلك الكلمات بحذافيرها لذلك لم يشا ان يطلع احدهم عمّا يدور في عقله.. كان يريد ان يعرف افكاهم حول تلك المادة التي تقود إلى الخلود و مدي صلادة تلك التربة فربما تنبثق عقولهم عن استخدامات اخري تجعل لكاليبولا مكانا عظيما في اواسط افريقيا.. و الحقيقة ان هذا الحوار اوضح ان بعضهم لديه نزعة استعمارية غريبة فمنهم من اقترح تصنيع اسلحة فتّاكة و استخدامها في غزو العالم.. و منهم من كان يفهم لفظ " السلام " بطريقة خاطئة فاقترح ان يبقي الحال على ما هو عليه و ان العالم يكفيه ما فيه من اسلحة تحيله لرماد في لحظات معدودة.. كان باسل يتكا في مجلسه و يستمع فقط لارائهم دون ان يتفوه بكلمة واحدة.. و بعدها حسم الجلسة قائلا : بمجرد ان تطا اقدام علماءنا اراضي كاليبولا.. سنصدر مجموعة من القرارت ستغير من شان كاليبولا للابد..

ثم اشار لهم بالانصراف دون ان يصلوا لما في راسه.. حتى و لو قرار واحد..

لاحظ باسل ان اهل القبيلة يجلّون السحرة الاطباء بشده فجعلوا لهم رداءا خاصا و منازل خاصة بل و في اغلب الاحيان تحية خاصة.. فالسحرة كاوا يلبسون الملابس المزركشة المغطي معظمها بالريش.. و حول خصر كل منهم حزاما جلديا قد نقش عليه اسمه و وظيفته بالذهب الخالص.. كان اهل القبيلة وخصوصا اهل الارواح يؤمنون بقدرة هؤلاء السحرة على شفاء الامراض بل المضحك المبكي انهم كانوا يثقون في قدرات السحرة على التسبب بالمرض

- و ذهب بعضهم للموت - للاصحاء سليمي البدن.. كانت لهم مجموعة من الوصفات العشبية التي تذهب الم المريض و تساعده في علاج الامراض و الكسور و الحمي و غيرها.. اسلام باسل منعه من التصديق بمثل هذه الخرافات و ان هؤلاء السحرة ما هم الا اطباء مهرة.. مجرد اسباب جعلها اللّه لشفاء عباده.. ما اثار سخرية باسل ان اهل القبيلة كانوا يذهبون للسحرة حتى ينزلوا بهم المطر بعد ان حل بهم الجفاف لفترة طويلة في الوقت نفسه الذي كان يصلي فيه باسل صلاة استسقاء في خيمته.. ما زاد يقين الكاليبوليين بالسحرة هي تلك الوصفات و المواد الكيمائية الدقيقة التي كانوا يصفونها للمزارعين منهم و تاتي بفائدة.. كمساعدة المحاصيل على النمو مثلا او حمايتها من التلف او زيادة كمياتها.. كالعادة الخوف فوق كل شئ.. فالسحرة كان يضفون جوا من الرهبة و الغموض على اعمالهم و كانوا يتكلفون طرقا معينة في السير و يضعون المساحيق على وجوههم..

في الاخير حسم باسل قراره ببناء عدة مصانع بعضها لاعداد الاسلحة المتقدمة و و بعضها الاخر لصناعة الاجهزة المتقدمة التي ستعود بالنفع على اهل كاليبولا و خاصة بعد ان علم بوصول العلماء الشباب للقبيلة.. اذن ليس هناك داع للانتظار فباسل رجل سلام لكن السلام الحقيقي لا يقوم الا على قوة..

لم يخطر بباله ابدا تلك الرياح التي تاتي بما لا تشتهيه السفن.. و التي ستقلب الامور راسا على عقب.. فمع وضع اللبنات الاولي للمصنع الحربي.. كان باسل يحتفل بعرض عسكري لجيشه و في اواخر العرض العسكري كانت تقام عدة منافسام بين شباب القبيلة لمعرفة من الاقوي و هكذا..

لفت نظر باسل هذا الشاب الاسمر القصير ذي البثور المتناثرة

على وجهه الذي لم يخسر اي نزال من بدء المسابقة.. حتى اتي النزال الاخير و انتصر فيه ايضا.. و عندما اقترب منه باسـل ليعطيه الجائزة المخصصـة للفائـز اخرج خنجرا من طيات ثيابـه اخفاه بدقة و وضعه على رقبة باسل ، فتعجب باسل من صنعه..

قام الجالسـون جميعا و حاول واكسو و من معه منعه لكنه نادي باعلي صوته..

- من سيقترب منكم فساذبح ملككم ذبح النعاج..

قال واكسو بغضب..

- من انت و ماذا تريد و كيف تتوقع ان تخرج من هنا حيا..

- انا الذي اسـتحق هذا العرش انا من يجب ان اكون ملكا ليس هو..

فانتابت الدهشـة الجميع و امر باسل جنوده بان يتراجعوا.. فخفف هذا المقاتل وطأة نصل الخنجر عن رقبة باسـل و ما ان اسـتدار باسل له حتى اقسم باسل باغلظ الايمان انه قد رآه قبل ذلك لكن اين..

- من انت لقد رايتك تراقبني غير مرة..

- انا فلافي الملك الحقيقي لتلك البلاد..

- لم ؟!

- لاني من نسـل الملك تاوري.. و بهذا اكون انا الوريث الشـرعي لعرش كاليبولا..

و اشـار إلى الكرسـي الذي يجلس عليه باسل.. و هنا قامت نارين من وسـط الحضور.. نعم انه من نسـل فلافي و الدليل تلك البثور التي تمـلا وجهه و التي يمتاز بها زعماء كاليبولا دون غيرهم من العامة او حتـى من زعماء القبائل المجاورة و ذاك الوشـم المرسـوم بدقة بالغة على كتفه و الذي يستحيل تقليده حتى من افضل الرسّامين على وجه

العالم.. فقام احد الحاضرين و قال..

- و ماذا عن النبوءة ؟!

نارين : النبوءة تتحق في حالة عدم وجود وريث شرعي.. لكن لا يجوز ان يتنحي باسل عن العرش دون قتال حتى الموت..

فقال فلافي..

- على الرحب و السعة..

و انتهي الامر على حدوث قتال في احد الايام القادمة..

و نبض قلب باسل بشده حتى انه قد جاوز كل حدود الفسيولوجيا الطبية المتعلقة بشخص حي اما نارين فكان عقلها يغلي بسؤال واحد كيف خالفت النبوءة الواقع.. ان فرانك ليس له ابناء و كذلك فان ايثموث قد قتل صغيرا.. و في نفس وقت مقتل فرانك كان باسل حاضرا هناك حلقة مفقودة من الاحداث.. ماذا حدث ؟؟

قررت نارين ان تجهد نفسها في التفكير لكن بعد انتهاء اللقاء المصيري الذي سيحدد مصير القبيلة.. انقسم اهل القبيلة لشقين شق احبّ باسل مما رآه منه و شق كان يعترض على باسل من البداية و لا يريد ان صدفة حمقاء تجعل شخصا ما - لا يعرفون شيئا عنه و الادهي و الامرّ ان اصغر اطفالهم يعرف عن القبيلة اكثر منه - يحكمهم و يكتب تاريخهم بيده.. في الاخير اراؤهم لن تغير من الواقع شئ..

مرت الايام حتى جاء يوم الفصل.. اعطي لكل منهما سيف و درع و لا يرتدي من لباس الا ما يستر عورته فقط.. قبل ان يبدا القتال اقتربت راوية من اذن باسل و قال " ان كتب لك النصر فستظل ملكنا و ان لم يكتب فستظل ملكي انا فقط « و ربّتت على كتفه.. بدا القتال و بدا فلافي بالضربة الاولي تلقاها باسل على درعه ثم عاجله بضربه قاصمة بحد السيف تفاداها فلافي بمرونة مدهشه ثم اخذا يناوران

بعضهما البعض حتى قطع باسل الصمت بضربة نافذة اصابت يد فلافي بجرح بالغ و هنا تعالت الصيحات..

- يعيش ملكنا باسل..

في حين رددت راوية في نفسها..

- بل يعيش ملكي فقط..

و هنا لنا وقفة فالشاهد سيقول ان باسل يقترب من النصر و رغم ذلك فان مخاطبة راوية لنفسها تعني بان نهاية المعركة قد اقتربت بكثير و لن تكون في صالح باسل ابدا.. فكيف هذا و هذا.. لكنه يقين القلوب يا صديقي.. و ما ادراك ما يقين القلوب ؟

المهم ان فلافي قام واقفا على قدميه مرة اخري و وجه طعنة نجلاء لباسل تلقاها باسل على سيفه فانكسر سيفه فالقاه و القي درعه و اخذ يصارعه بالايدي العارية.. و يا له من مشهد رجل اعزل يقاتل اخر اكثر مهارة بكثير منه و معه سيف و درع.. اظهارا لقدراته القتالية قرر فلافي القاء درعه هو الاخر و وجه له احدي الكمات الساحقة التي لم تصب باسل بسوء لانه تلقاها على ساعده لكن فلافي لم يقصد تلك اللكمة ابدا بل كان يقصد نقاط الضغط[1].. نعم مثلما قرات نقاط الضغط الموجودة في الرقبة و التي تمنع وصول الدم للمخ.. فينزف الشخص المصاب من انفه و اذا لم يتم الضغط

(١) لقد تعرف عليها الصينيون بطريقة التجربة على مدار الايام و السنين حيث انهم لاحظوا وجود نقاط معينة عند الضغط عليها يزيد او يخف الالم و بعض النقاط لا تحث اي تغيير..عند الضغط على هذه النقاط على سطح الجلد تنطلق مواد كيميائية عصبية تعمل على تخفيف الالم تسمي الاندروفينات و عند توقف الالم فان كميات الاوكسجين و الغذاء و الدم تصل بشكل اكبر إلى المواقع المصابة مما يسبب لها الاسترخاء و يثبط الاشار المسئولة عن الالم من الوصول للدماغ و بالتالي يخف الشعور بالالم و على النقيض يحدث العكس..

بطريقة اخري على تلك النقاط يموت المخ فيموت الانسان.. لقد كان فلافي عالما بنقاط الضغط و لقد اصابها تماما فخرّ باسل جاثيا على ركبتيه و التقت عيناهما و دار حوار طويل ردد بعده باسل في تقطع " ارياستو.. ارياستو « فتعجب الجميع ، ان باسل يلفظ انفاسه الاخيرة لم يردد تلك الكلمة بالذات.. حينها تدخلت نارين و اقتربت من باسل فوجدت باسل قد استلقي ارضا فحسست بيدها على رقبته و اعلنت موته و نصر فلافي و توليه الحكم و عيناها جامدة و كانها قد فرغت من الدموع.. و انصرف الجميع منهم الحزين على فاة الملك المحنك الشاب و منهم السعيد بان من يملك امرهم الان واحد منهم و ليس غريبا عنهم.. بهذا طويت صفحة من صفحات كاليبولا لتبدا صفحة جديدة اشد سوادا من ذي قبل..

بدات ايام حكم فلافي لكاليبولا باصدار قرارا مبدئيا باعدام جيان و هذا القرار كان غريبا مفاجئا لاقصي حد.. فجيان يعتبر ثاني رجل عسكري بعد واكسو في القبيلة بالاضافة ان سبب الاعدام الذي صدر بحق جيان كان محفوظا للزعيم فقط و لا يحق لاحد ان يسال عنه..باصدار عدة مراسيم للقبيلة توحي بالنهج الذي ستسير عليه البلاد فيما بعد.. نهج المال فقط.. كفرض الضرائب و المزيد من الاعمال على اهل القبيلة.. و كأن الكاليبوليين و ما يمتلكون من ثروات ليسوا الا سلعة لمن يعرض اكثر.. كل هذه القرارات التعسفية جعلت الشعب يثور بشدة لكن في داخله انتظارا للفرج.. اول قراراته كان باستكمال العمل في بناء المصنع الحربي و بداية العمل في مصنع الاجهزة التقنية بل و تقليل المدة التي كان سيستغرقها البناء في عهد باسل و ان كلّفه الامر المزيد من الاموال و كانه ينوي امرا ما ، و ارسال رسائل لجميع دول العالم متضمنة رسالة تعريفية عن قيمة المادة الصمغية و المعدن الصلد و عرضها على العالم و النظر في رد تلك الدول و القيم التي يحددونها و بيعها للاعلي سعرا و

كانه قد عقد مزادا علنيا بل و كتب في تلك الرسائل ان لديه القوة الكافية لحماية ما يملك اذا سوّلت لاحدهم نفسه ان يعتدي على تلك الارض فاوهمهم بانه استطاع ان يصنع سلاحا شديد التفجير من تلك المواد و انه سيعمد لتفجيره اذا ما حاولت احدي الدول اخذ ما معه عنوة.. ذهبت بعض الدول إلى ان كلام ذاك المتعجرف اشبه بكلام هتلر عن السلاح السري الذي طالما هدد به و هو سراب في الحقيقة حتى صنعت الولايات المتحدة القنبلة النووية.. اما البعض الاخر فخشوا ان يكون على حق و ذلك بعد ان اطلعهم خبراؤهم على مدي قوة ذاك المعدن الذي قد يستخرجه و ربما استخرجه بالفعل من السائل الاحمر ليس هذا فقط بل و خصائصه الكيميائية.. ان الامر لاشبه ان تترك قاذفة قنابل في يد طفل صغير.. لذا نصح المختصّون بسرعة التدخل مع الحذر الشديد.. فبدات يغدقون عليه المال و صديقنا يزداد غرورا و غطرسة و ثقة بامكانيات ما يملك.. لقد ادار اللعبة بمهارة شديدة لكنه نسي الفخ.. فخ الطمع.. في احد اجتماعاته مع علمائه اشاروا عليه لم لا يكون ذاك السلاح الوهمي الذي يهدد به العالم واقعا و واقعا مرعبا يجعله يحقق اكثر احلام البشر سادية و هو السيطرة على العالم.. و ما دمت انت الاقوي فالكلمة الاولي و الوحيدة لك.. التقي هذا الكلام مع هوي في نفسه فقام بعمليات تخزين لكميات هائلة من السائل الاحمر و الغريب انه قام بالبحث عن مصدر هذا الينبوع دون ان يجده.. اخذ عينات من ذاك السائل ذي اللون الاحمر و قام بتحليلها و عمد لجمع كل كميات المادة الصمغية التي تتساقط من الاشجار.. و الاهم من كل هذا انه بدا يماطل تلك الدول في تسليم ما تم الاتفاق عليه بعد ان حصل منهم على مقدّما كبيرا كان كافيا للغاية لبناء مدينة الاحلام من وجهة نظره و كأنه يحاربهم باموالهم كما قال كارل ماركس قبل ذلك..

المهم بدات تتوالي الاخبار السارة عليه.. لقد نجح العلماء الشباب

الذيـن جلبهم باسـل مـن الخارج و الذيـن انتقاهم الملـك فرانك بدقة شـديدة في تصنيع اول سـلاح فتاك من ذاك السـائل الذي استطاعوا ان يحولـوه باكثر من طريقه لمعدن صلد.. لم يكن سـلاحا بالمعني الحرفـي بـل كان سـياجا.. نعـم سـياجا كهرومغناطيسـا يخفيهـم عـن الانظـار.. فيبـدو و كانك تحارب شـبحا هو يـراك و انت تكتم ضحكاتك و هو يتلفت حوله دون ان تبدر منك اي بادرة.. ان الفكرة بسـيطة للغاية و هي ان تحيط القبيلة بسـياج كهرومغناطيسـي يعمل علـى الغـاء انعكاس الضـوء على الجسـم و بالتالي ينفـذ الضوء من خلاله فيختفي عن العين..

و هنا تدخلت نارين قائلة..

- سيدي الملك لسنا اهلا للحرب.. لم نكن ابدا دعاة حرب..

- مسكينة انت.. ا تظنين ان العالم لو كان بوسعه ان ياخذ الرخا او ذاك المعدن قسرا

ا كان سيمانع و يقف مكتوفي الايدي او حتى يعمد لمفاوضتنا..

- لا احب كلام نيتشه هذا كالبقاء للاقوي و غيره.. كنا نعيش في سلام قبل ان تاتي..

- و ها قد اتيت و ساجعل كاليبولا تحكم العالم..

ثم قال لاحد علمائه ..

- نريد ان ننتقل من مرحلة الدفاع لمرحلة الهجوم..

- ماذا تعني يا سيدي..

- اعني ان ذاك العالم البغيض لن يقدرنا حق قدرنا الا حين تدمير معالم رئيسية كالكريميلين في روسيا و البيت الابيض في الولايات المتحدة و جسر البرج في بريطانيا و غيرهم من المعالم التي ستجعل صيتنا يتصدر الصحف و غيرها..

عندهـا فقط سـنضع شـروطنا علـى الطاولة و لن يكـون امامهم سوي الاصغاء والموافقة..

و اخذ يقهقه بسـادية عجيبة توحي بان القادم سـيحمل المزيد من الدماء او ربما المفاجات.. انصرفت نارين و قلبها يضطرب خوفا.. هذا المجنون سـيودي بهم جميعا للهلاك.. لا بـد من ظهور المنقذ و عودته لمسـرح الاحداث.. ما ان اسـدل الليل ستائره حتى خرجت و قد غطت وجههـا بلثـام اسـود و رداء كامل من راسـها حتى اخمـص قدميها و مشت مسافة كبيرة في الغابة و هي تنظر خلفها بين الفينة و الاخري تخشـي ان يكـون هناك مـن يراقبها.. تاخـذ مسـارات متعرجه حتى وصلت لكوم من الاخشاب قد تشكل على هيئة كوخ صغير طرقت بابـه و لكزتـه فانفتح ثم دلفت للداخل.. خلعـت لثامها و قالت بصوت خافت للماكث على فراشه يراقبها بعينيه الذي اعتدل في جلسته..

- عـذرا باسـل و لكن هذا الرجـل قنبلة موقوتة بحـق.. كاليبولا بحاجة ماسّـة اليك.. ينبغي ان تعود و فورا فلا ندري ماذا سـتحمل لنا الساعات القادمة.. ان مصير هذا العالم يتوقف على مدي ذكاء اولئك العلماء الذين يقبعون في مختبراتهم.. باسل ! باسل !

كان باسل ينظر اليها لكنه كان سارحا في تلك اللحظة يتذكر كيف نجا بعجوبة فنارين حينما تحسست رقبته - بعد ان بدا بالنزيف من انفه - لم تكن لتتاكد ان كان هناك نبض في الشريان السّباتي ام لا بل كانت تضغط على نقاط الضغط لتعيد باسل للحياة.. لا تدي ان كانت تفعل ذلك لايمانها بالنبوءة ام لانها رات في باسـل الحاكم الملهـم الـذي اختاره القـدر ام انها رات في فلافـي ذاك الارعن الذي سـيدفعهم للهاوية وقـد كان.. المهم انها امـرت جنودها امام الجميع باصطحـاب باسـل لدفنه و قد اسـتحق باسـل الاوسـكار فـي تمثيل مشـهد موته امام الجميع بعدها اخذته لذاك المكان ليكمل شـفاه

و كانت راوية تزوره من حين لاخر..

انتبه باسل لحديثها قائلا..

- نارين.. هناك امر ما اود اخباره لك..

- ليس الان.. كاليبولا في خطر..

- الامر يتعلق بكاليبولا..

حينما ذكر اسم كاليبولا و لمعت عيناه بشده ادركت نارين ان هناك سرا خطيرا سيقال الان سيقلب الامور راسا على عقب..

- حينما استخدم فلافي نقاط الضغط.. دار حديث بين عينينا..

- لا افهم ما تقول..

- حسنا لنعد بالامر من البداية.. حينما قال الزعيم الراحل فرانك ارياستو اريناستو لقد كان يقصد النبوءة..

- نعم.. لقد فهمنا ذاك جميعا..

- نعم لكن كان هناك معطي خفي و هو حظي العاثر الذي اصبح رائعا فيما بعد..

- ماذا تعني..

- لقد كانت هناك عينان تراقبان و كأن شغلها الشاغل اصبح معرفة ما يدور.. لقد كانت تلك العينان عيني فلافي..

- ماذا ؟!

- نعم.. النبوءة لم تخالف ابدا وجود وريث شرعي لكن القدر تدخل و جعلني في ذاك المكان في ذاك اليوم ليعتقد الجميع اني الطرف الاخر لتلك النبوءة.. يموت فرانك و اجلس انا على العرش.. في حين ان الواقع كان ان يموت فرانك ويجلس فلافي على العرش و بذلك تتفق النبوءة مع حق الوريث في العرش..

- اذن القدر فقط هو من دفعك للوجود في هذا المكان..

- نعم و للاسف..

- اذن ماذا كان يفعل فلافي هناك..

- تلك هي المفاجاة الحقّة.. اظن ان فلافي قد تعجّل وصوله للحكم و ربما ظن انه لو صارح فرانك فسيقضي عليه او سيودعه في احد سجون كاليبولا ليقضي فيه باقي

عمره.. و نظرا لعلمه بالنبوءة - باعتباره من نسل الملك تاوري - فقد اراد ان يبدو الامر مجرد صدفة بحتة..

اكملت نارين و كانها قرات ما يدور بخلد باسل..

- يموت فرانك و يجدونه هناك وبذلك تتحقق النبوءة دون ان تشوبه شائبة و يظهر في نظر شعبه ذاك الحمل الوديع.. عقل شيطاني بامتياز..

- لكن القدر قال كلمته بتواجدي انا..

- اذن فلافي من هارب لمجرم لملك..

- ما جعل عقلي يؤمن بتلك القصة هو ان عندما التقت عيناي بعيني فلافي في قتالنا الاول تذكرت صورته الكاملة التي رايتها للحظة حينما سقط لثامه عندما كنت بالغابة و بعدها بسرعه اعاد وضعه مرة اخري..

- تذكرت انه كان اسمر البشر.. قد برزت في وجهه بثور غريبة الشكل.. و على كتفه قد ظهر وشم غريب لم اره من قبل لكني رايته حينما وضع خنجره على رقبتي..

- و هذا الوصف ينطبق كليا على فلافي..

- اذن هذا سبب اقوي لان تعود.. ان بلادنا الان في يد قاتل لا يعرف الرحمة.. بلادنا في مهبّ الريح و انت من ستعيدها لمكانها الحقيقي..

- لكن بكل الاعتبارات هو وريث شرعي للعرش..

- نعم لكن احد اهم قوانين كاليبولا.. تسقط شرعية الحاكم اذا ثبتت ادانته و ان اراد البقاء في مكانه يخوض قتالا حتى الموت مع المدعي عليه.. و القدر ينصف الصادق..

ها قد زينت ابتسامة العدل ثغر القدر و ها هو يعود من جديد.. انتظر حتى اكتمل شفاؤه.. و جاءت الاخبار تدك كاليبولا دكّا.. لقد صنفت الامم المتحدة كاليبولا مصنعا ل « الارهاب «

و تنوي القضاء عليها بتحالف جميع الدول.. و قد اصدر فلافي بيانا يستعرض فيه قوة سلاحه على جزيرة مهجورة و حينما قرءوا ما يمكن ان يفعله انتفضوا من الرعب و الذهول.. و علم باسل ان الساعات القدمة بل الثواني القادمة لا بد من اخذ خطوة مباشرة لوقف هذا الهراء..

دخلت راوية على باسل و هو يتقلد سيفه و يرتدي درعه و قالت " ستظل في قلوبنا للابد مهما كانت النتيجة ".. فربّت على كتفها وخرج..

خرج باسل من كوخه و عقله يحوّل ما قرا من كلام مكتوب لمشهد واقعي.. كيف لسلاح ان يغير لون السماء للون الاحمر الغامق و يجعلها تمطر رصاصا يقتلع الاخضر و اليابس و يحيلها لكومة تراب في لحيظات معدودة.. كيف من الاساس - كما ذكرت التقارير العالمية - لتلك الامطار ان تظهر من العدم لتلقي وابلا من الدمار ثم تختفي فجاة.. ا لهذا الحد وصل فلافي لتلك الدرجة من التقدم.. ا لهذا الحد تلك المادة الصمغية و ذاك المعدن لديهما تاثير يجعل العالم باكمله يرتجف.. لا يوجد الا حل واحد فاذا اردت القضاء على الافعي فعليك بقطع راسها.. الراس فقط.. و ستموت رويدا رويدا..

كانت نارين في تلك اللحظة قد جمعت قدرا كبيرا من الجند

المخلصين للملك السابق فرانك و بعضا من اهل القبيلة ممن يجيدون استخدام السلاح و قسمتهم لفرقتين.. فرقة تحاصر المصنع الحربي سبب كل تلك الكوارث و الفرقة الاخري تحاصر منزل فلافي قبل ان ياتي باسل بل و ان بعض العلماء قد بدا يقف في صف نارين و باسل و يمدهم بمعلومات عن المصنع و هنا بدات الخاتمة.. لكن نارين قد اضمرت في نفسها شيئا ما و هو ان في حالة ان انهزم باسل سيقتلون فلافي غدرا ليريحوا القبيلة من شره و تتزوج واكسو و توليه الحكم باعتبار ان قوانين القبيلة ينص على عدم تولي امراة الحكم.. ليس هذا فقط و انما امرت خدم فلافي بوضع ما يشبه المخدر له و قد لاقت عندهم قبولا لذلك - ربما لتجبره و ظلمه - حتى لا يكون في حالته اثناء القتال و بهذا يسهل على باسل الامر.. وجدت نارين في البداية بعض المقاومة ثم استكانت لها القبيلة باكملها.. فما استيقظ فلافي الا و وجد نفسه تحت فرض الاقامة الجبرية و ان ليس امامه الا الانصياع لما سيفرضون عليه من قرارات.. وصل باسل القبيلة و كانت مفاجاة للجميع ان يرونه حيا يرزق فمنهم من قال ربما دواء الرخا و منهم من قال ربما هي روحه متمثله.. المهم انهم قد هتفوا له هتافا شديدا و حملوه على اكتافهم حتى وصلوا به لمنزل فلافي.. اعطت نارين الاوامر بتجهيز فلافي لذاك اللقاء المصيري و حتى يكون هناك تكافؤ للفرص فقد البسوه نفس ما يلبس باسل.. لم يكن اعداد فلافي للقتال بمفاجاة له فهو مقاتل صنديد لا يشق له غبار بقدر انه تفاجا بان الطرف الاخر باسل..

كان اول ما نطق به فلافي عند رؤيته لباسل..

- يبدو ان للقط تسعة ارواح[1] كما يقولون..

- لكنهم في مصر يقولون للقط سبعة فقط.. و انا قد خسرت

(١) مثل انجليزي اما في مصر فاالقط له سبعة ارواح فقط..

الاولي لكن لن اخسر ابدا الثانية..

- يبدو انك ثرثار اكثر من اللازم.. لقد انتصرت مرة و سانتصر الثانية لكن تلك المرة بجزّ عنقك..

- من يضحك اخيرا يضحك كثيرا يا صديقي..

تحدثت نارين قبل بدء القتال لتخبر الناس بسبب القتال فقالت..

- اليوم امامنا قتال حتى الموت.. هذا الصعلوك استاجر قاتلا محترفا ليتخلص من ملكنا فرانك لكن القدر شاء ان يكشفه على يد ملكنا الحقيقي باسل لذلك طبقا لقوانين كاليبولا فسيدور بينهما قتالا إلى الموت و الصادق حتما سينتصر و سنعرف الحقيقة ..

ثم اشارت بيدها فدقت الطبول معلنة بداية القتال..

بدا القتال و احتدم من اولي لحظاته فباسل يرفض الخسارة مرتين و فلافي اشبه بقط ثائر نال ما يريد بعد عناء شديد.. هذا يضرب و ذاك يتلقي الضربات و في ثنايا القتال يستخدم باسل بعضا من حركات الكراتيه و الكونغ فو التي تعلمها في صغره و داوم عليها في شبابه.. لكن فجاة وبدون مقدمات بدا فلافي في الترنح و التحرك كسكير افرط في الشراب و اغلب الظن ان هذا كان بسبب المخدر الذي بدا تاثيره يظهر -المخدر الذي وضعه خدمه له -.. باسل ايضا لم يمهله فبدا يصبّ عليه جمّ غضبه و هنا بدات ترجح كفة باسل.. فبدا يلقي سيفه و يضربه بقبضات متتالية موجهه في اذنه و كلتا كليتيه..

في بداية الامر قال احدهم ان باسل لمجنون يريد ان يعيد الكرّة مرة اخري.. لكن قبضات باسل التي كانت تعرف طريقها جيدا جعلته يترنح.. و بدا يشعر بالاعياء حينها عاجله بضربه من الضربات القاتلة التي خرّ على اثرها كثور اجهد صاحبه ، سقط على ركبيته فتناول باسل السيف و وضعه على عنقه ثم قال " من اجل كاليبولا

و مـن اجـل دماء جيـان الطاهرة « و ما هي الا ثوان قليلة و يرفع باسـل السيف و يفصل رقبة فلافي عن جسده حتى قال بألم..

- الا تريـد ان تعـرف حتى من انا و كيـف وصلت لهنا و لا حتى لم قتلت جيان..

تدخلت نارين قائلة..

- بلي.. انتظر يا باسل ، هات ما عندك..

- انا فلافي ابن ايثموث اخو الملك فرانك و ابن الملك تاوري..

- ماذا ؟

فكررها بصوت عال و كانه يلقي خطابا جماهيريا..

- انا ابن ايثموث اخو الملك فرانك..

- و هل لايثموث ابناء..

- نعـم لقـد قتل عمي والدي دون ان يدرك انه قد ترك شـوكة في ظهره.. شـوكه سـتظل تؤلمه كلما تذكر مشـهد قتـل والدي.. لقد زني والدي ايثموث باحدي فتيات الليل الحسناوات لاكون انا حصيلة تلـك الفاحشـة.. مات وتركنـي دون رعايـة لأترعرع و اتعلـم القتال و انتظر بشغف ذاك اليوم الذي اجلس فيه على عرش والدي الذي كان يستحقه..

تدخل باسل قائلا..

- ايثموث كان خائنا و لهذا قتله فرانك لذا لم يستحق ابدا العرش..

- عـذرا يـا ملكنـا العظيم.. لم يكن ايثموث خائنـا ابدا بل كان وفيـا لاقصـي درجـة لكاليبـولا.. الخائن هـو فرانك.. لقد سـمعتهما باذنـي و هما في غرفة والدي بالولايات المتحدة و كان والدي يعاتب فرانك قائلا..

- لقد تسربت اخبار عن اسرارنا يا فرانك..

- و من فعل ذلك برايك ؟

- اما زلت تدعي الجهل.. لم فعلت هذا يا فرانك ؟

- انا ؟!!!

- نعم.. و ها هو الدليل كميات من الرخا مسربة لاحدي الدول الحديثة مقابل بضع مليارات تم ايداعها في حسابك البنكي في سويسرا الذي كنت تخفيه عنّا طيلة السنين المنصرمة لكنني كنت على علم به حتى علمت بالصفقات القذرة التي تقوم بها..

ثم ناوله ورقه تحمل اسم و حساب بنكي و قد اضيف له خمسة مليار دولار يوم....

- و لانك لا تريد ان ينكشف الامر فقد بعثتني لانقل لك الاخبار من هنا في حين تنعم انت بالهدوء دون ان يكشف احدهم خيانتك..

- لكن يا اخي.....

- لا بد ان تعاقب و لا صوت يعلو فوق مصلحة كاليبولا..

لم يتم ابي العبارة حتى اخرج فرانك خنجره و طعن ابي عدة طعنات و اخبر من معه بالقصة التي سيخبرون بها الجميع و هي ان يعكسوا الحقيقة وهي ان ايثموث قد مات خائنا..

- جريت مسرعا و الدموع تنهمر من عيني لا ادري إلى اين اذهب فاستترت خلف احد اعمدة الاضاءة و انتظرت فرانك و من معه حتى رحلوا و معهم جثة والدي و تاريخه المشوه.. نمت بذرة الانتقام في جوفي حتى صارت هدفي الاوحد لاعود يوما ما و احكم كاليبولا او على الاقل اصحح ما قيل عن ابي حتى كبرت وبعدها استاجرت ذاك القاتل هانبيال ليقتل فرانك و اظهر انا في الصورة لتتحق النبوءة لكن القدر عاقبني بوجودك انت و حرمني من العرش.. كنت قد طلبت من جيان ان يستثير مشاعر الحرس و يدفعهم دفعا لان يقتلوا

هانبيال خوفا من ان تمسكون به و يدلي بما يعرف من معلومات عنّي و قـد كان.. بعد ان تقلدت مقاليد الحكم تخلصت من جيان حتى لا يكون شوكة في ظهرة و من خان مرة يخن الف مرة.. و ها قد نجحت في بعض ما اردت فالان فقط اموت بشرف..

ثم تناول غمد سـيفه و كشـف عن جيب سـري فيـه و اخرج ورقة مطوية عدة مرات ما ان ناولها لباسل حتى فضها سريعا فاذا بها وثيقة بنكية تؤكد ما يقول..

و صمـت و اغمـض عينيه انتظارا لان يجهز باسـل عليه.. فلما طال الامر فتح عينيه و اذا باسل قد القي سلاحه و مدّ يده له و قال..

- انهض يا صديقي.. اما عن العدل فقد تحقق انت لسـت بقاتل.. و انما هو القصاص العادل لتحيا كاليبولا و يحيا ملكها..

و غمز بعينه ، ثم قال..

- امـا عن احلامك فقد تحققت بجلوسـك علـى العرش و تصحيح المفهـوم الخاطئ عن والدك فعدني امام الجميع ان السـلام سيسـود العالم و اننا لن نستخدم سرنا الا فيما ينفع البشرية..

- اعدك يا صديقي..

و شدّ فلافي على يد باسل.. ليكتبا في تاريخ كاليبولا فصلا جديدا..

هتف الجميع و اقيمت الولائم في ذاك اليوم احتفالا بالزعيم الذي اعاد القدر اليه رشده و يا له من قدر هذا الذي يحيلك من طفل لمجرم ثم لحاكم ثم لمحكوم عليه بالاعدام ثم لحاكم مرة

اخـري و كانها احدي قصص شكسـبير التراجيدية.. اجتمع هو و باسـل و قـررا ان يفتتحا مراكـز لكاليبولا في جميـع دول العالم على ان يتـم التعـاون بين الجميع و تبادل الخبـرات فكاليبولا توفر الخامات

و الـدول المتقدمـة توفـر المصانع نظير المال و توظيـف اهل كاليبولا و الحصـول على نسـبة مقابـل المـواد المصنعه بل و تعليم ايضا شـباب كاليبولا.. في الاخير طلب فلافي من باسـل ان يكون نائبا و مستشارا لـه لكن باسـل راي ان دوره الايـام المقبلة يتمثل في الكـوخ الذي بناه من الاخشـاب في الغابة ، عارضه فلافـي كثيرا لكنه نزل لقراره في النهاية.. عاد باسـل لكوخه و جلس على فراشـه و خطّ ورقة كتب فيها " القـدر منصـف للغاية و ان تراءي العكس ".. بدا اعصار رهيب يضرب عقله و بشـدة .. هزة شـديدة في جسده فاحس بدنو شـعور الزوال.. راي ماريـة و هـي تدخل عليه الكوخ.. بدا يحس بارتفاع شـديد في ضربات قلبـه و دوار يضـرب كيانه كله حتى غاب عـن الوعي.. تهاوي تماما و اختفي و كانه سحر ..اخر ما راه انها تحرك يدها يمنة و يسره و تودعه..

لقد عاد إلى زمنه..

بـدا باسـل يعود لعقله رويـدا رويدا.. يتكرر مشـهد توديع راوية له امـام عينيـه و كانه مـا زال يحدث لا يعرف كيـف يصرفه عن ذهنه و عقله يتسـائل كيف لشـخص ما ان يودع اخر يختفي امامه دون ان تبدو عليه حتى ملامح الدهشـة.. عقله يسال و قلبه يبتسم في صمت.. تلك الرحلة الطويلة التي خرج منها توا ما زال يذكر احداثها و كيف انتهت بسـلام.. لكنه يخشـي ان يكون ذاك المشروب قد عجّل ثانية فـي عمره.. ينهض من على فراشـه و اذا بمراته تخبره بان ملامحه قد تغيرت لحد ما و ان الشـيب قد أعلن الحرب على راسه.. العناكب قد احتلت جزءا من سـقف غرفته و تكفلت الحشـرات بالارضية.. و فوق كل هذا ما زال قلبه يؤلمه.. ما زالت اعراض المرض اللعين متمكنة منه.. ها هو قد فشل مرة ثانية لكن لا مشكلة لقد اعتاد ذلك.. اعتاد بعـد كل فشـل ان يخـرج للاطمئنان علـى ابيه و امه و يبثـان فيه روح

الامـل مـرة اخري و يعود ليكمل ما بدا حتى و ان اخذ هذا من عمره.. لكن مهلا صوت والده الذي سمعه بعد رحلته الاولي قد اختفي ايضا تلك المرة ، سـيناريو يتوقعه و يخشاه بشـدة.. يفتح الباب فيجد والده جثة هامدة قد تحللت.. فينظر لها و يتيقن انها هي بعد ان اسـتقر هذا الخاتـم الفضـي فـي بنصره الايسـر.. و علا المصحف تلـك المنضدة التـي تجلـس امامهـا الجثة.. فينظر حولـه باحثا عن امـه اين ذهبت ، وتركـت اباه كل هذا ليصل لتلك الوضعيـة دون ان يجدها.. انتحب نحيبا شـديدا ثم قام و لملم بقايا العظام و وضعهم في قماش و انتظر لليـل ثـم اتجه لمقابرهم و نبش التراب و دفنهم فيه.. لم يتمالك نفسـه مـن الصـراخ و العويل بصوت عال و البقاء عند المقابر للفجر و بعدها الدعاء له بالرحمة.. عاد للمنزل لا تتبقي سـوي والدته سـيبحث عنها و يبقـي بجوارهـا إلى ان يلقـي احدهما ربه.. فهـي الان ملجاه الوحيد الـذي لن يفـرط فيه ابدا لذلك بدا يصرف فكـرة تجربة علاجه مرة اخـري.. و هـو عائد للمنزل اوقف احد المارة في الشـارع ليسـاله عن تاريخ اليوم ، في البداية ظن انه احد المجانين و بعدها ادرك ان الامر لا يعنيـه و اخبـره بالتاريخ.. كان التاريخ مفاجـا لحد ما لكنه كان متوقعا.. التاريخ يشـير لمرور عشـر سـنوات منذ نهاية رحلته الاولي و بداية رحلته الثانية ، ان هذا المشـروب يقتله حيا.. عاد للبيت ليبحث عـن امـه.. اول ما فعلـه عندما دخل من بـاب البيت نـادي عليها باعلي صوتـه دون ان يجيـب احد.. دلـف لجميع الغرف و التـراب يملا ارجاء المـكان مما يوحي بعدم تنظيـف البيت لفترة طويلة.. يبحث و يبحث دون ان يجـد احـدا.. بعدمـا انهكـه التعب جلس على كرسـي والده يسـتريح و بعدهـا يعاود البحث عـن والدته.. فلاحظ صحيفة تسـتقر اسفل المصحف الذي اعتاد والده القراءة فيه.. اخذها و بدا يعرف ان

تاريـخ تلك الصحيفـة من اكثر من ثلاثين عاما او اقل بقليل.. فشـرع في القراءة لعله يتناسي بعض همومه..

فاعجبـه مقـالا كتبه والده بعنوان " و رحلـت.. " بدا بقراءة المقال فوجد نصه كالاتي..

" نعـم لقـد رحلـت.. لقـد اقتنعـت بذلك بعـد عناء شـديد ، رحلت الزوجة الرفيقة و الام الحنون.. انكسـر احد اضلعي اليوم.. انكسـر لاتذكرهـا كلما اتالم هـذا لو افترضنا انها سـتغيب عن قلبي.. ويل لذاكرة هذا القلب فريتشـارد الثاني عندمـا اصيب بالزهايمر كان يردد كلمة واحدة لا تدعوا نيللي - عشيقته - تموت جوعا.. من قال ان العقل من يحكمنا فهو حتما جاهل.. القلب فقط من يفرض سيطرته علينـا.. تلك المضغـة تلهو بنا كما لو كنا دمى فـي يديها.. تركتني مبكـرا مع طفل يرفض الاعتراف بان امه قد رحلت.. طفل يتمثل امه فـي كل حدث.. فهي من تحضر له القهوة و هي من تتحدث معه طيله الليـل و هي مـن تنازعني طرقاتـي الخاصة على بابـه.. طفل لم يعرف بعـد ان المـوت لا يحدد مـن يختار.. طفـل يظن بان الصغـار محميون مـن الموت حتى يبلغوا السـبعين و الثمانيـن و ان الام والاب محصنان ضد الموت.. طفل لقّنته الحياة درسـا قاسيا فاصرّ ان يتعلمه بطريقته الخاصـة.. كيـف ابلغه بانها محض خيال يطـوف بوجدانه كل ليله.. نعم ماطلت كثيرا و كثيرا لكنه يمثل السعادة على مسرح النسيان بـل ويجيد اداء الدور.. من يقنـع ذاك الطفل الملح الذي لم يتجاوز بعد الثانية عشـر بانهـا رحلت.. في الحقيقة انا لا اجـرؤ لاني لم اقتنع بعد فكيـف اقنعه بما لم اقتنع به.. كيـف اقنعه انه حينما كان يرتجف فـي ليالي الشـتاء لـم يكن يرتجـف من البـرد بـل كان يرتجف من الحنين.. نعم كان نائما و حينما ماتت و استيقظ و هي تغسّل فاخبرته

اننا نطيبها لتذهب لمكان افضل فكنا نضع المسك و القطن و هو يسالني بانهاك ا لن تستيقظ لتناولنا القطن بنفسها.. كيف اخبره ان الحب سحر لانه عندما ينقلب ينقلب على صاحبه فيصبح لعنة.. نعم لعنة الفراق.. لقد راهم جميعا يبكون فسالني عن السبب فتمسكت بكبريائي و انا اتمزق من الالم و طلبت منه ان يقبّلها.. أنّي له ان يفهم ان تلك القبلة التي مني بها جبينها كانت القبلة الاخيرة ..

أنّي له.. "

محي عماد ١١١٢٠١٢

طوي باسل وريقات الصحيفة و انهمرت دموعه بشده.. ها قد صار ملجاه منفي و منحته محنة واملة الم.. زال الركن الركين الذي كان يستند عليه اوقات الرخاء و الشدة.. زالت البسمة التي كان بمقدورها ان تصنع له عالما خاصا يطارد فيه احلامه.. كيف سوّلت له نفسه كل تلك الاحداث دون ان يخطا عقله ذات مره فتتكشف الامور على حقيقتها.. كيف لم يلحظ صمت ابيه الدائم و عدم حديثه عن والدته و تغافل ذكر دورها في حياتهما.. نعم لقد اخبره اكثر من مرة انه كان يحتفل بعيد ميلاده وحيدا و ان باسل كان دائما ما يؤنسه و يزيل وحشته لكنه لم يابه ابدا لها الكلام.. قاطعه عندما تحدث عن التفرقة بين طرقاته و طرقات والدته.. عندما دخل مطبخ المنزل بعد رحلته الاولي باحثا عن والدته يتذكر انه قد سمع صوت بكاء شديد من والده لكنه حسب ان تلك هي دموع الفرح بعد غياب طويل.. لم يطرق احدهم بابه منذ ان كان في الثانية عشرة من عمره الا اباه و رغما عن ذلك فقد امر عقله اذنيه بالتمثيل و اداء صوت طرقات على الباب لها نغمة خاصة ليختص بها امه دون غيرها , ان اذنيه تستحقان جائزة اوسكار بكل تاكيد ، حتى جوارحه

تمـردت عليه.. لقد كان يقضي ليال باكملها يتحدث معها و يبادلها اطـراف الحديـث.. لم يقنع قلبه بغيابها ابدا عن مسـرح الاحداث لذا لم يكن امام العقل خيار سوي ذلك.. بعدما ادرك ما حدث ردد عقله جملة واحدة..

" انتهي الدرس "

# الفصل الرابع

اذن لقد انتهي الامر.. انتهي دور والده و والدته في تلك المسرحية.. صار بطلا في فيلم ليس به احد.. تمرد عليه كل شئ حتى جوارحه عقدت اتفاقا لم يعلم به الا بعد تنفيذه.. لم يعجبه عالم البشر فصنع عالما خاصا لنفسه.. لم تكن الغرفة عالمه ابدا و انما كان ذاك الجزء الذي خصصه من غرفته دون علم ابيه و امه - خصيصا لتجاربه لكي يعزل نفسه عن العالم الخارجي - كان هو عالمه الحقيقي.. لطالما نقش الكلمات و المواعظ على حوائط الغرفة حتى انه لاحظ في مرة من المرات ان حائطا من الحوائط بالذات اقل سمكا من غيره حتى انه عندما ضغط بذاك الحجر الصلد الذي كان يحفر به اذا بالحجر ينفذ للناحية الاخري ساقطا من يده.. في ذاك اليوم يتذكر انه قد ابتاع صورة لعالمه المحبوب آلان تورنغ و غطي بها ذاك الثقب الذي تعاظم بشعور البحث و الاكتشاف حتى صار فتحة كبيرة في الجدار.. لم يشا ان يعلم والديه او دعنا نقل والده بذاك الامر حتى استطاع ان يصنع فتحة كافية للغاية لمرور جسده لعالمه الاخر.. نعم تلك الفتحة التي آلت به لمخزن مهجور مذ زمن بعيد هي هي نفس الفتحة التي كانت سببا رئيسيا في ان يعيش وحيدا لفترة طويلة.. لقد اجهده ذاك المكان تنظيفا و ترتيبا حتى صار غرفة صغيرة لا تتجاوز مساحتها الثلاثة امتار لكن بها اكتشافه الاعظم الذي لم يكتب له النجاح بعد فكان يدخلها بعد ان ياوي ابوه و امه - كما كان يظن - للنوم فاذا ما اقترب الفجر اعاد صورة العبقري

الان تورنـغ[1] لموضعهـا.. فاذا حظـي بزيارة من ابيه او امـه رايا غرفة عادية لطفل ينمو امامهما و يترعرع من العاشرة للثانية عشر للخامسة عشر و هكذا.. غرفة ليس بها الا مكتب و فراش وثير مكتظة إلى حـد مـا ببعض الكتـب و ادوات كليـة العلوم و صورة كبيـرة لعالم اقنع البشـرية بوجود ما يسـمي بالذكاء الاصطناعي كالكمبيوتر و الروبوت و غيرهما..

لكن اذا دلفت لتلك الحجرة الخاصة حتما سـيصيبك داء الانبهار ، سبورة عليها عدد لا يحصي من المعادلات و لوح زجاجي قد تراصّت اعلاه المواد الكيميائية و مرآه و حصير بسيط..

ربمـا كان ابـوه صادقـا حينما اخبره بـان البحث قـد اضناه و لم يجـده ابـدا.. لم يخطر علـى بال والده بـان وراء تلك الصـورة امال قد بنيـت و الام قـد ادمت.. لم يفكـر و لو لمرة ان يعطي الامر ليده لتمرق من خلال الصورة..

هـا هـي النتيجة شـخص فـي الاربعين مـن عمره فقـد والديه و لم يتزوج بعد و لم ينعم حتى بشهادة تعليمية.. اين اودي به عقله..

مسكين و رب الكعبة..

ليـس امامه الان سـوي الاسـتمرار فيما راهـن عليه منـذ البداية.. عـلاج مـرض القلوب.. ربما ينجح تلك المرة و يخرج اختراعه من الظل للنور ربما يعلن العلم مولد عالم جديد يسـطر التاريخ اسـمه في طياته و اذا لم ينجح صار خمسينيا يجاهد من جديد.. في الاخير لن يستسلم

(١) ولـد عـام ١٩١٢ و توفي عام ١٩٥٤ هو عالم حاسـوب بريطاني.. كان له تاثير عظيم فـي تطور اجهزة الذكاء الاصطناعي.. بالاضافة لذلك فقد اضفي الطابع الرسـمي لمفاهيم الخوارزمية و الحوسبة بواسطة الة تورنغ.. كان عالما عبقريا يحتذي به إلى ان اتي عام ١٩٥٢ حينما سـرقت شـقته و تبين ان السـارق هو صديق لعشـيقه و اتهم بالمثلية الجنسية و حوكم عام ١٩٥٣..

و ان كتب بيده شهادة موته و وقّع عليها..

دخل غرفته و وجد امامه تلك الصورة التي اخفت طويلا سره الاعظم و نزعها بشدة فتكشّف عالمه الخاص.. بدا يحضر مشروبه للمرة الرابعة من الاسباتير و النوبان و الريسلا يمزج هذا و هذا و دموعه تقطر على اللوح الزجاجي كلما تذكر والده و والدته يراجع معادلاته على سبورته و خطواتها و يحسب المقادير فيجدها قد زادت عن الحد و للمرة الثانية يظهر ذلك الانذار.. معادلة تخبره ان هذا المشروب سيقوده للخلف و العودة بالعمر للماضي اذا اخذ بقدر اكثر من اللازم ، فيعود و يعدل المقادير.. كان لا بد له ان يترك المواد قرابة الثلاثة او الاربع ايام حتى تتم تفاعلها و تصبح جاهزة للاستخدام.. كان يقضي وقت الانتظار تارة في قراءة كتب و تارة في قراءة مذكرات والده حتى اصبح المشروب جاهزا.. حينها القي نظرة وداع على غرفته و تمني ان يمنحه القدر تلك المرة النجاح الذي يبحث عنه.. رفع ما صنع تجاه فِيه و تجرعه و اشفقتا عليه عيناه فبكيتا..

فتح عينيه فوجد نفسه يستقر على احد مقاعد مركبة متحركة و المقعد الموجود امامه تتواجد عليه بيضة قد بدا الجزء العلوي يرتفع منها و يخرج الساق المعدني ليكوّن صورة لكن تلك المرة هذه الصورة واضحة تماما فهي لفتاة في عشرينيات العمر ، المحزن في الامر انها تفلت يدها من يدها و تودعه و كانها تعلن انه اللقاء الاخير ، كعادته ادخل يده في الصورة فلم تصب بسوء و تجاوزت الصورة من الجانب الاخر فتاكد انها صورة هولوجرافية.. سرعان ما اختفت كاشفة عن السحر التي اخفته لثوان معدودة ، فاغلب الظن ان صديقنا كان يجلس في قطار لكنه ليس كامثاله مما راي في زمنه.. المقاعد قد صنعت من مادة مخملية ناعمة للغاية..

وجـد امامه خيـار يتيح التحكم فـي اللغة فما كان منه الا ان اشـار باصبعـه تجـاه اللغة العربية فتحول كل ما على الشاشـة للغة عربية ، بدا يختار منها ما يريد من اخبار و قنوات و صحف و افلام و هكذا.. راعـه الامـر و طريقة حركة ما اطلق عليه بالقطـار.. فالقطار بجانب امكانياتـه التكنولوجيـة لم يكن قطارا بالمعنـي الحرفي ، مجرد عربـات متصلة تسـير على قضبان حديدة تصك مسـامع الركاب بل كان هيـكلا معدنيا يسـير في انابيب مفرغة جزئيـا من الهواء مما يقلـل مـن احتكاكه مع القضبـان الحديدية و في نفـس الوقت تقل مقاومـة الهـواء له فينتـج عن ذلك زيادة سـرعته إلى ما يوازي سـرعة الصـوت و فـي مقدمة كل جزء من القطار قد وجدت انابيب شـافطة للهـواء فـي ذاك الجـزء بحيـث تقـل قيمـة المقاومـة و بالتالـي تزيـد السـرعة.. اما بالنسـبة لما يسير عليه القطار فهي سبائك من النيكل و الكـروم مجهزة لتقـاوم الحرارة العالية.. و في كل جزء من القطار يتواجـد مكبح لوقف القطـار في الحـالات الاضطرارية.. كان ذاك الشـئ الازرق اللـون الاملس للغايـة المتواجد بجانـب كل باب كان يثيـر في نفسـه الحيرة و الدهشـة.. لا يعلم لم يخشـي دائمـا من اللون الازرق بالرغم من انه احد الالوان الباردة في عالم الفن.. لكنه ارتبط فـي عقـول الناس بالسـحر و الغمـوض و الرعب.. فعندمـا كان يقرا فـي كتب الاسـاطير القديمـة كان يجد الهة زرقـاء و عندما يجوب كتـب اطلانطـس - القـارة الغارقـة المفقـودة التي ربما قـد تكون اسـطورية - يجـد ان هناك رجالا زرق البشـرة يملكـون امرها.. فاذا تصفـح فـي ادب اوروبا وجد الادباء ينعتون الملـوك و النبلاء بانهم من ذوي الدم الازرق اما اذا انتقل لاجداده العرب لم يسـتطع ان يمر مرور الكـرام على المسماة زرقاء اليمامة التي كان بوسعها ان تري جيوشا قادمـة من على بعد الاف الاميال فـي الصحراء اما في زمننا الحديث فمخرجـو افلام الرعب يلجئون إلى جعل بشـرة الوحوش و الشـياطين

زرقاء وكأن شيئا ما يدفعهم لذلك.. يبدو ان للازرق لعنة يا صديقي.. قام يتفحص جدران القطار فبدا يلمس باناملـه ذاك المعدن الغريب فاذا هو يبعث في جسدة رعدة عجيبة معدن مخملي الشكل بارد كالثلج يتموج تموجات خافتة غير ملحوظة و لكنها محسوسة يبعث الرعب في قلوب اشد الرجال باسا ، في تلك اللحظة بدا باسل يصدر آهات تنم عن انبهار حقيقي.. لم تكتمل آهاته و اذا بصوت اقدام معدنية تتحرك من المقطورة المجاورة ، يفتح الباب الالي و يدخل عليه روبوتان.. يتعجب باسل من هيئة الروبوتات و اذا باحدهما يردد كلمة واحدة و هو يشير لباسل و يقول..

- جاسوس.. جاسوس..

كانت تلك الكلمة كافية للغاية فلم يعط الروبوتان فرصة لباسل للهروب او للتفكير حتى فانقضّا عليه من جانبيه و امسكاه و قيَّداه باغلال ليست معدنية و انما مغناطيسية من المقام الاول ، اغلال جعلت يديه متلاصقتين تماما.. اخذاه للجزء الذي كانا يجلسان فيه فاذا هو يجد نفسه وسط قدر كبير من البشر و الروبوتات ، نظرات جامدة تنبع من عيون الروبوتات و أسي كبير يسيطر على اولئك البشر.. كان يريد الحديث مع احدهم علّه يجد اجابات عما لديه من اسئلة لكن سرعان ما توقف القطار فتحركوا جميعا تجاه الباب الالي..

قادته الروبوتات هو و من معه إلى ذاك اللوح الاملس فظن انه احد اجهزة كشف الشخصية المتواجدة في هذا الزمن.. كان من سبقه من هولاء البشر يلصق راحته بهذا اللوح فيضئ باللون الاخضر ثم ينزل من القطار حتى اتي دوره فالصق راحته و كان ينتظر اللون الاخضر لكن انبعث من جهاز الفحص ازيز متقطع و تحول اللون الشفاف إلى اللون الاحمر مما يعني ان المسام العرقية لديه لا تطابق

ايا من المسجلة لدي الجهاز و هنا نظر اليه الاخرون بدهشة فعمره يلوح ما بين الثلاثين و الاربعين مما يعني.....

يعني الكثير بالنسبة لهم على الاقل..

نزل الروبوتات و كل منهم ممسك بمسدس ليزري يطلق اشعة مميتة تذيب اي شئ يقف في طريقها ثم نزل الاسري و باسل يعاود السؤال المكرر ما الذي اودي بنا لهنا.. ترجَّل باسل من القطار فكان اول ما سقطت عليه عيناه هيئة شمس ذاك العالم الغريبة التي تميل للخفوت و كانها على وشك المغيب.. ربما كانت النجوم التي اضاءت بشدة و ساعدها في ذلك خفوت الشمس هو ما اثار حيرة باسل اكثر فالنجوم زادت بشدة اكبر عن المرة السابقة في العدد و في القوة.. كل هذا دعا باسل للوقوف و التامل حتى قطع تفكيره صوت الروبوت المعدني و هو يقول..

- تقدموا للامام..

بداءوا يقودونهم في شوارع تلك المدينة الذي سيعرف فيما بعد ان اسمها « بامورا «.. لم تكن المنازل على المستوي الذي تخيله بعد ان راي ما راي في القطار بل كان الجزء الاعظم منها مهدم و الجزء الاخر لا يصح اطلاق لفظ منازل عليه بل كانت اللفظة الاقرب « انقاض «.. و كأن هيئة المدينة قد همست في اذن باسل ان المدينة قد تعرضت لقصف عنيف و انها ربما ما زالت تحت هذا القصف لكن بالرغم من هذا فيبدو ان هؤلاء القوم قد بلغوا مبلغا عظيما من التقدم حتى آل الحال بهم إلى تدمير عنيف و هنا تذكر القارة المفقودة اطلانطس التي اشيع انها قد دمرت بواسطة قنبلة شبيهه بالهيدروجينية[1] او

(١) قنبلة تصنع بواسطة تحفيز عملية الاندماج النووي بين نظائر الهيدروجين التريتيوم و الديوتيريوم و ينتج من هذا الاتحاد ذرة هيليوم و نيترون اضافي..في عام ١٩٥٥ اطلق السوفيت اول قنبلة هيدروجينية "القنبلة القيصر" و اطلقت امريكا قنبلتين "تيلر اوليام""ايفي مايك"

الايونية.. استمروا في السير حتى وصلوا لمبني عظيم ما زال يحتفظ برونقه و كانه في عالم اخر معزول عن باقي المدينة.. لفت نظر باسل ذلك التمثال الذي يتوسط الفناء الواسع امام هذا المبني.. كان تمثالا من طبقات من الزبرجد مكون من نموذجين لرجل و امراة قد نحت كل منهما عليه على حدي..الاغرب ان نموذج الرجل يشبه وجهه تماما والاخر وجه فتاة قد رآها قبل ذلك لكن لا يتذكر اين.. اتقان التمثال يفوق ما كان يفعل الفنان ميكيلانجيلو[1] في زمانه ، فالتمثال يبدا في حركة دائرية ثم ياتي النموذجان ليتقاربا حتى تتداخل الطبقات مع بعضها و كانهما يندمجان في عناق قصير ثم يفترقان..

لكزات الروبوتات جعلته يتحرك في سرعة و عيناه لا تفارقان هذا التمثال و قد طبعت صورة له في مخيلته حتى وصلوا لباب المبني فلم تمض هنيهه الا وكان قد فُتِح.. ساروا في ممرات اشبه بالمتاهه حتى وصلوا لغرفة خالية من اي منافذ عدا فتحة الدخول.. اجلسوهم لفترة قصيرة ثم تردد صوت في ارجاء المكان..

- برجاء حضور مجهول الهوية الجاسوس.. X

لم يدعوه يختبر قدرات عقله في البحث عن هذا المدعو X و انما اخذه الروبوتات لغرفة بطابق اعلي.. عندما وضع احدي قدميه داخلها هبط قلبه من بين ضلوعه لقدميه.. كانت اشبه بصاله عميقة رحبة مضاءة بلون يتراوح ما بين الازرق و البنفسجي.. جدرانها عبارة عن مجموعة من شاشات الرصد تنقل مشاهد من جميع انحاء هذا العالم بالاضافة إلى خريطة ضخمة للكرة الارضية قد توزعت فوقها مجموعة من المصابيح الزرقاء الصغيرة لم يستطع باسل ان يستنتج

(١) ولد ١٤٧٥ و توفي ١٥٦٤ رسام و نحات و مهندس و شاعر ايطالي كان لانجازاته الفنية الاثر الاكبر على محور الفن ضمن عصره و خلال المراحل الفنية اللاحقة من اهم اعماله تمثال داوود و لوحة خلق ادم و تمثال بيتتا..

منها شئ.. مراكز كثيرة تغطي العالم اجمع و تؤكد قوة و انتشار المنظومة الذي يتواجد بداخلها الان.. بدا يخرج تدريجيا مقعد وثير بحيث تكون به منخفضات ناعمة تستقر بها ذراعا الجالس ، بدات تخرج عدة اسنان مدببة من سقف الغرفة ثم اضاءت و كانها كاميرات موجهه لوجه باسل.. حدّث باسل نفسه ربما تلك الكاميرات تنقل صورة مكبرة جدا لوجهه حتى تبدو كل خلجة من خلجاته واضحة امام ذاك المجهول.. ربما تكون تلك المنخفضات محسّات لقياس درجة حرارته و نبضه و تنفسه.. انه اشبه بجهاز كشف كذب متقدم للغاية ، عند هذه النقطة بدا صوت معدني بالحديث..

- من انت ؟!

- انا باسل من مصر..

- كم عمرك..

- اربعين عاما..

- في اي عام نحن ؟!

- عام الفين و اربعين..

- كاذب..

و هنا شعر باسل بغضب شديد من نبرة محدثه بالرغم من الصوت المعدني و ربما..

- نحن في عام الفين و مائتين وخمسين..

- ماذا ؟!

تجاهله الصوت المعدني و اكمل اسئلته و كانه مضبوط على اسئلة بعينها..

- كيف يجتمع ان يكون عمرك اربعين سنة و ليس لديك سجل في جهاز فحص المسام العرقية..

سكت باسل لعدم ايجاده لجواب مقنع ، ثم قال..

- لاني ببساطه لست من هذا العالم يا سيدي..

- انت جاسوس ارسلوك لهنا لتحرر الاسري او لتنقل لهم معلومات عنّا..

- انا لا اعلم عما تتحدث لكني اؤكد لك اني من مصر عام الفين و اربعين..

- اذن انت مسافر عبر الزمن..

- نعم لقد قرات عن نظرية اينشتاين لكنها كانت محض خيال لم تتحقق في عالمي ابدا..

- ماذا تعلم عنها ؟

- اعلم ان الزمن هو البعد السابع للمادة و مادام الزمن مادة فانه من الممكن التحرك من خلاله اماما و خلفا لكن هذا الجزء من النظرية كان و ما زال حلما يراود العلماء و يحاولون تحقيقه منذ زمن..

- لقد نجحوا في تحقيقه منذ اكثر من قرن من الزمان.. صمت فترة و كانه يستجمع افكاره ثم قال.. ايا ما كان فانت كاذب لا اكثر و ستتم معاملتك كغيرك من الاسري إلى ان يخضع اولئك الشرذمة المتمردون..

بمجرد انتهاء الصوت المعدني من الحديث دلف روبوتان للحجرة و اصطحبوا باسل للسجن.. كانت الزنزانة قريبة للغاية مما صنعته مخيلته بعدما راي التقدم الساحق في هذا العصر.. غرفة كبيرة للغاية لها باب مفتوح و كأنهم يتحدّون خروج اي منهم ، بها عدد كبير من الاسرّة و كاميرات كاشفه لكل جزء من المكان.. حول معصم كل اسير سوار بتصميم ثنائي مغناطيسي يعتمد على

نظريـة الجذب المغناطيسـي فيه ثلاث درجـات البرتقالي و الاحمر و الاخضر.. اذا ما بعد الاسير مسافة ما اضاء اللون البرتقالي و اذا بعد اكثـر اضـاء الاحمـر و هكذا حتى نصـل في الاخير للـون الاخضر حينها ينفجر السـوار و يتحول الاسـير لاشـلاء متناثـرة ، لم يكتفوا بذلك بل وضعوا ما يشـبه بالحلقة حـول رقبة كل منهم يتناقص قطر الحلقـة اذا لم يطـع احدهم الاوامر فتصيبه بصاعقـه كهربيه تفقده الوعـي في الحال.. كان في حيرة من امره ا ذهب فعليا للمسـتقبل ام ماذا.. و هنا مسك راسه و اخذ يخبطها بشدة في الحائط و كأن ذلك سـيبعث فيها الجـواب.. انهكته فعلتـه تلك فجلس و انفاسـه تزمجر بشـده و كانها تعبر عن غضبها.. بدا بالحديث مع الاسـري فعلم انهم بالفعل في عام الفين و مائتين و خمسـين و ان كوكب الاض انقسـم لفئتيـن البشـر و الروبوتـات.، نعم ما قـرات صحيح يـا صديقي فلقد اعلنت الروبوتات تمردها على البشر و بداءوا يطالبون باستقلاليتهم و ان يكـون لهم عالمهم الخاص و اثر هذا التمرد نشـبت حرب كبيرة بين الروبوتات و البشـر قتل فيها الكثير من البشـر لكن الروبوتات كانت لديهم القدرة على اصلاح ما يَفْسَـد منهم فبدأ عدد الروبوتات يزيد في نفس الوقت الذي اخذ عدد البشر يتناقص و بشكل ملحوظ ممـا ادي لهـروب البشـر و اسـتقرارهم في الجبـال يقومـون بالعملية الانتحارية الواحدة تلو الاخري ، و هنا بدا سؤال جديد يتردد في عقل باسل كيف يستطيع الروبوت التمرد على الانسان..

عـرف باسـل ايضا ان هؤلاء الاسـري ما هـم الا انتحاريون كانوا مكلفيـن من قِبَل القيادة البشـرية العليا بتدميـر عدة مركبات منها ذاك القطـار.. لكـن لـم تجرِ الامور كما خُطِّطَ لهـا و قبض عليهم و هم الان اسري عند الزعيم المجنون الروبوت الاعظم..

بـدا باسـل يرتعب مما يسـمعه و ممـا يلقي على كاهلـه حتى جاء

اليـوم الـذي دعي فيـه الروبـوت الاعظم باسـل للقائـه.. حينها ضرب الروبوتـات مثـلا يحتذي به في الغرور فلـم يصحبه احدهم جهة غرفة الروبوت الاعظم بل كان الامر اشبه بتحدي و كانهم يخبروه بانه لن يستطيع الهروب ابدا.. الممرات في ذاك المبني كانت اشبه بالمتاهه فهم يقودودنك لما ينشدون عبر ابواب متحركة من الليزر تفتح و تغلق آليا حتى تجد نفسك في النهاية قد وصلت للجهة التي يريدونها.. دخل باسل الغرفة و كالعادة بدا الصوت المعدني بالحديث قائلا..

- انا الكوماندا.. انا سيد هذا العالم باكمله..

فهمس باسل في نفسه من المستحيل ان يكون هناك روبوت بهذا الغرور ، ثم اكمل الروبوت قائلا..

- اريد منك ان تنقل رسالة لمن تعمل لديهم جاسوسا.. اما التسليم و امـا الفناء.. سـادعك تخرج لا لشـئ الا لانك مجرد فـرد لن تغير من الامـور شـيئا.. لكـن قبل خروجك سـتخضع لجلسـة لاحـد اجهزتنا ستنسـيك كل ما رايت هنا عدا لقائك بي و تلك الرسـالة التي زرعتها في اعماق عقلك و بعدها تستطيع الخروج..

اصطحبـوه لمعمـل مجهـز على اقصـي درجة ثم قيَّـدوه فوق مقعد اسـفنجي وثير في منتصف المعمل و امامـه انبوب زجاجي مثبت فوق حامـل فضـي ضخم و الانبـوب متدرج القطر ينتهي عنـد مرآه ضخمه تقبـع امامه.. الانبوب الزجاجي له بدايـة عريضة.. تكونت عاصفة او ما شـابه ذلك انتقلت من الجزء الواسـع بسـرعة نحو الجزء الضيق ثم عبرت من خلال ثقب موجود في نهايته ثم شقت طريقا في الهوء حتى اخترقت انفه و فمه فشـعر بطنين شـديد في اذنـه ارتفع ليملا مخه و يجوس في اطرافه و خلاياه و بعدها فقد الوعي تماما..

استيقظ ليجد نفسه ممددا على فراش وثير.. هناك قدر كبير من الاشعة يتساقط على صدره و ينعكس على مرآه فيدلي بفسيولوجيته

كاملة من نبض و تنفس و درجة حرارة و تشبع الدم بغاز الاوكسجين و غيرها مما كانت تحتاج لاجهزة كثيرة و اسلاك اكثر في زمنه.. فتح باب الغرفة روبوت سرعان ما ولجها و مدّ يده له و سلم عليه و قال..

- انا الروبوت آرا..

لم يندهش باسل من كثرة ما راي في ذلك العالم العجيب فما كان منه الا ان مدّ يده و قال..

- و انا باسل من مصر..

- ماذا حدث لك.. لقد وجدناك ملقي خارج ارض بامورا و اخضعناك لفحص عقلي لكن حينما بدانا طرح الاسئلة عليك اصابتك نوبة تشنجات غريبة و غاصت عيناك للداخل و جفّ حلقك بشدة ففضلنا ايقافها و سؤالك عما حدث بعد ان تفيق من غيبوبتك..

امسك باسل راسه بشده و كأنه يمنع الدوار الذي يضرب عقله من ان ينسيه ما يتذكر من معلومات فقال..

- لقد تحدثت مع الصوت المعدني.. الصوت المعدني اخبرني انه سيد هذا العالم ، و انه يخيّركم ما بين التسليم و الفناء..

- احمق كبير..

- لِمَ ؟!

- لانه لو كان بيديه فناءنا لما تفاوض من الاساس متغطرسون اولئك ال....

قاطعها باسل قائلا..

- اريد ان افهم مجريات هذا العالم.. و ماذا يحدث فيه ؟

- حسنا ساشرح لك لكن بعد ان اتاكد من انك لست جاسوسا عن طريق الجهاز السامخي..

- ماذا ؟!

قالت آرا بتهكم..

- هو جهاز لديه القدرة على حساب الوقت الذي يصل فيه الامر من المخ مباشـرة لعضلة اللسـان في الاوضاع الطبيعية و اي زيادة في هذا الوقت فهو يعني كذبك..

- اممم.. حسنا ان كان هذا السبيل الامثل لاثبات ولائي ل... لكم فلتبدئين على الفور..

لـم يمضِ وقت طويل حتى كان قد افاق من غيبوبته القصيرة مرة اخري و وجد آرا تبتسم و تخبره بان التجربة قد نجحت و انه ليس احد الجواسيس و انه قد تم نقله لغرفة اخري.. بدا باسل يتفحص محتويات الغرفة فاذا هي حجرة واسـعة بها فراش صغير و منضدة تحتل وسـط الغرفة قد صنعت من المادة العجيبة التي شـعر بها في جدران القطار ما بين الرخام و المخمل و امامه نافذة زجاجية ضخمة سميكة تحتل حائطا باكمله تقريبا..

تعجب باسـل من وجود روبوت انثي و الادهي من ذلك ابتساماتها و لم يتوقف الامر عند هذا الحد فقط فهي تجيد انواع البسمة المختلفة كبسمة التهكم و بسمة الثقة ، هي روبوت لكنها اقرب للبشر..

- كلّي آذان صاغية لمعرفة ما يدور حولي..

- انا الروبوت آرا من الروبوتات المخلصة للبشر..

ابتسم باسل و قال بتهكم..

- روبوتات مخلصة أ هناك روبوتات متمردة.. ؟!!

سال باسل السؤال و هو يتوقع قهقه او تهكم على كلمة « مخلصة « و ربمـا يكـون المتحدث على قدر عالي من اللياقـة و يجيب بالنفي فقـط او تجيب نظراته بما يفيد من النفـي لكنه تفاجأ حينما اومات

آرا براسها و قالت..

- نعـم.. في عشـرينيات القـرن الماضي بـدا الانسـان ينتهج نهجا جديـدا في صناعة الروبوتات.. فكما ادخـل ابونا الروحي آلان تورنغ الـذكاء الاصطناعي ، جاء من نسـله من فكر ان يدخل « الشـعور» عند الروبوتات و بالفعل كنت انا الروبوت الاول في تلك المنظومة..

فغر باسـل فاهه لما يسـمعه مـن اعاجيب لكن آرا لـم تبالِ بذلك واكملت حديثها..

- بيـن ليلـة و ضحاها صـار الحلم حقيقـة و المسـتحيل ممكن.. صـار هناك قـدر كبير من الروبوتات يحبون و يكرهون ، يشـعرون بالحـرارة و البـرودة ، يفرحـون و يبكـون ، اصبحوا بشـرا بل درجة اعلـي من البشـر من حيـث الذكاء و القـدرة على العمـل.. حظوا من البشـر بالصفـات الحميدة و اجتنبوا الصفات السـيئة كالكسـل و الفشـل و اليـاس و غيرها.. لكـن لكل قاعدة اسـتثناء لقد اصابتهم احدي لعنات البشر.. انها لعنة

« السيادة»..

- هذا يعني ان الروبوتات ارادوا ان يسودوا هذا العالم و ان يجعلوا قراراتهـم مـن ادمغتهـم دون ان يكـون هنـاك آمر لهم يامـر و ينهي و يعاقب في احد الاحيان عن طريق تعطيل الروبوت او ايقافه عن العمل للابد..

- نعـم هـذا ما حدث بالفعـل.. بدا الجيل الذكي مـن الروبوتات و الذين اطلقوا على انفسـهم اسـم « السَـابور " فـي تكوين مجموعات لهم يرأسـها روبوت اذكي صنعوه بايديهـم و بعدها يتجمع الروبوتات الاذكي و يختارون لهم روبوت اذكي حتى يصلون في النهاية للروبوت الاعظم الذي يدير المنظومة باكملها..

- ذاك المتعجرف الذي قابلته في بَامورا بصوته البغيض..

- هـو بعينـه.. بعدهـا دارت حرب شـعواء بيـن البشـر و الروبوتات تمكنـت الروبوتات من الانتصار الجزئي على البشـر و اسـتقروا في بامـورا و هربـت انا مع البشـر لتلك الجبال جبال اُوكْتُـورا و ما زالت المناوشات من حين لاخر او كما كان يسميها البشر منذ اكثر من قرنين بالحرب الباردة[1]..

- جبال اوكتورا..

- تلـك الجبال التي احتضنتنا انا و باقي البشـر فصارت منازلا لنا عوضا عن منازلنا في بامورا.. فانشـانا فيها عدة مختبرات صغيرة بما معنا من تقنيات و بيوت لنا مريحة لحد ما..

- حسنا لكن هناك نقطة واحدة لست مقتنعا بها..

- تواجدي هنا مع البشر.. اليس كذلك ؟!

تـردد باسـل في البداية فالامـر محرج للغاية ان تفهـم هي ما يعنيه فقال..

- نعم.. اقصد ما الذي يدفع اول روبوت قريب للبشـر بالتمرد على باقـي الروبوتـات.. بل على العكـس كان من الاولـي ان تناصر ذاك التمرد و تقف جنبا لجنب لهم..

- بالتاكيد انا روبوت.. لكنه الايمان..

- الايمان ؟!

- نعم فقد اصبحت لدينا معتقداتنا الخاصة ايضا.. ثم تابعت.. اؤمن بان هذا الكون له سـيد اوحد و هم البشـر و اننا مجرد الة مصنوعة

(١) مصطلـح يسـتخدم لوصـف حالة الصـراع و التوتـر الطويلة بين الولايـات المتحدة و الاتحاد السـوفيتي و حلفائهم من فترة منتصف الاربعينات و حتى اوائل التسـعينات.. اول من اسـتخدمه الملك الاسـباني خوان ايمانويل ثم الاقتصادي الامريكي برنارد باروش ثم اصبح شائعا مع الصحفي ولتر ليمان..

لتسـهل على البشر الكثير من الاعمال و تساعدهم في التقدم فنحن مسـاعدين و لسنا اساسـيين.. وظيفتنا الاساسية و الوحيدة هي خدمة البشر..

- ما رايك فيما فعله اقرانك اذن ؟

- رايي انهم قد اخطاءوا خطا سيدفعون ثمنه في يوم من الايام..

- و هل هنا في اوكتورا يثقون بكِ..

- نعـم لقد اجتزت الكثير من التجارب حتى اسـتطعت ان احظي بقدر كبير من ثقتهم..

- سـؤال اخيـر.. لـم لا يصنع البشـر اسـلحة و يبـادرون الروبوتات بالهجوم..

- للاسـف نحن لا نملـك الا القليل من التكنولوجيـا.. ليس لدينا سـوي عقولنـا امـا الالات و المصانـع و التكنولوجيا فهـي هناك في بامورا.. لقد هرب البشـر و انا معهم خشـيه ان يبيدنا السـابور فنجينا بحياتنا ، و ما زلت مطلوبا لديهم إلى الان..

- لكن كيف تتحدثون العربية ؟

- ان كل روبوت لديه القدرة على ان يتحدث اكثر من اثني عشر لغة لذلك نحن نحلل لغتك و نتعامل معك على اساسها..

ثم ربّتت بيدها المعدنية على كتف باسل و قالت :

- كفانا حديثا اليوم.. سادعك ترتاح لفترة حتى نلتقي مرة اخري..

ودَّعته و اتجهت نحو الباب فاستوقفها باسل قائلا..

- لِـمَ وقـع اختياركم علـى اوكتورا بالـذات للهـروب و اتخاذها كملجا ؟

فابتسمت آرا و قالت..

- ان اوكتورا بالرغم من كونها جبالا الا انها كانت من مناطقنا

العسـكرية و العلمية التي تحت الانشـاء ، لذلك هي تعتبر من انسب الاماكن للاختباء..

- لكـن الا يعنـي هذا انهم يعرفون تخطيط المكان و نقاط قوته و ضعفه و قد يهاجمونكم بين لحظة و اخري..

- نعـم لديهـم علم بكل شـئ لكن بالرغم من هـذا وقع اختيارنا عليها بالذات.. ان اوكتورا يحدَّها مجالا كهرومغناطيسيا على هيئة دائـرة يصل نصـف قطرها لخمـس كيلومترات كاملـة ، لذلك لن تستطيع ذبابة ان تدخل او تخرج بدون ان ترصدها اجهزتنا..

- أسدِ لي رجاء معروفا..

- تفضل..

- اريـد ان اقـرا عن تلـك الحروب و عن تاريخ تلـك البلاد.. أ هناك مصدرا متوفرا لذلك..

- نعم سأبعث به لك اليوم..

في مساء ذاك اليوم بعثت آرا احد الاطفال بكتاب ضخم..

كان طفـلا في السـابعة من عمره ، بالرغـم من عمره الصغير الا ان شـعرا ابيضا كثيفا قد ظهر في راسـه ، ليس هذا فقط بل ان يده اليسري تلاصق جانبه دائما و لا يستطيع ان يحركها بعيدا عنه.. قبّل باسل راسه و انصرف الطفل..

لم يكن كتابا بالمعني الحرفي بل كان شـيئا اشـبه بالمغناطيس له قطبان.. عندما امسكه باسل اذا بعدد من النقاط المشعة تخرج من كل قطب و تتحرك بشكل مائل بزوايا مختلفة و تستقر اعلي القطبين و بعد ذلك يخرج عدد كبير من الخطوط و تربط بين هذه النقاط حتى تكتمـل الصفحة كاملة امام القارئ فاذا اراد ان يغير الصفحة فليس عليه سوي ام يركز بعينيه على نقطة ما في اسفل الورقة..

بدا باسل في القراءة فوجد ما اثار رعبه..

وجد ان الجيل الحالي هو امتداد لقارة اطلانطس.. القارة المفقودة.. القارة التي تحدث عنها افلاطون في محاورتين له و نعتوه بالجنون.... كانت المحاورتان تسميان بمحاورة [1]كريتياس و [2]طيمايوس.. هي هي القارة التي الهمت خيال الكثير من الكتاب و منتجي الافلام لانتاج عدد ضخم من منتجات الخيال العلمي في عهد باسل.. قارة كانت باستطاعتها ان تملك العالم ليس لقرون و انما للابد.. بدا تاريخ تلك القارة باله البحر [3]بوسيدون و المعبد الذهبي المخصص له و توالت الاجيال و بدءوا في التقدم علميا و اقتصاديا و عسكريا.. ربما كان موقعهم الجغرافي المتميز هو ما ساعدهم على ذلك فهي تقع في المحيط الاطلسي ما بين قارة افريقيا و الامريكتين ، وصلت العبقرية بهؤلاء إلى انهم خاضوا غمار الفضاء بل و انتقلوا إلى كواكب اخري.. ليس هذا فقط بل انهم صنعوا لانفسهم عالما خاصا تحت الماء و ذلك بعد ان خارت قواهم بعد تفجير القنبلة الايونية مما

(١) محاورة كريتياس هي حوار بين كريتياس و تيميوس يستند إلى بعض المعلومات التي وصلت لكريتياس عن طريق سولون احد حكماء اليونان السبعة و التي حصل بدوره من الكهنة المصريين في مصر لقديمة و لقد تحدث كريتياس عن اطلانطس باعتبارها انها جنة الله في ارضه ثم اشار إلى ان طوفانا عظيما قد اغرقها فرقدت في قاع المحيط الاطلنطي..

(٢) المحاورة الثانية لافلاطون و التي تحدث فيها عن اطلانطس.. تتناول موضوع الطبيعة و نشاة الكون و الخالق.. دارت بين سقراط و تيماوس من لوكري و هرموكراتس و كريتياس..

(٣) هو اله البحر و الزلازل يتميز بلحيته و شعره الطويلين.. هو اخو زيوس و هيرا و ديميتير و هاديس.. باني طروادة و موجد الحصان السريع و الحصان المجنح و كان يكرم من قبل الامازيغ.. و قد صوره بعضهم انه يتنقل على عربة تجرها احصنة ذهبية حاملا حربة و عند غضبه يهيج بها امواج البحر..

دعاهم إلى الاختفاء فترة.. فكانت ابنيتهم بعضها من [1]الزجاج الصلد الـذي هو اقوي من الفولاذ و البعض الاخر من الماء ، لقد اسـتطاعوا الحصـول على درجـات من الماء تفوق الماس صلادة.. لم يتوقف الامر عنـد هذا الحد بل عرفوا النظائر المشـعة ، عرفوا ان بعض العناصر العاديـة و العناصر ذات الطبيعة الاشـعاعية يمكن تحويلها بواسـطة المفاعلات الذرية لما يسـمي بالنظائر و بهذا تظل محتفظة بطبيعتها الكيميائية باسـتثناء انها سـتحمل حينئذ طبيعة اشـعاعية جديدة او تتطور طبيعتها الاشـعاعية القديمة.. تلك البلاد الغريبة تم اكتشافها للعالم عن طريق صدفة غريبة و هو ان احد العلماء لاحظ ان تيار الماء النابـع من القـارة الامريكية و المتجه لقارة اوروبـا يتفرع إلى جزءين فـي منتصف المحيط الاطلسـي ليلتف حـول الارض و كأن هناك ما يعوق اسـتمراره[2].. بل الاغرب و الذي سـيصرف عنك النوم الليلة انهم وجدوا سـورا يصل طوله لمائة و عشـرين كيلو مترا يمتد في اعماق المحيط الاطلسـي[3].. كل هذا مهّد لرجوع اطلانطس للطبيعة للمرة الثانية.. لكن تلك المرة كان قادتها يطمحون لغزو العالم و السيطرة عليـه بل و تحقيـق الحلم الاعظم الذي راود الملايين قبل ذلك.. بداءوا يغـزون الارض و ينهبـون ثرواتهـا.. حتى انقسـمت الارض لجزء اعظم و جـزء اصغـر الجـزء الاعظم هـم هؤلاء البشـر و هم سـكان العالم الاصليين الذين استعبدهم الاطلانطسيون و هؤلاء لا يملكون القدرة على التخاطر العقلي بل الحديث بالسنتهم فقط و لا يمكنهم الترقي

(١) تقنيـة تدعي الاندماج بالصهر.. يتم خلق مجموعة من الفقاعات المصنعة من الزجاج و يتم الزج بمجموعة من المواد المعدنية كالماغنسيوم و النحاس و الايتريوم داخل تلك الفقاعات بنسب مختلفة ما يعطي الزجاج خواص خارقة..

(٢) حقيقة

(٣) حقيقة

لمرتبة اكثر من الخدم اما ملوك اطلانطس و قادتها فهولاء يجيدون التخاطـر العقلـي ليـس هذا فقط بل انهم يجيدون اشـياء تسـمي " ما فوق طبيعيات " كالتحكم في الاشـياء مـن بعد او " الباراكينيزس " فبعضهـم يسـتطيع اذابـة بعـض المعـادن و ليّها بالنظـر اليها فقط.. بطريقة او باخري بعد انفجار اطلانطس للمرة الاولي ، قد ذهبوا وراء النجـوم و تركوا مندوبا لهم علـى الارض و حينما علموا بعودة الامور لنصابهـا ، عـادوا مرة اخـري و هم لا يتجاوزون المائـة رجل و امراة و عددهم يتناقص باسـتمرار بسبب حاجتهم لسائل اصفر شفاف يبعث فيهم الحيوية و هذا السائل قد شارف على الانتهاء.. اخر ما قرا باسل فـي هذا الكتـاب الالكتروني ان لون اولئك الاطلانطسـيين يختلف عن دماء البشر في ان لهم دماء زرقاء و للبشر دماء حمراء كالمعتاد.. قفـز باسـل مـن مقعده من هـول ما قرا تـوا و اخذ يضـرب كفا على كـف.. ا مـن الممكن ان يكون ما قرا عنـه قبل ذلك و كان يصفه بعضهم في زمنه بالهراء ان يكون قد صار حقيقة مُرَّة يعيشها و يتنقل في ثناياها..

قضـي ليله يقظا ينـازع تلك الافكار الطفولية التـي خال ان يراها في المسـتقبل لكنها اصبحت واقعا يعيشه.. فالطرق المعلقة و فوقها تنطلق السـيارات الصاروخية بسـرعات جنونية تفوق الالف كيلو متر في السـاعة على وسـادة من الهواء و الحافلات التي تضم عدد كبيرا مـن البشـر في ثياب متقدمة من قطعة واحـدة و حوامات الامن و رجال المرور الآليين و مصانع و مساحات خضراء تمتد لمرمي البصر و كل هـذا يُـدار الكترونيا.. تمني ان لـو كان هناك معابـد لها جدران من ذهب و تخيل منظر شـروق الشـمس و سقوط اشـعتها على جدران تلك المعابد.. رسم عقله لوحه فنيه عظيمه للمشهد لكن ما رآه عندما نزل مـن القطار في المرة الاولي في باموراً يؤكد بما لا يدع مجالا للشـك ان هذا العالم قد تهدّم تماما من جرّاء الحرب التي قامت و ما زالت..

فـي اليوم التالـي اصطحبت آرا باسـل لقاعة ضخمـة و اخبرته ان تلك القاعة هي قاعة الاجتماعات و انه سـيكون عضوا منها.. تسـائل باسل عن السبب الذي يدفعهم للثقة المفرطة به الا ان ما رآه قد جعله يفكـر في امور اهم من ذلك بكثير.. سـار مع آرا عبر ممرات طويلة تتالـق بضـوء فيـروزي قوي حتـى وصلا إلى بـاب ضخم مغلـق فوجد حارسين من البشر امامه يرتدون ثياب الفراعنة.. تحدث احد الحراس و امـر بفتح الباب فانفتح على مصراعيه و ظهرت قاعة كبيرة تواجد فيها ثلاثا من البشر يجلسون فوق ما يشبه العروش الزجاجية الشفافة و هنـاك عرش رابع لـم يتواجد فوقه احد ، تلك العروش مزدانة بقطع مـن الذهـب الخالص تالقـت تحت الاضـواء.. كان يجلـس فوق احد العروش وقور اشيب الفودين و العرش الاخر شاب في ثلاثينيات عمره له شعر اسود فاحم اما العرش الثالث فهي ملكة شابّه لها شعر احمر قصيـر و عينـان زرقاوتان بلون موج البحر و ترتدي قلادة بها قطعة من حجـر كريم ازرق يبرق بشـدة تحت الضوء.. مـا اثار انتباهه هو نبض قلبه الشديد بمجرد رؤيته لها.. ربما يختلف شكلها عن غيرها لكنه متاكـد من انه قـد راي تلك الملامح من قبل لكـن في الاخير يبقي السؤال من هي ؟! و اين رآها قبل ذلك ؟

اشـارت آرا لهـم و قالـت لباسـل : هـؤلاء هم مجلـس الحكم في اوكتـورا.. امـا الوقـور فهو العالـم الاعظم و اما الشـاب فهـو القائد الجناح العسـكري.. و اسـتنتج باسل في نفسـه ان الملكة هي سيدة من تبقي من جميع البشـر و انها تراس الجميع.. تقدمت آرا و جلسـت على العرش الرابع فعلم باسل ان البشر يجلّونها بشدة..

بدأ العالم الاعظم بالحديث..

- السـادة اعضـاء مجلـس الحكـم.. اسـتمحيكم عذرا فـي اننا سـنتخاطب هذه المرة بالاسـلوب العام حتى يفهم باسـل ما نقول ، لن

نستخدم اسلوبنا الخاص للتخاطر العقلي..

ثم توجه ببصره لباسل قائلا..

- علمنا انك من مصر و مصر من بلادنا الحليفة من عهد الملك العظيم احمس..

- نعم انا من مصر لكن لست من زمنكم هذا..

تدخلت آرا في الحديث مقاطعة باسل : لقد اخبرتهم بذلك و هم على اقتناع بولائك لنا.. حينها تململ القائد العسكري في جلسته قائلا : اخبرنا يا فتي ما الذي رايته هناك منذ ظهورك المفاجئ و حتى لقائك بالكوماندا ؟!

ردد باسل متعجبا : كوماندا !! ثم صمت برهه و تابع بعدها..

لا اتذكر شئ يا سيدي سوي انهم كانوا يصطحبون معي عددا كبيرا من الاسري في قطار تحفة من التحف التقنية حتى وصلنا لبامورا بعدها وجدت اثار الحروب و الصراعات عدا مبني كبير قد نقش عليه خطان مائلان بزاوية ما بحيث يكون اعلاهما ملتقيان في نقطة اما اخرهما فمبتعدان للغاية وفي منتصف الخطين رُسم خط ثالث ليربط بينهما في منتصفهما ، لم افهم معني هذا الرمز.. كل ما اتذكره هو لقائي بهذا " الكوماندا " - عندما قال باسل هذه الكلمة قالها و هو يضغط على اسنانه و ينظر في عيني القائد العسكري و يحدجهما بنظرة نارية فلاحظ بريق شديد في عينيه - واخبرني رسالة يطالبكم فيها اما بالتسليم و اما بالفناء.. لكني لا اتذكر اي شئ عن مكونات او معالم هذا القصر من الداخل..

قالت الملكة باستنكار : التسليم !! ا مجنون هذا.. ا يفاوضنا و نحن سادته..

ضربت ارا بقبضتها فجاة على المنضدة القابعة امامها قائلة :

- هناك حل قد ادخرناه طويلا لكن يبدو ان وقته قد أزف..

فقال الجناح العسكري بثقة من فهم ما يعنيه محدثه: ال الاس دبليو بي..

هزت ارا راسها بالايجاب : نعم.. مشروع حرب النجوم..

تسائل باسل متعجبا : ماذا ؟!

تنحنح العالم الاعظم في جلسته و كانه على وشك القاء محاضرة علمية وقال : نعم هو مشروع قد ساعدنا الروبوتات في صنعه و هو مشروع على قدر فائق من السرية لكن ليس للروبوتات بالتاكيد ، حيث يعتمد هذا المشروع على الذكاء الاصطناعي البحت.. فكرة هذا المشروع تكمن في عدم قدرة اجهزة قياس الحرارة على كشف الاسلحة حيث ان مدة عمل الصاروخ لا تزيد عن خمس دقائق و تستخدم برامجه من اجهزة الكمبيوتر اذ يسمح للصواريخ اكتشاف الصواريخ المعادية رغم الدخان واللهب و هي ايضا التي اطلقنا عليها اسم اشعة الموت و هي اشعة ليزر في الاساس وفق نظام يدعي بالقاتل..

حكّ باسل ذقنه قائلا : لكن لما تطلقون عليه مشروع حرب النجوم..

فرد عليه القائد العسكري سريعا : لسببين اولهما ان هذا المشروع كنا قد صنعناه لحماية الارض من اي هجوم فضائي ذا تقدم يفوقنا و السبب الثاني ان منصة اطلاق الصواريخ تقع على قمرنا..

فقال باسل بنبرة قلق : اذا كان بوسعنا استخدامه ضدهم و هو ليس بايدينا.. اذن لم لا يستخدمونه ضدنا و هو بايديهم..

ابتسمت آرا و اتكأت بمرفقيها المعدنيين على المنضدة : ينقصهم اهم شئ فيه و هو كود التشغيل.. هذا الكود الذي لا يعلم

بـه الا عالمنا الاعظم.. و الذي بدونه تصبح جميع اجهزتهم بلا قيمة ، مجرد قطع معدنية..

عقـدت الملكة حاجبيها قائلة : لكن تلـك مغامرة كبيرة.. ماذا لو استخدمونا كطعم ليصلوا بنا لما يريدون ثم يهاجموننا و يستولون على ال اس دبليو بي..

التقط القائد العسكري الهواء ليملا به صدره في قوة قبل ان ينفع قاءلا : حسنا دعوا لي التفكير في خطة للهجوم و ساعرضها عليكم فيما بعد في اجتماع اخر..

راي باسـل انهـم لم يتناولوا راي الملكـة بالاهتمام الكافي و في نفس الوقت تعجب من تجاهلهم لها فكرر هو ما قالته هي..

- سـيدي القائـد مـاذا لـو كانـوا ينتظروننـا و نحـن ندخـل الفخ باقدامنا ليطبقون علينا في النهاية..

قالـت آرا فـي لهجـة تحمل كل التقديـر و الاحتـرام و الاعجاب : ندرك ذلك يا باسل لكن ليس امامنا حل سوي ذلك.. هي مغامرة على اي حال من الاحوال لكن لا مناص منها..

بعد كلمة آرا ساد الصمت ارجاء المكان..

اغلـق الاجتمـاع علـى الهجوم علـى مركز ال اس دبليـو بي لكن هناك شئ وقر في قلب

باسـل ، لـم يـرد ان يخفيـه طويـلا لانـه سـيغير مـن ارض الواقع كثيرا..

فـي ذلـك الوقـت كان اقربهـم لقلب لباسـل الروبـوت آرا ، فبعد انتهاء الاجتماع حدَّثها قائلا..

- هناك جاسوس بين صفوفنا..

- جاسوس.. !!

- نعـم.. انـا لم اخبركـم بعد بان العقل المعدني يطلق على نفسـه اسم " الكوماندا " فكيف لاحدكم بمعرفة هذا الاسم و الحوار قد دار بيني و بين الكوماندا فقط..

- امممـم.. لقـد اصبـت كبد الحقيقـة لحد كبير ، المشـكلة الاكبـر ان القائـد العسـكري يعتبـر اهم حلقة في سلسـلة السـادة الحكام الثلاثة لذلك ان كان خائنا وجب علينا ازالته..

- لكـن يجـب علينا التاكد اولا حتى لا نفقـد ضلعا هاما للغاية.. وربما قد قيلت الكلمة من قبيل الصدفة..

- ذلك ما سنعمل على ان نتيقن منه الايام القادمة..

- لكـن لا بـد من اعداد موجتين للاتصـال موجة بينكم تتضمن القائـد الاعلـي و الموجـة الاخـري بدونه.. تصـدرون هنا القـرارات و تغيرونها على الموجة الاخري.. او على الاقل تعدّلونها..

ربّتت آرا على كتفه معجبة بذكائه.. في ذلك الوقت كان القائد العسـكري قد عاد لغرفته و نزع حزامه و وضعه فوق مائدة تتوسـط الحجـرة و اوصـل طرفيـه ببعضهما البعـض بحيث صنع منـه دائرة و ضغط زرا صغيرا يبدو كحلية انيقة في الحزام و وقف صامتا عاقدا ذراعيه امام المائدة.. و في هدوء انبثقت اربعة خيوط رفيعة من اشـعة الليـزر مـن اربع نقاط متعامدة من الحزام لتلتقي جميعها عند مركز الدائرة التي يصنعها و صنع التقاؤها ما يشبه ضبابا متعدد الالوان ثم لـم يلبث هذا الضباب ان تكاثف مكونا صورة واضحة مجسـمة لل " الكوماندا "..

- سيدي الاعظم.. لقد اتفق سادة الحكم هنا على الهجوم على ال اس دبليو بي و طالبوني باعداد خطة للهجوم..

- و ماذا فعلت ؟!

- ساعد لهم خطة بالفعل و اخبر عظمتكم بها لتتخذوا الاحتياطات اللازمة..

- خطا.. قد يكون هذا فخا ساذجا يريدون ان يوقعوك فيه بعد ان شكّوا في امرك..

- و ما العمل يا سيدي ؟!

- الانتظار.. يقبضون سيطرتهم على المركز و بعد ان نتاكد انهم قد ادخلوا الشفرة السرية نعتصرهم عصرا و نستعيد منهم ما سلبوه منّا..

- عبقرية عظيمة يا سيدي..

انتهي الاتصال و كل من الجانبين جانب الروبوتات و البشر يعد للاخر فخا محكما و القدر يبتسم و يعرف ان النهاية ستكون صادمة اكبر من ذلك بكثير..

بدات آرا في التفكير في صنع وسيلة تواصل جديدة فقادها عقلها إلى المبدا الذي يقول

" gold is old is gold "ld في صنع وسيلة تواصل جديدة فقادها عقلها إلى المبدا الذي يقول " فاعطت العالم الاعظم و باسل مجلدين ضخمين و اوضحت لهما طريقة التواصل.. في البداية تعجب باسل من انهم لم يعطوا واحدا للملكة.. لكنه استنبط انها ربما لا تعنيها الامور الصغيرة و ان كل ما يهمها القرارات المصيرية التي ستبلغها بها آرا عندما يستقرون عليها.. عاد باسل لغرفته و نفسه تمتلأ عزة وفخر لانه قد صار احد كبار اوكتورا..

لم يابه بسكون المرض المؤقت لان هذا المرض اصبح صديقه الذي ان غاب تفقده حتى عاد اليه مرة اخري بالرغم مما يسببه له من متاعب..لذا لم يحفل باسل بهدوء المرض لانه كان يعلم انه سرعان

ما سيعود وبشده..

مـرت ايامـه تباعا و عـرض عليهم القائد العسـكري خطته و هم يضمرون له اضعاف اضعاف ما يظهرون حتى جاء هذا اليوم..

كان باسـل جالسـا في غرفته و فجاة و هو مستلق على سريره اذا بضوء اخضر هادئ يشع و ينطفئ بايقاع منتظم ينبعث من الرف الذي به المجلد الذي اعطته آرا اياه.. قام باسل سريعا و انتزع هذا الكتاب الضخم و وضعه فوق المكتب ثم جري على كعبه باناامله في لمسـه رقيقة تبدو و كانها تتبع منهجا سريا خاصا و ما ان رفع اصابعه بعيدا عـن المجلد حتى تحول الضوء المشـع منه تدريجيـا إلى اللون الاحمر الباهت ثم الاحمر البارد و انبعث شـعاع من الضوء الفسفوري عموديا على غلاف المجلد و بهدوء تكونت وسط الشعاع صورتين مجسمتين احداهما لآرا و الاخري للعالم الاعظم..

بدات آرا في الحديث متناولة خطة القائد العسكري..

- سنقتحم في نفس الموعد المحدد لكننا سناخذ معنا متفجرات من نوع Aziroazide التي سنوزعها في ارجاء المكان و هذا خارج عن خطـة القائـد ليتحول المكان لمقبـرة جماعية اذا ما تـازّم الوضع او خرج الامر عن سيطرتنا..

اسرع باسل يقول : اذن هي مقامرة في المقام الاول..

اجاب العالم الاعظم في لهجة حادة : يتراءى لي انه ليس هناك حل امامنا سوي ذلك..

هزّ باسل كتفيه : ما الخطة اذن ؟!

بـدات ارا فـي الحديث : مركز ال اس دبليو بـي يتالف من دورين ، يشـمل كل دور حوالـي سـبع غرف.. سـنتبع طريقة الهجـوم و التي تنـص على اسـتخدام جهـاز صنعته بنفسـي خصيصا لتلـك المهمة ،

هذا الجهاز يصدر ذبذبة صوتية خاصة غير مسموعة و لكنها تسبب اضطرابا في الاذن الداخلية مما يصيب الشخص بدوار غير مفهوم و يفقده القدرة على التمييز و سرعة اتخاذ القرار و عندما يفقد الحراس سيطرتهم على تصرفاتهم تماما يهاجم الجنود و يسيطرون على المكان في وقت اقصي تقدير له ثلاث دقائق..

قاطعها باسل في هدوء : لكن هناك ثغرتين واضحتين في تلك الخطة..

قالت آرا بنفاد صبر : و ما هما ؟

تنهد باسل مرة اخري ثم استطرد في هدوء : الثغرة الاولي هي كيف سيؤثر هذا الجهاز في روبوتات الحراسة و هم ليسوا بشر.. انا اعلم يقينا انهم قد صاروا مثلنا لكن هذا لا يعني ان لديهم اذنا داخلية !!

اعجب العالم الاعظم بتفكير باسل فابتسم و قال : و الثانية..

اكمل باسل حديثه: لو افترضنا ان هذا الجهاز سيصيبهم بالدوار ما الذي يمنع ان يحدث العكس و يقودهم للجنون فيندفعون ليدمروا المكان عن اخره و نكون في هذه الحالة قد فقدنا فرصة ثمينة للغاية للتحكم في الارض مرة اخري و عودة السيادة لنا..

قالت آرا : اجيبك انا عن الاولي و اترك الثانية لعالمنا الاعظم لانها من اختصاصاته.. من يحرس المركز هم بشر عمد الروبوتات إلى تنويمهم مغناطيسيا جعلوهم يظنون انهم يحاربون بجوار اخوانهم البشر ضد اعداءهم الروبوتات و الحقيقة انهم يغررون بهم لا اكثر..

باسل : فهمت.. و الثانية ؟!

اعتدل العالم الاعظم في مقعده و هو يقول باهتمام بالغ : لقد درست هذا الاحتمال جيدا و عرفت انه وارد الحدوث و بنسبة تقارب

نسبة تخبطهم و عدم قدرتهم على اتخاذ القرار و تسليم المكان لنا لكن في الاخير استعير جملتك و اقول تبقي مقامرة في المقام الاول و نتمني من جنودنا ان يستخدموا عامل المفاجاة ليفرضوا سيطرتهم على الامر سريعا..

ابتسم باسل ابتسامة ودود مفعمة بالقلق: بالتوفيق.. عسي ان يحالفنا النصر تلك المرة..

ثم اطرق براسه قائلا : لكن ماذا عن تلك الارواح التي ستزهق اثناء الهجوم او اذا ما غدر بنا القائد العسكري.. هم بشر على اي حال حتى لو حاربونا فهم يفتقدون القدرة على التحكم بانفسهم ؟!

قالت آرا في صرامة: لكل حرب ضحاياها يا باسل و لا مانع من التضحية بالبعض مقابل ان يعيش الباقي..

مطّ باسل شفتيه و قال في نفسه : مبدا [1]نيتشه العقيم..

انتهي الحديث و اختفت الصورة المجسمة و هو يضع المجلد مكانه اذا به يري حرف R ضخم منقوش على غلاف المجلد من الخارج و يقرا اسم المؤلف من الخارج " ريهالد مالفي " اثارغلاف الكتاف انتباهه فعلم انه مكتوب من زمن طويل ، فتح اول ورقة و قرا عبارة المقدمة و شهق شهقة عنيفة فما قراه كان يختلف عن كل ما سبق.. كانت معلومات مرعبة لاقصي حد معلومات كافية لان تقلب حياته راسا على عقب..

مرت عدة ايام كان كل يوم يقرا باسل جزءا من الكتاب و يغلقه و

(١) فيلسوف الماني ولد ١٨٤٤ وتوفي ١٩٠٠.. ناقد ثقافي و شاعر و ملحن ولغوي و باحث في اللاتينية و اليونانية ، كان لعمله تاثير عميق على الفلسفة الغربية و تاريخ الفكر..استخدمت اراؤه من قبل الفاشية و النازية..كان يرفض المثالية الافلاطونية و المسيحية و الاديان..من اهم مؤلفاته هكذا تكلم زارادشت ، في جنيالوجيا الاخلاق ، انسان مفرط في انسانيته ، ما وراء الخير والشر..

يستيقظ في اليوم التالي يقرا الجزء الذي يليه حتى اصبحت المعلومات المتواجدة في الكتاب تهمه اكثر من الغرض الذي جاءت به آرا من اجله حتى سال آرا في يوم من الايام عن ريهالد مالفي.. فاخبرته انه من كتّاب القرن الماضي العظماء الذين كانت لهم شعبية كبيرة قبل ظهور الحبر الالكتروني و الكتب القطبية - التي على شكل اقطاب مغناطيسية و سبق ذكرها -.. كان مشهورا بنقله للقصص و اخذه للعظات و العبر و انتقائه للدروس المختارة من التاريخ لكن بعد ان يغير اسماء الشخصيات اما لرفض الشخصيات الحديث عنهم و اما لاثارة جمهوره و التساؤل ان كان ما يقراونه حقيقة ام خيال.. لكن له كتاب خرج فيه عن المالوف فلم يعلم احد ان كان ما يكتبه حقيقة ام اسطورة ربما هي نبوءة و ربما.. المهم انه قد تحدث عن شاب انتقل للماضي ثم اصبح زعيما لاحدي القبائل الافريقية ثم جاء للمستقبل.. تناول هذا الكتاب ايضا نجاح العلماء في الوصول لعقار مرعب يدفع الانسان من الطفولة للكهولة في غمضة عين و من الشيخوخة للرضاعة و ما بينهما من مراحل عمرية.. هذا الكتاب يسمي « أمل ام ألم « اثار هذا الكتاب ضجّة حين صدوره لكن بعد ذلك اندثر في غياهب الزمن..

كان اكثر ما يثير حيرة باسل تلك المعلومات المندثرة في هذا الكتاب حتى جاء اليوم الذي انهي فيه ما يقارب من نصف الكتاب ثم قطع عهدا على نفسه بالا يكمله ، اخذ يقلب صفحات الكتاب دون ان يقراها حتى وصل لنهاية النصف الاول و بداية النصف الثاني.. حينها وجد عبارة " الان فقط انتهت اكثر رحلات البشر غموضا.. الان فقط قد عثر على بغيته لكن للاسف بعد فوات الاوان " قرر ترك الجزء المتبقي من النصف الاول و النصف الثاني و عدم قرائتهما.. اغلق الكتاب و اخذت دموعه تنهمر على وجنتيه و عقله يردد «كم انت احمق يا صديقي»..

بعد عدة ايام من التجهيزات جاء اليوم المحدد لتتحرك مجموعة من الجند تجاه المركز بقيادة القائد العسكري و معهم العالم الاعظم.. لم يستغرقوا وقتا طويلا حتى وصلوا للمركز و تم تنفيذ الخطة كما وضعت تماما و لم تمض دقيقتان حتى كان المكان باكمله يقع تحت طائلة البشر.. سرعان ما ادخل العالم الاعظم الشفرة و بدا تشغيل المشروع الاخطر على وجه العالم و الذي كان يطلق عليه الطرفان من شدة قوته اسم « القاتل ».. بعدها بدا القائد العسكري يوزع جنوده في ارجاء المكان و هو يتوجس خيفه ان تفشل خطته و ينكشف لكنه لم يكن يعلم ابدا عن تلك القنابل التي تتزود بها حقائب جنوده.. نجح العالم الاعظم في تشغيل المشروع و قام بارسال عدة معلومات لآرا فتعجب القائد العسكري من ذلك.. الخطة تتضمن السيطرة على المكان و الشروع في توجيه ضربات للخصم لا اكثر فقام يسال العالم الاعظم عما فعله و ما ان وقف على قدميه اذا بانفجارات و اصوات صراع و حرب تدور خارج المركز ثم تقترب فتصبح عند الطابق السفلي و تقترب و تقترب و تلوح ابتسامة الغدر على وجه القائد العسكري و فجاة يصرخ العالم الاعظم باعلي صوته..

- الخطة B .. الخطة B..

لم يفهم القائد العسكري ما سيترتب على تلك الجملة الا ان خبرته العسكرية انبأته ان تلك الكلمة و الطريقة التي قيلت بها تنمّ عن ان ما قبل تلك الكلمة شئ و ما بعدها شئ اخر تماما اما الجند المدربون فما ان بلغت تلك الكلمة مسامعهم حتى بداوا في توزيع القنابل وفق خطة مسبقة و كانهم مدربون على هذا الامر بالذات.. بعدها نظر العالم الاعظم للقائد العسكري و قال بالم..

- لم فعلت هذا يا صديقي ؟ عشنا سويا و سنموت سويا لكن للاسف التاريخ لن ينسي فعلتك ابدا..

ثم باشـارة من يده اعطي اوامره لجنوده بالتفجير فتحول المكان في غمضة عين لتراب و ضاع امل كل من الطرفين في امتلاك اقوي سلاح على وجه الارض.. لكن تلك المعلومات التي حصل عليها العالم الاعظـم و الـذي ارسـلها بدوره لآرا قـد تغير ايضا من مجـري التاريخ فهي لا تقل قيمة عن هذا السلاح سوي ان هذا سلاح عسكري و هذا سلاح معلوماتي مخابراتي من المقام الاول..

حزنـت الملكـة و آرا وباسـل على موت العالـم الاعظم فقد عاش و مـات رجلا و تناسـوا هذا الخائـن الذي كاد ان يـودي بهم لغياهب الظـلام.. بعـد ايام من الحزن الشـديد فـي اوكتورا على وفـاة العالم الاعظـم تبدا آرا في اعداد خطة جديـدة لكن تلك المرة خطة نهائية لتريح الارض من سـطوة السـابور و للابد.. تبدا ارا خطتها بالاسـتعانة بعالم جديد شـاب يرتدي نظارة سـميكة تغطي عينيـه الخضراوتين و شـعره الاصفـر و تلـك الخصلة المنسـدلة على جبينـه و التي تزيده وسامة فوق وسامته ، لم يلتق به باسل و انما عرف ملامحة من الصورة المجسـمة.. و كالعـادة اعطت آرا العالم الشـاب مجلـدا حتى يكون وسيلة اتصال و كالعادة ايضا لم تمنح آرا الملكة مجلدا لكن رغما عـن هذا كانـت الملكة دائمة الوقـوف لجنب باسـل و دائمة الدعم المعنـوي له.. حينما اضاء ذاك الضوء في حجرة باسـل كما ذكرناه انفا اقبل باسـل للمجلد و قال " اواه يا صديقي " ثم مرر باصابعه حتى ظهـرت صورتيـن احداهما لآرا.. بدات آرا تشـرح خطتهـا تلك المرة و كانت خطة جنونية لاقصي حد.. اخبرتهم آرا بالاتي..

- سـاعكف فـي مختبـري الايـام القادمـة على صنـع روبوت من الجيل القديم.. من اولئك الذين لم يعرفوا معني التمرد بعد..

قاطعها باسل قائلا : و ماذا سيفيدنا هذا الروبوت ؟

عقّبـت آرا قائلـة : فلنعـود للخلف و لاكشـف لكم مـا حدث يوم

اقتحام مركز ال اس دبليو بي.. كنا نخشي من غدر القائد الاعظم لذا وضعنا خطة صغيرة و هي بمجرد ان يدخل العالم الاعظم الشفرة السرية يبعث لي قدرا هاما من المعلومات.. فاذا غدر بنا القائد العسكري صارت معنا نسخة ثانية و اذا لم يحدث ذلك ملكنا زمام الامور و صار بايدينا اقوي سلاح عرفته البشرية..

تسائل العالم الشاب مستغربا : عن اي شئ كانت تلك المعلومات؟!

غمغت آرا في لهجة تفيد بنفاد صبرها : احدي خصائص مشروع ال اس دبليو بي التجسس و التصوير و اعطاء تفاصيل كاملة لاي مكان تحدده على وجه الارض..

شهق العالم الشاب و قال : ا يعني هذا ان لدينا وصف تفصيلي لبامورا ؟!

اومات آرا بالايجاب: نعم بل و سابعث اليك تلك المعلومات و الصور الان حتى تستطيع ان تجد لنا نقاط قوة وضعف بامورا و طريقة لادخال الروبوت ميماس..

قال باسل مستفهما : و ما الذي سيفعله الروبوت ميماس بعد نجاحه في الدخول ؟

اجابته آرا سريعا : هنا تكمن العبقرية و طرقعت أصابعها بصوت عال.. الروبوت ميماس ليس روبوت بالمعني الحرفي.. بل.....

اتسعت عينا العالم الشاب في دهشه : جاسوس !!

لوحت آرا بذراعها و هي تقول بحنق: لا اخطر من ذلك بكثير..

قال باسل بتهكم : بشري اذن..

تجاهلت تهكم باسل و اكملت و كأن شيئا لم يكن : بل قنبلة.. قنبلة عاقلة نستطع توجيهها عن بعد..

امتلات نفس العالم الشاب بالدهشة فقال: لكن ا يمكن للعلم ان

يصنع شيئا كهذا ؟!

قالت آرا بتبرم : العلم يصنع المعجزات يا فتي..

التفت باسل إلى ارا قائلا : هل من الممكن ان توضحي لنا اكثر هذا اللغز ام انك تضعي المزيد من الالغاز امامنا ؟

شرحت آرا اللغز قائلة : حسنا اعيروني سمعكم.. سنصنع روبوت، شخص آلي عبارة عن قنبلة باستخدام الدوائر المطبوعة على رقائق السيليكون الشفافة و له هيكل عظمي مصنوع من العاج المبطن من الداخل بالرصاص ليحجب الاشعة عن اجزائه و دوائره اما جلده فمصنوع من الجلد الصناعي الذي يستخدم في عمليات التجميل.. عيناه ستكونان عيني بشري لكنهما في الحقيقة كاميرتين تنقلان لنا كل ما يري.. اما عن القلب فهو تحفة فنية بكل ما تحمله الكلمة من معان فهو.....

هتف باسل في ذهول : ا مصنوع هو الاخر ؟

لاحظت آرا نبرة السخرية التي يتحدث بها باسل و يخيفها إلى حد ما جهاز الاتصال فقالت

بحدة :

نعم مصنوع و مبرمج بحيث يعطي نبضات منتظمة مشابهه تماما لنبضات القلب البشري بل انها مشابهه للدرجة التي تكفي لخداع طبيب ماهر..

و هنا قاطعها العالم الشاب و كانه يلتقط منها طرف الخيط فبدا يتحدث بحماسة شديدة و يقول : و انا اقترح بعد ان تنتهين منه ان نقوم بعمل رسم لمخه الاصطناعي و ذلك سيكون اختبارا حقيقيا له..

اكملت آرا ببسمة المنتصر الذي استطاع ان يجذب لبّ مستمعه : اوافقك الراي و انا على يقين انه سيعطي نتائج مبهرة و سنحصل على

نفس الرسم البياني للمخ البشري او مقاربا له لحد كبير بحيث تعجز عين خبير عن الاحاطة بالاختلاف..

بدا باسل يقتنع بالفكرة لحد كبير لكن عقله طرح سؤالا هاما فنقله باسل للسانه : لكن لم لا نجعله روبوت فقط او بشري فقط مع رفضي للخيار الثاني.. لم نجعله مزيجا من هذا و ذاك ؟

قالت آرا بتوضيح : حتى يكون سلاحا ذو حدين يعثر عليه السابور فيعاملونه كبشري جاسوس و بالتالي يستطيع ان يصل للقيادة العليا « الكوماندا» و في نفس الوقت يؤدي الغرض الذي صنع خصيصا لاجله ، ان يكون قنبلة موقوته..

غمغم العالم الشاب في لهجة تفيض بالمرارة: لكننا الان بين مطرقة عدم امداده بالتعبيرات البشرية الطبيعية و بالتالي فلن يتذوق مثلا الدعابة فيضحك او يتاثر بمشهد عاطفي و غيرها من المشاعر البشرية الحمقاء و بهذا سيظل دائما جامد الملامح بارد النبرات و سندان ان نصنعه كالسابور و نمده بالمشاعر فينقلب علينا..

عقّبت آرا في تاكيد : ربما نكون بالفعل بين مطرقة و سندان.. لكن الاحتمال الاول اكثر قابلية للنجاح و اقل خطورة علينا..

عقد العالم الشاب حاجبيه : ولكن هناك ثغرة قد تكشف الامر باكمله و تنهيه قبل ان يبدا حتي..

قالت آرا بسخرية : و ما هي ايها المتحذلق ؟!

تجاوز العالم عن الاساءة و قال بحنق بالغ : عندما يفحصونه بالاشعة السينية فمن الطبيعي الا يشعر البشري بشئ و هي تخترق جسده لكن لان ميماس آلي فقد تتاثر اجهزته و ربما يحدث بها خلل فتتعطل فينكشف الامر باكمله..

ردت عليه آرا بتبرم واضح : ا تظن ان نقطة كتلك اغفل عنها او

حتى اتجاهلها..

سـالها باسـل ببرود سـاخر : اذن كيف تصرفتي في تلك النقطة ايتها العبقرية ؟

اشـارت آرا إلـى موضع القلـب و قالت : هنا يكمـن الحل.. حينما يبداون فحصه سـيصاب بنوبة قلبية و تتوقف جميع اجهزته عن العمل و لو انهم حاولوا انعاشـه و هو امام مجال الاشـعة لما افاق ابدا.. لكن بمجـرد ان يحملـوه إلـى الفـراش بعيـدا عن مجـال الاشـعة و يبداون حـركات التدليـك التـي تجري فـي مثل هـذه الحالات فـان اجهزته ستشحن و تعود للعمل مرة اخري و كانه عاد للحياة..

اعجـب باسـل بذكائهـا فقال: الان فقـط عرفت لمـا ابقي عليك البشر إلى الان..

واتبع قوله بضحكة ذات صوت عال ارتجّت لها ارجاء المكان..

اسـتقر الامـر على ذهـاب ميماس إلـى بامورا و انهـاء الامر كليا بتفجيـر محدود فـي هذا المبني الـذي يمثل القيادة العليـا للروبوتات وبالتالـي اعادة السـيطرة للبشـر مرة اخـري.. تجهز الروبـوت الخارق لتلك الرحلة التي بلا عودة..

كانـت الخطـة تقتضي على انهم سـيجدوه داخل حـدود بامورا و سـيعتبرونه جاسوسا و بعدها ياسرونه و من ثم يلاقي العقل الاعظم « الكوماندا « و بعدها يضغطون زر التفجير و يتحول كل شئ لكومة رمـاد فـي غمضة عين.. كانت هذه الخطة تسـتقر فـي اذهان الثلاثة آرا و العالـم الشـاب وباسـل.. عاد الجميـع لغرفهم انتظـارا للغد الذي سيشـهد تغييـر خارطة هـذا العالم فاوكتورا سـتلقي ببامـورا خارج المنافسة تماما و للابد..

قضـي كلا منهمـا ليلته يقظا فآرا تصنع و العالم يخطط و باسـل يجلس على فراشه و ينظر لكتاب ريهالد مالفي يتمني ان ينتزعه من

مكانـه و يكمل قراءة ما بدا فيه.. اخذ يجاهد نفسـه حتى انتصرت عليـه و اخبرته انها سـتكتفي بالبقية الباقيـة من النصف الاول فقط دون ان تبـدا قـي الجزء الثاني.. كان قد قرا ما يقارب نصفه و الرغم مـن انه قطع عهدا على نفسـه بالا يكملـه الا انه حنث بوعده فجلس يكمـل الباقي لعل خلايا جسـده ترهق فيسـتجيب عقلـه للنوم الذي هـو ابعد مـا يكون عنه فـي ذلك الوقـت.. كان الجـزء الذي تركه باسـل قد اطلق عليه المؤلف " مالفي " " إلى المسـتقبل حيث الحقيقة " بـدا باسـل يقـرا و يقرا و مـا كان يثير حيرته قبل ذلـك لم يعد يثير حيرتـه الان.. ما كان يدهشـه و ينبهر به صـار الان جزء لا يتجزا من حياته و كانه اصيب بداء التعود.. اخذ باسل يلتهم صفحات الكتاب مثلما التهم عقله و عيناه الكثير من الكتب السابقة قبل ذلك.. لكن شيئا ما في ثنايا هذا الكتاب جعله يختلف عمّا قرا من كتب مضت او كتـب آتية.. ظل يقـرا حتى بدات اوداجه تنتفـخ و حدقتاه تضيقان بشـكل ملحوظ ، عيناه صارتا كرتان من الجمر من شدة الغضب و قد بدا يتصبب عرقا ثم ضرب بقبضته على المنضدة التي امامه بكل قـوة حتى شـعر ان كيانه قد اهتزّ كله من قـوة الضربة دون ان تتاثر المنضدة و كان ما يقراه لم ياتيه حتى في ابشع كوابيسه.. و بعدها اغلق الكتاب سريعا و مرّ باصابعه على غلاف الكتاب من الخارج و استدعي آرا و العالم الشاب للاتصال.. ترك كل منهما ما بيده سريعا و توجها للحديث فبدا باسل الكلام بصوت يحمل نبرة غضب و قال: آرا.. على اي جانب نحن..

- لا افهم ما تعنيه يا باسل..

- اريد جوابا ا نقف بجوار الروبوتات الذين تطلقون عليهم السابور ام اننا نساند البشر و نريد ان تعود سيادتهم للارض مرة اخري..

سـارع العالـم الشـاب بالـرد قائلا : البشـر بكل تاكيـد ، و من

المؤكد انك تفهم انه لا يعني وجود آرا بجانبنا اننا نساند الروبوتات فآرا نموذج استثنائي..

حدجه باسل بنظرة استنكارية و قال : يبدو ان آرا نموذجا استثنائيا بالفعل..

فسالته آرا سريعا : ماذا تعني بكلمتك هذه..

فضرب باسل بيده على جبهته و قال : كيف كنت غبيا طيلة هذه المدة.. كيف لاول روبوت على غرار البشر ان يناصر البشر و ان يقف ضد بني جنسه.. كيف جعلتيني اقابل سادة الحكم في البداية دون حتى ان اصافحهم او الحظ انهم سابور و ليسوا بشر و انهم يرتدون ما اخربتيني به عن ميماس ليبدو كبشر .. كيف وثقوا بي و جعلوني واحدا منهم.. كيف لم اقابل العالم الشاب إلى الان.. كيف مرّ على وصف العالم الشاب لمشاعر البشر بالحمقاء رغم ان البشر يقدسون مشاعرهم.. حينما قاطعتك في احدي المرت كنتي على وشك ان تصفي البشر بالمتغطرسين..

كل هذا الوقت و انا اظن نفسي اقف بجوار البشر و الحقيقة المرّة ان العكس هو ما قد حدث تماما.. نعم اولئك البشر في هذا العالم قد تم تنويمهم مغناطيسيا لاقناعهم بما تم اقناعي به اما الروبوتات الموجودين في باموراً فهم روبوتات من الجيل القديم.. الجيل الذي لم يعرف بعد معني التمرد.. الان اشعر بان القدر يطلق ضحكة سخرية فحتي القائد العسكري الذي كان يظن انه يوالي الروبوتات سرا كان يواليهم علنا و يخونهم سرا.. هذا القائد العسكري كان يناصر البشر سرا و انا اطحت به بغبائي.. لقد كانت فرصة لا تعوض ليسيطر البشر على المركز العلمي لكن ضيعتها بحسن نواياي..

اكملت آرا و كانها تزيده من الضوء قبسا : كل ما قلته صحيح و قد ساعدنا في ذلك خوف الكوماندا و استخدامه لصوت معدني

بدلا من ان يقف رجلا لرجل امام اسـراه و ليت الامر اقتصر على هذا الحـد بل انه اسـتخدم روبوتـات من الجيل القديم كمـا ذكرت و ما زاد الطين بلّه سـجنه لاولئك البشـر الذي كان يحسـب انهم يقومون بعمليـات انتحارية و يتجسسـون عليـه بارادتهم و انهم ينشـدون عالما اكثـر عبقرية يعيشـون فيـه يقوده الروبوتـات مما اوهمـك بانه عقل معدنـي بحـت.. نعم لقد اخذنـا منكم الكثير مـن الصفات الا صفة واحدة..

قـال العالـم الشـاب و هـو يقهقه بصوت عـال : الخوف يـا عزيزي فلسنا جبناء مثلكم.. بل اننا استبدلنا صفة الخوف بصفة السيادة..

نظـر باسـل لصـورة آرا المجسـمة و قال : السـيادة ! يبـدو انكم تتفقون جميعا في التفكير..

و استرجع عقله ما اخبرته به آرا قبل ذلك عن السيادة..

هنـا برقـت عينـا آرا و قالت : انتـم من زرع فينا تلـك الخصلة التي كانت لنا في البداية خصلة

قذرة.. الم يقتل ادموند اخاه جامجي و لو انه القي سمعه للحيظات لما فعل ذلك و من قبله والده سـولجان ا لم يرم زوجته بالفاحشـة حتى يشـبع رغبـة التملّـك بـه.. ا لم يقتـل فرانـك ايثموث و خـان كاليبولا باكملها.. هنا يكمن الفرق بيننا و بينكم نحن نعشق السيادة لكن لا نخون..

قال باسل :

- مهلا مهلا من اين لكي بتلك المعلومات ؟!

- حينما فحصنا عقلك للمرة الاولي لناخذ منه ما نريد من معلومات حول بامورا وقمنا بتنويمك منغاطيسـيا اذا بعقلك الباطن يردد كلمة مـرض "الانـر" اكثـر مـن مرة ليس هـذا فحسـب بل و يختـزن ايضا

محـاولات علاجك له ، والـدك و نصائحـه الغامضة.، عادل صديقك المخلص ، صدمتك في وفاة والدتك ، ادموند ، جامجي ، سولجان، فرانك ، ايثموث..

قال باسـل بتسـاؤل : مرض الانر ؟! ما هذا المرض لم اسـمع عنه مـن قبـل..ان المرض الذي كنت ابحث عـن علاجه هو مرض القلوب و ليس الانر ؟

قالـت آرا بنظرة متفحصة : لقد راعني امرين اولهما ترديدك لتلك الكلمـة عدة مرات و ثانيهما..... سـكتت لبرهه ثـم قالت لم تثيرني ابدا تلك المعلومات ما اثارني غير ذلك بكثير..

قـال باسـل بحسـرة : اذن خـلال الفتـرة الماضيـة كان عقلـي كالكتاب المفتوح على مصراعيه امامكم تقرءون فيه ما تشاءون.. لكـن هذا يعنـي انك قد صنعت ميمـاس منذ مدة و كنـت تنتظرين المعلومات فقط لاظهاره على الوجود..

قالت آرا : نعم ميماس الخطة الرئيسـية للسيطرة على الكوكب امـا الهجـوم علـى المركز فـكان مجرد خطـة فرعية تخـدم خطة ميماس..

- لكـن لـم ابقيتم على حياتي طيلة هذه المـدة و لم تعاملوني مثل باقي البشر ؟!

قال آرا في تردد : ابقيتي و ليست ابقيتم..

قال باسل مرتعبا : ا تعني ان....

- نعم في الحقيقة اني لم اجد اجابة اقنع بها مجلس القادة السابق لكـن اخبرتهـم بخطتـي الجهنمية و انك قـد تمثل لنا في المسـتقبل فائدة و خاصة بعد ان كشـفت لهم المعلومة التي اثارتني عند فحص عقلك.. لكن الحقيقة كانت غير ذلك تماما ، الحقيقة انك البشري

الوحيد الذي احببته و كنت اشعر تجاهه بشعورين متناقضين الهيام والبغض.. كنت و انا اتحدث اليك ازفر بشدة لم ادر ا كانت تلك الزفرة التي تنطلق من بين شفتي تحمل ارتياحا ام حنقا و بغضا .. لم ادرك حقيقة شعوري تجاهك ا ذاك الشخص الذي اسعي لقتله و تدميره نفسيا و ايصاله لمرحلة الجنون ام انه الشخص الذي قد ابذل حياتي يوما في سبيل انقاذ حياته.. ا هو الشخص الذي خفق قلبي المعدني له و حلمت بحبه من اول لحظة رايته فيها ام كغيره من البشر تمنيت موته و اندثار حضارة جنسه.. ا هو الشخص الذي اردت ان يكون ملكا في يوم من الايام رغم سجيته البشرية يناصفني العرش - بعد ان عرفت ما فعلته مع فلافي و ايثارك له - حينها ادركت انك صنف يختلف عن باقي البشر.. ا هو الذي كرهته بكل جوارحي ام هو الذي احببته بكل ذرة في كياني.. اخيرا انت الشخص الوحيد الذي تناقضت فيه مشاعري تجاهه حتى بتّ انا نفسي اجهل ما الذي اريده منك قلبك ام موتك.. انا بكل جبروتي و قوتي و عقلي المنظم و ارادتي القوية و شخصيتي التي هزمت اقوي الرجال و قريبا ساحكم هذا العالم لوحدي اعجز تماما عن اتخاذ قرار تجاهك نعم هذا هو اللفظ المناسب المعبر عمّا انا فيه العجز..

- ما هي النقطة التي اثارت حيرتك غير كل ما سبق ؟

- عقلك الباطن.. لم ار عقلا بمثل نشاطه.. لم ار عقل بشري يحمل هذا الكم من المعلومات قبل ذلك.. ثم قالت و كانها تستفيق مما بها : لكن لن اضيع كل ما صنعت من اجل خفقان قلبي..

ثم توجهت بعينيها الاليتين نحو الجانب الاخر من الشاشة و قالت بشراسة نمرة غاضبة : ايها العالم نفذ ما اتفقنا عليه الان..

و ما ان تلقي العالم الشاب اوامرها حتى وجد باسل جدران من الفولاذ تسقط امامه و تحيل الغرفة لمجرد مساحة صغيرة محاطة

باربـع الواح مـن الصلب ما ان اقترب من احدهـا حتى اصابته صاعقة كهربيـة و بـدات تبرز مـن الجدران كاميـرات مراقبة مـن اماكن متفرقة حتى نافذة التهوية قد استحالت لانبوب ضخم يبث غازا غريبا عـرف باسـل فيما بعـد انه منوّم قوي ما ان استنشـقه حتى بدا يشـعر بـدوار شـديد و كان اخر ما سـمع مـن ارا قبل ان يغيـب عن الوعي و هي تقول بصوت متهدج : لقد احببت كل شـئ فيك و كرهت شـيئا واحدا عقلك الباطني.. ذاك الذي اودي بي إلى سرك الاعظم و عندما يكون سـرك الاعظم شـئ يخفيه عنك قلبك فاعلـم ان الامر قد فاق كل الحدود..

اسـتمع باسـل للكثيـر من الحديث بعـد تلك الجملـة لكن عقله لم يسـتوعب كلمة واحدة مما سـمع و بعدها بدا يفقد حاسـة السمع تدريجيا حتى غاب عن الوعي تماما..

فـي تلـك الغيبوبـة القصيرة التـي لم تـدم لبضع سـاعات تجمعت الذكريـات لباسـل.. والده و والدتـه و عادل و رحلته الاولـي و الثانية والثالثـة ثـم وجد الملكة الشـابّة ذات العينين الزرقاوتيـن تدنو منه و تهمس في اذنه و تقول..

- اما وجدت الطريق بعد..

فقـام فزعـا مـن على سـريره لا يدري كم اسـتغرق مـن النوم قام كالذي راي شبحا للتو فهذه الجملة رددها والده كثيرا على مسامعه كيف لتلك الملكة التي نبض قلبه لها ان تعرفها.. اخذ هذا السـؤال يدور بعقله حتى قطع حبل افكاره صوت رفع باب فولاذي من الاربعة و دخول آرا..

لم يلتفت لها باسل و قالت بنبرة حزينة مكتومة..

- ا تمت المهمة بنجاح و فني البشر كما خططتي..

قـال آرا بصوتهـا المعدنـي التي حاولـت ان تضفي عليـه قدرا من

الاشفاق : نعم لم يبق الا انت و هؤلاء المقيمين معنا في اوكتورا..

- اذن انت ملكة العالم المتوّجة الان..

- نعم.. و بامكانك ان تناصفني عرشي و نعيش سويا..

- عذرا.. فلن اخن ابدا بني جنسي..

قالت آرا بلهجة مقت : هذه من الصفات التي نكرهها فيكم المبادئ.. المبادئ اشياء فانية تتغير بتغير البشر..

- اتسمّينا المبادئ اشياء فانية ؟!

- بالتاكيد و الا ما آلت حضارة البشر للفناء و بقينا نحن..

اطرق باسل براسه و قال :هناك اسباب اخري هي ما آلت بنا لهنا ليس هذا السبب..

- ساعطيك فرصة للغد و بعدها ستعامل كاقرانك من الخدم البشريين عندما ننتقل إلى بامورا مرة اخري..

لم تزد كلمة واحدة بعد ذلك و هي منصرفة قال باسل بصوت باك : لقد ادرتي اللعبة بعبقرية شديدة لكن شاء القدر ان تخطئي خطئا واحدا كفيلا بهدم كل شئ..

- و ما هو ؟

- اقرئي كتاب ريهالد مالفي " أمل ام ألم " "Hope or Pain " و ستعلمين كل شئ..

لم ترد على باسل و خرجت من الغرفة و عاد الباب الفولاذي مرة اخري بما فيه من كهرباء صاعقة.. ما ان انصرفت آرا حتى قام سريعا و التقط المجلد الضخم و قبّله و قال « وداعا يا صديقي فجدك ينتظرني بشوق هناك «

حينها كان اعصار شديد بدا يضرب راس باسل و بدا يتهاوي و احس بان الزوال قد اقترب فسقط المجلد من يده و اختفي تماما

عائـدا لزمنـه.. كان ما يـدور بخلده في تلك اللحظـة ان الكاميرات ستخبر آرا باختفاء باسل المفاجئ و انها ستهرع للمكان لتجد الغرفة فارغة من البشـر.. منظّمة لاقصي حد الا من كتاب يقبع على ارضية الغرفـة مؤلفـه ريهالد مالفي و عنوانه " امل ام الم ".. نعم المجلد الذي اعطتـه لـه هـو هو نفـس الكتاب الـذي حذرتـه منه.. هـذا الكتاب سيصيبها بصدمة عمرها فهو يحمل لها في طياته مفاجاة..

# الفصل الخامس

دوار شـديد يكتنف راس باسـل يتبعه هدوء تام ثم شعور باطرافه على اسـتحياء.. يفتح باسـل عينيـه ليجد عالمه الخـاص كما تركه لكن قد غطّاه التراب بشدة فاخفي جزءا كبيرا من معالمه ، تقويم عالمه يشـير إلى ان اليوم عيد ميلاده الخمسين.. مرآته تخبره بانه قد صار كهلا فشـعره لم يسـلم من الشـيب.. ها هو قد عاد من جديد ، لكنـه مـا زال يحس بتاثير المـرض ، ،هذا يعني ان الدواء قد فشـل قطعـا في العلاج و لا داعي للمزيد من المحاولات.. الامر واضح للغاية و لا يحتاج لتاويل.. لقد ضاعت سنوات عمره هباء..

القـي راسـه على الوسـادة والدموع تنهمر من عينيـه على وجنتيه حتى غالبه النوم فغلبه فاستسلم له..

راي في منامه انه جالس في محكمة و قد اتشـح بلباس القضاة.. علـى يسـاره يوجـد الحاجـب الـذي ينـادي علـى القضايا تباعـا و هو عقلـه، ، ، على اقصـي يمينه يوجد ممثل النيابة و هـو عقله الباطني.. امامـه يجلس والده متمثلا في محامي الدفاع في انتظار بدء الجلسـة و وراء القضبان يقف المتهم الشـاب يتلفت هنا و هناك و للاسـف هو قلبه.. و اصوات صاخبة مضطربةهنا و هناك من الجمهور الجالس..

باسـل ينظر مـن وراء المنصـة و لا يدري ماذا يفعـل.. وفجاة يقطع حبـل افـكاره صـوت عقلـه «الحاجب» قائـلا : قضية رقـم ٢٥٩ لعام ٢٠٥٠ باسم « مقتل باسل محي عماد»

اردف باسـل فـي لهجة روتينية باعتبـاره القاضـي : النيابة تتفضل بالحديث..

بدا عقله الباطني في الحديث باعتباره ممثلا عن النيابة : سيدي القاضي، ، نحن الان امام جريمة اهتزّ لها عرش المنطق ، ،جريمة دحضت كل الثوابت و المعتقدات البشرية..فِعله يندر ان تتكرر في اي زمن..ربما لن يستطيع ذوو البهجة اقناعي باننا سعداء الحظ لنشهد مثلها و نعيش في طياتها لاني على يقين ان حظنا العاثر هو ما جعلنا نعيش هذا اليوم..

ذاك المتهم القابع امامكم في قفص من حديد سوّلت له نفسه ان يستخدم مبدا القتل الرحيم لكن بعد ان قام بتعديله..لم يستخدمه كما استخدمه المؤرخ سوطونيوس[1] حينما وصف موت الامبراطور اغسطس في احضان زوجته ليفيا محققا موتا سريعا دون معاناة بل استخدمه و طبقه كما اشار اليه فرنسيس بيكون[2] باستخدام بعض العقاقير الطبية لينهي الامه..

ذاك المتهم اوهم القتيل باصابة صديقه عادل بمرض عضال - يصعب الشفاء منه - و هو مرض القلوب او كما سمي فيما بعد باسم الانر و حينما اهمل القتيل دراسته بحثا عن العلاج اذ به يفاجا بان المرض قد نال من جسده ايضا..لقد غرر به هذا المجرم ليسهل له التخلص فيما بعد منه بكل سهولة لذا جئت اليوم لاضع امامكم جريمة متكاملة الاركان و اطالبكم بتوقيع اقصي عقوبة على القاتل دون ان تاخذكم به شفقة او رحمة..و شكرا..

بدا باسل في فهم ما يجري حوله فاتسعت عيناه دهشه لكنه سرعان ما تنهد و قال : الدفاع يتفضل..

قام والده وقال : سيدي القاضي، ، لكي نحل مشكلة لا بد ان ندرك وجودها اولا ، حينها سيطرح عليّ احدهم سؤالا فلسفيا ا من

(١) حقيقة

(٢) حقيقة

الممكن ان يحل احدهم مشكلة ليست موجودة من الاساس.. اجيب بنعم ان يقنعك عقلك بوجود مشكلة غيرها اهم تسعي انت لحلها و تترك الاساس و تتفاخر بما يدعي « جبروت الارادة « لتفاجئ في النهاية انه قد غرّر بك.. عندما اخبر احدهم بالا يذهب للبحر خوفا من الغرق لانه لا يجيد السباحة فلا اعني بالتاكيد ان يظل طيله حياته يراقب البحر من بعيد و انما اعني ان يتعلم في البداية السباحة ثم يخوض غمار البحار ليصارع امواجه..

ثم لوح بيده في طريقة مسرحية و قال ما بني على باطل فهو باطل..

لنعود من بداية القصة و نسال انفسنا سؤالا.. ا يوجد مرض من الاساس يدعي الانر او حتى مرض القلوب ؟

قد تبدو الاجابة للوهلة الاولي نعم لكن اذا ما نظرت في تلك الاوراق - و تحرك تجاه المنصة و ناوله بضعة اوراق مرتبة - ستجد ان الاجابة لا.. قطعا لا..

ضجّت القاعة بالجلبة.. فاستخدم باسل شاكوشه الخشبي ليعم الصمت مرة اخري المكان.. فتح

باسل الاوراق فوجد تلك الكتب التي خاض غمارها يوما..يتذكر حديث الجميع ، ،والده و العلماء و اصدقائه.. يبحث باسل و يبحث فيجد تلك الكتب لكن لا يجد العلماء يتحدثون فيها عن امراض.. يفتح رسائل اصدقائه فلا يجد شيئا.. كل ما في الامر انه يجد شكوي من ابطال الروايات و القصص و بعض العلماء و اصدقاؤه من مرض يصيب القلوب يصيبها بالاجهاد و اضطراب الخواطر عند رؤية احدهم لكنه ليس كاي من احدهم.. نعم حادثه بعضهم و حكوا له عن مشاكلهم.. لقد وقعوا في حب فتيات في صغرهم لكنهم فضلوا الصمت و الترقب فقط لان العلاقة اما كانت من طرف واحد او من طرفين لكن التجاهل كان سيد العلاقة فانصرفوا عنها..

ثم اكمل والده الحيث : سيدي القاضي، ، لا بد ان نرسي بعض القواعد التي سنستند علها في حديثنا و اولاها انه لا وجود لذلك المرض على الاطلاق، ، لقد اوهم موكلي «القلب» القتيل بان هناك مرضا ما لا لينفرد به و يتخلص منه بل ليكتشف حقيقة هذا المرض و يعالجه..موكلي تمني ان يتعلم باسل السباحة لا ان يصر على مراقبة البحر من بعيد..

هناك عدة اسئلة لا بد من الاجابة عنها اولا قبل ان نكمل موضوعنا..

اوجّه سؤالا للعقل الباطني.. ما علاقتك يا سيدي بباسل ؟

اسرع العقل الباطني يقول : ليس لي اي علاقة به.. كل ما في الامر اني مركز العواطف و الانفعالات و اخزن المعلومات.. و اخلق له عالما مبدعا من الاحلام..

قال محامي الدفاع في صرامة.. هذا غير حقيقي يا سيدي ، ،ان لك دورا اكبر من هذا بكثير ، ،لقد حاول القلب اكثر من مرة ان يبعث بصور هولوجرافية يوضح بها بعض الامور لباسل لكنها كانت تصل و تختفي سريعا و حينما سال موكلي عن السبب علم بان ممثل النيابة قد عيّن شخصا لمنع وصول الصور له او وصولها غير كاملة.. ففي البداية بعثها له كصورة لشئ يحاول ان يمد يده نحوه دون ان يتبين هيئته و بعدها في الرحلة الثانية اتضحت الصورة لتمثل شخص قد امسك بالفعل بيديه و اخيرا تتضح معالم الصورة في الرحلة الثالثة و تظهر فتاة تفلت يده و تودعه في رحلته الاخيرة.. فالمحاولة الاولي تمثل لفت نظره و المحاولة الثانية تمثل لقائهما و الوردة المهداة اما المحاولة الثالثة و هي الوداع و هو إلى الان يعجز ان يجد لها تفسيرا مقنعا..ليس هذا فقط بل قدم موكلي عدة مساعدات خفيه حتى لا يلحظها عقله الباطني لكن باسل ايضا لم يلحظ ذلك منها تلك

الشمس القوية للغاية التي لم ير لها مثيلا قبل ذلك و التي تضعف كل مرة حتى انها ودّعته في رحلته الاخيرة ، فالشمس اذن لم تكن شمسا بالمعني الحرفي بل كانت شمس حياته و كأنها جوهر وجوده ففي رحلته الاولي كانت ساطعه باكثر مما ينبغي حتى انه تعجب من شدة ضوءها و حرارتها فقد كانت تمثل بريق الشباب و كان والديه ما زالا على قيد الحياة او هكذا كان يعتقد و شمس رحلته الثانية كانت قد بدات تعود لطبيعتها فقد وصل للثلاثين بين غمضة عين و انهاها في سن الاربعين و والده قد بدا الشيب يغزو راسه و في رحلته الثالثة بالرغم من انهم كانوا منتصف النهار الا انه لاحظ ان الشمس تميل للغروب و كأنها تلوح بيدها لهذا العالم لكنها لم تكن ابدا شمس العالم بل كانت شمسه الخاصة التي بدات في الغروب بعد ان فقد كلا من والديه وصديق عمره و تقدم في العمر حتى صار خمسينيا.. اما اذا تطرقنا لانفجار النجوم فبالتاكيد انفجارها لا يعني انفجارها على ارض الواقع بل انفجارها يعني زوال الاحبة من حوله تدريجيا صديقه ثم ابيه و امه و كأن الشمس التي تضئ نهاره في وقت سعادته قد بدات في الانطفاء اما النجوم التي تكفلت باضاءة ليله في وقت حزنه فقد غادرته للابد و لن تعود مرة اخري.. ايضا لقد ذكّره غير مرة بالطريق الذي تمنّي والده ان يهتدي اليه قبل فوات الاوان.. ثم منحه لغزا بسيطا.. فاظهر له حروف كلمة الانر متفرقة باللغة الانجليزية فالخطين المائلين بزاوية اعلاهما يلتقيان في نقطة و يتباعدان في الاسفل لياتي خط ثالث ليربط ما بين منتصفيهما ما هما الا حرف A الذي راه منقوشا على قلعة بلاد كونت اما الخطان المتوازيان الذي يربط خط مائل بين قمة احدهما وقاع الاخر فذلك هو حرف ال N والذي وجده منقوشا على خناجر جنود كاليبولا ليكتمل اللغز في المستقبل بوجود خطين مائلين بزاوية اعلاهما يلتقيان في نقطة و قاعهما ينفصلان لياتي خط ثالث ليربط ما بين

منتصفيهما على المبني المركزي في بامورا و الذي يمثل حرف A و تكتمل في النهاية الكلمة بوجود حرف R على كتاب ريهالد مالفي لتكتمل كلمة ANAR اسم المرض الذي اضناه بحثا و الذي ليس له وجود في الوقت نفسه..

سيدي القاضي ربما استطاع القلب ان يقنع باسل بوجود مرض يؤلم البشرية لكنه لم يدر ابدا في تلك اللحظة انه يفرش طريقا بالورود لعقله الباطني ليجعله يخوض غمار البحر و هو لم يتعلم بعد السباحة..نعم هذا القلب - و اشار للمتهم الواقف وراء القضبان - هو المسئول عما احس باسل من مشاعر تجاه فتاة المكتبة..هو ايضا المسئول عن شغفه و تطلعه للقاءها كل يوم في طريق عودته من جامعته..هو المسئول عن خفقانه لها حينما كانا في المشفي.. اخيرا هو المسئول عن المه الشديد و اصابته بذاك المرض المزعوم حينما عزف عن جامعه فانقطع لقاؤهما لكن.. لم يكن المسئول ابدا عما حدث في اي رحلة من الرحلات الثلاث.. المسئول الحقيقي هو ذاك الشخص..و اشار بسبباته جهة العقل الباطني..

حينها نهض العقل الباطني من على كرسيه و قال : الان حان وقت كشف الاوراق..

لقد ادركت منذ اللحظة الاولي التي ترك فيها حبيبته وعاد مرة اخري لاستكمال مراحل صنع الدواء انه سيصاب بمرض القلوب لذا تركته حتى اسقطه قلبه في الفخ و بعدها بدا دوري انا فالتقطت طرف الخيط لعلمي بعشقه للعلوم وذاك الخيط الاول لاصطياده ، فاذا اردت ان توقع احدهم فعليك بما يحب فان كان شرها اعطه الوان الطعام المختلفة و ان كان جشعا اغدق عليه الاموال و هكذا.. ساعدني هذا القلب الساذج بالسيطرة عليه بالام من حوله و اشفاقه عليهم و قبلها اشفاقه على نفسه..لذا جعلته على يقين ان هذا الداء

عضوي بالمقام الاول و ليس معنوي..

ماجت القاعة مرة اخري بالضجيج و كالعادة اسكت باسل الجمهور و قال : اكمل ما تقول..

اكمل العقل الباطني في برود ساخر قائلا :

سيطرتي الحقيقة عليه بدات وهو في سن صغيره حينما اقنعته مرارا ان امه ما زالت على قيد الحياة فخصّها بطرقات مميزة عن غيرها.. و كان يخالها تدخل عليه الغرفة و يتحادثان طيلة الليل ثم بعد رحلته الاولي بحث عنها حتى همست في اذنيه انها في مطبخ المنزل..

بعدها اوهمته باصابة عادل بالمرض ليعود لصنع العلاج و لو فكر قليلا او حتى فتش مذكرات عادل بعد وفاته مرة اخري لوجد الكثير.. لوجد ان عادل لم يكن مريضا بمرض الرانم كما ذكرت مذكراته.... لقد كان عادل يعشق فتاة تدعي منار.. لقد كنت اتعمد ان اعكس الاسماء حتى لا اكشف خطتي ، ، عادل الارعن كاد ان يكشف الامر برمّته حينما امسك بلياقته و عنّفه بمجرد ان افاق و قال أ تعالج المرض بمسببه أ أخشي العوم و تلقيني في البحر أ أخشي الوحدة و تتركني بمفردي على المريخ..

قال باسل بقلق : هذا يعني... ؟

فرد عليه عقله الباطني ضاحكا : نعم.. لقد اودي به مشروب باسل إلى عالم قابل فيه محبوبته لكن اثر المياة المثلجة التي تعتبر نقطة ضعف هذا المشروب و التي القيها عليه قبل ذهابهما إلى المستشفي هي من اعادته سريعا لعالمنا و لم يجعل رحلته تطول كرحلات باسل.. لقد تمني ان تعالجه من النيران لكن باسل القاه في قاعها..

بعدها قام القتيل باعداد المشروب من مواد ثلاث لم يسمع عنها بعد و هي الاسباتير و النوبان و الريسلا.. الاسباتير و النوبان و

الريسلا.. الاسباتير و النوبان و الريسلا... و اخذ يكررها و هو يعدها على اصابعه و كانه يريد ايصال رسالة ما لباسل القاضي..

و هنا شهق باسل شهقة عنيفة و كان امرا عظيما قد وقع في يده لكن العقل الباطني اكمل

مباشرة : ثم بعد ذلك تجرّع باسل المشروب ليتجه لثلاث عوالم غريبة فالاول قد احب فيه بنت الملك مارية.. و الثاني قد احب فيه بنت الزعيم راوية و الثالث قد احب فيه الملكة الشابة..

و فجاة يقوم والده "محامي الدفاع" صارخا : هراء.. هذا الكلام كله كذب..

فتلك يا سيدي القاضي رواية " ما بين القدر والندم " التي قراها القتيل قبل خوضه للرحلة -عاش احداثها القتيل بنفسه- لا يوجد بها من تدعي مارية..و اذا كانت مارية موجودة على ارض الواقع فلم كان القتيل يكره والدها الملك ادموند ؟ كان يكرهه لاهماله لها و عدم رده على اسئلتها و ان القتيل كان دائما ما يلطّف الموقف بردوده عليها.. لقد كانت دائما كانت تقف إلى جانبه و تطلب من ابيها اعطاءه فرصة اخري و حتى ذلك الجلباب الذي جلبت له فيه الطعام سرا ، حينما بدا يرتجف من الخوف و اخذ يبحث و يبحث عنه ، لم يجده !! فاين ذهب ؟ هو ببساطة لم يكن موجودا من الاساس ليختفي..

اما في رحلته الثانية ارض الخلود فان كانت مارية وهما فراوية حلما ايضا.. فاهمال نارين لها و تكرارها اكثر من مرة بان الملك ليس له وريث شرعي و لم ينجب ابدا -يؤكد انها كانت مجرد خيال- و هذا يتناقض مع وجود راوية اما تلك المعلومات التي مدّته بها عن سر كاليبولا الاعظم فكان هذا العقل الباطني قد استنتجها مما يري امامه و بدا يخرجها على هيئة فتاة عاشقة قد وقعت في دلال

احدهـم فانطلقـت تخبره بما تعرف من معلومات ، ليس هذا فحسـب بل انه حينما اختفي باسـل من امامها لم تبد اي دهشـه كاي شخص يختفي احدهم من امامه في غمضة عين بل على العكس اشـارت له بيدها تودعه و كانها على علم بالامر من البداية و هذا يعني بالتبعية ان الملكة الشـابة في رحلة المسـتقبل كانت من صنع هذا المتصنع الباطنـي ايضا فليس من المعقول الا يدخلها سـادة الحكم معهم في الامـور التي تمس بامن الدولـة او حتى يتجاهلونها بتلك الطريقة و في الاخير لا يدخلونها معهم في موجتهم السرية و الامر الذي يبرهن انها من خيال باسـل فقـط انه حينما دخل هو و آرا القاعـة عرّفته آرا على الرجل الوقور و الشاب الثلاثيني فقط و استنتج بنفسه ان تلك السيدة هـي الملكـة فليـس مـن المنطـق ان تتجاهلهـا آرا في هـذا الموقف بالذات و حينما انباها بوجود جاسوس بينهم جعلت قادة الحكم ثلاثة فقط لا اربعة !!.. حتى الحلم الذي جاءته فيه قبل ان تاتيه نقطة الزوال بقليـل ، عقله الباطني مثلها له لتلقنه رسـالة والده التي كان قد عفا عليـه الزمـن.. كيف لم يخطر ببالـه ان ملامح فتـاة المكتبة و التي صارت طبيبة مسـاعدة هي نفسـها ملامـح بنت الملـك و بنت الزعيم و الملكة الشـابة.. جميعهن شـخص واحد لكن بملامح مختفلة وان كانت متقاربة لحد كبير..

لقـد جعلـه قلبـه يحـس بنفـس الاحسـاس تجاههن جميعـا لكن للاسـف لم يجد رابطا يربط بين الاربعة.. لقد غرر به عقله الباطني و ادخله في ثلاث رحلات ، نعم رحلات واقعية حدثت بالفعل و نالت من عمره اكثر من ثلاثين سنة.. كل ما مرّ به كان حقيقة بحتة لا تقبل الشك الا الفتاة ذات الملامح الواحدة و الوجوه الاربع..

تدخـل العقل الباطني قائلا بشـماته منقطعـة النظير : كان لزاما على ان انقله لقصص يكون ذاك الشـخص المراد احد ابطالها و قد

نجحت في ذلك بامتياز ، لنكون اكثر دقة لقد اختلقت شخصيات الفتيات في عوالم حقيقية باكملها.. لقد ربحت عدة جولات ضد هذا المتمرد المدعو بالقلب فجعلته يفشل في البداية فلم يحقق النجاح المطلوب حينما وضع امامه اسماء الثلاث المواد المستخدمة في صنع الدواء الاسباتير و النوبان و الريسلا و التي لو اجتمعت اول حروفهم معا الهمزة و النون و الراء لكونوا جميعا كلمة الانر باللغة العربية.. و لو اجتمعت اخر حروفهم معا لوضحت الامور تماما..

ثم بعد ذلك انتصرت عليه في معركة الصور الهولوجرافية لكنه رغما عن هذا لم يرضخ ابدا للواقع ، فانطلقت اجسدها في حياته كفتيات لها نفس الملامح لكن من بلاد و ازمنه مختلفه ليشعر قلبه نفس الشعور و يتسائل عقله اين راينا هذا من قبل.. حاولت ان ابعده عن هدفه الحقيقي حتى جاءت آرا و كادت ان تخبره بما كشفته اثناء الفحص عن اصابته بمرض يدعي الانر لكنه اجاب سريعا ان تلك اول مرة يسمع فيها الاسم..لكنها لم تستلم بل و اخبرته ان نشاط عقله الباطني قد اثارها بشدة فلم تعهده في احد من البشر من قبل....

لوّح باسل بذراعه و هو يقول بحنق : اذن سبب شعوري بزوال المرض من جسدي عندما عدت من المستشفي يوم عيد ميلاد العشرين و حينما كنت في زنزانة بلاد كونت و خيمة قبيلة كالبيولا و غرفتي في المستقبل كان بسبب اني اقتربت مرة اخري من تلك الفتاة ذات الوجه الواحد و الشخصيات الاربع ..

جاوبه العقال الباطني : نعم و الدليل على ذلك انك احسست بان المرض قد بدا اثره يخفت تدريجيا بعد عودتك من المستشفي بعد ان قابلت الطبيبة بالرغم من ان عادل لم يشف بعد..

هزّ باسل راسه و كانه يحاول استيعاب ذاك الكم الهائل من المعلومات ثم قال : تبقي نقطة اخيرة تتعلق بريهالد مالفي.. كيف

استطاع ان يحصل على المعلومات الموجودة في كتابه..

قال الوالد : لقد قرا باسل في المقدمة " ترجمة بعد اكثر من قرن من الزمان للكتاب الاسطوري " كاس فودكا " لمؤلفه باسل محي عماد".. تلك هي البداية الحقيقية او شرارة الانطلاق من حافة الامالن إلى منحدر المصير..هذا الكتاب الذي شارف باسل على الانتهاء منه و الذي سماه ب " كاس فودكا " اخذه ريهالد مالفي و عمد لتغيير الاسماء فيه و ترجمه بعد اكثر من مائة سنة..كتاب كاس فودكا هو نفسه كتاب " امل ام الم " لكن بعد زمن.. اتمني الان ان يكون باسل قد فهم لم انهي ريهالد مالفي النصف الاول من كتابه بعبارة " الان فقط انتهت اكثر رحلات البشر غموضا.. الان فقط قد عثر على بغيته لكن للاسف بعد فوات الاوان ".. يا ولدي لقد كان هذا الكتاب يحوي رحلاته الثلاث و كل الحقائق دون زيف..

بعدما انهي والده كلامه توجّه باسل بنظره صوب القلب و قال " الان فقط انتهي الدرس يا صديقي"..

قام باسل من على كرسيه و قال : الحقيقة يا ساده اني لا استطيع اصف لك ما اشعر به الان فإذا كان قلبك ينفطر حزنا هل ستصفه حتما لا.. حياتي قد انقسمت لثلاثة اقسام حياتي معها وقبلها وبعدها.. اما قبلها فانت تحيا بلا الم و اما بعدها فانت تحيا بالم و اما معها فيحيا معك الامل".. عندما يكون قلبك طفلا صغيرا لم يتجاوز عمره في الدنيا لحيظات معدودة و يكون عقلك الباطني معمّر قد فاق القرن من الزمان فاعلم انك ستتمزق بين متطلباتهما.. الامر فلسفي نفسي وجودي بحت..

ان تهمل مشاعرك تجاه شخص معين ، ان تتمني البقاء و ترحل ، ان ترغب في الحديث و تصمت ، ان تتمني رؤية احدهم و عندما تلمحه عيناك تنكّسهما في الارض.. ان تتجاوز عن التفاصيل

الكبيرة فتتفجر في التفاصيل الصغيرة....

اخبروني بربكم جميعا كم منّا وقّعت الامه و الام غيره اوراق الاقامة الجبرية لقراراته و تسبّب اهمال همومه في ضياع ورقة اطلاق سراحها فصارت بداخله اسيرة للابد.. كم منّا تمني ان يخبر احدهم بانه يمثل له الدنيا باكملها لكنه احجم مرتعبا من الرد.. كم منّا خاض حروبا لاجل حماية احلامه ثم اكتشف في النهاية ان احلامه هي من كانت تحاربه.. كم منّا ضحي بقلبه ليكون رجلا عقلانيا يشار اليه بالبنان..

تنتظرون مني الحكم اليس كذلك ؟.. نعم هي بالفعل جريمة هزت عرش المنطق..فالقتيل هو انا و القاتل هو عقلي الباطني.. المتهم هو قلبي و من يدافع عنه هو والدي..المستندات و الادلة هي ذكرياتي..يا لسخرية القدر !!!!

اليكم حكمي..

حكمت المحكمة حضوريا على المتهم القلب بالبراءة وتحويل اوراق العقل الباطني لفضيلة المفتي..

رفعت الجلسة.....

استيقظ من نومه و عقله يدور بكل ما راي في نومه.. لقد ظهر كل شئ على حقيقته الان..

مات ابوه و هو قلقا عليه لانه لم يجد الطريق بعد لكن ليست القضية في الهداية للطريق و انما القضية في الوقت و كما اطلق عليه احدهم قبل ذلك " فاجعة التوقيت " ..

لم يبق له اذن سوي ان يبحث عن تلك الفتاة التي اجهدته جوارحه لاجلها لذا عليه ان يبحث عنها دون كلل او ملل فاما يجدها و اما يلقي حتفه اكلينيكا.. خرج من غرفته سريعا و اتجه للمستشفي

لا يدري عما يسـال لكنه كان على يقين انه سـيجد من يدله عليها.. حينما دخل من باب المستشفي وجد لوحة شرف في الردهة الرئيسية للمستشـفي و وجد صورتها معلقة خلف لوح زجاجي ما ان تفحصها و تمعّـن فيهـا حتى وجدها نفس صورة الفتاة تمامـا التي كانت تجاوره في التمثال في بامورا لكنه ما ان قرا الاسم المكتوب اسفل الصورة و تاريخ الوفاة حتى سقط مغشيا عليه..

افاق سريعا ليجد نفسه ممددا على احد اسرّة المستشفي و بجواره طبيب يطمئن عليه و دار بينهما الحوار التالي..

- حمدللّه على سلامتك قلقنا عليك لما وقعت..

- اللّه يسلمك يا دكتور.. سيبك مني المهم انت تعرف الدكتورة...

- اه طبعا الدكتورة دي اتوفت من حوالي عشر سنين في يوم...

- و فاكر اليوم يا دكتور..

- ايـوه اصـل اليـوم ده كنـت نوبتجـي فيـه معاهـا.. مـرة واحـدة اترعشـت جامـد و وقعت علـى الاض و هي بتحتضر قالـت انها ماتت بمرض اللّساب و بعدها لفظت انفاسها.. احنا معرفناش ايه المرض ده ساعتها و محدش مننا سمع عنه خالص..

- بس انا عرفته يا دكتور.. انا عرفته يا دكتور..

و وضـع راسـه بيـن ركبتيـه و اخذت دموعـه تنهمر علـى وجنتيه كشلال لا يتوقف..

لـم يكـن الانر مرضا بـل كان عشـقا لقد عكس قلبي اسـمها فصـار مرضـا اسـعي للعـلاج و التخلـص منـه.. لا ادري مـن منّا الان المريـض انـا ام عقلـي الباطني لا اعلم من منّـا مخطئ و من المصيب لكنّي الان ادرك حقيقة واحدة انها رحلت..

رحلت للابد..

آرا كانت محقة في حديثها عندما اخبرتني اني مصاب بمرض الانر..

ابـي نفسـه كان مصابا بذاك المرض لذلـك كان يتمني ان اجد الطريـق قبل فـوات الاوان.. كان يتمني ان اصل اليه بنفسـي او اتخذ حتـى من وفاة عادل و مذكراته عبـره و عظه.. لكني ابدو كلاعب شـطرنج احضر مراه و الصقها بحائط ثم اتي بنصف منضدة و عليها نصف رقعة شـطرنج و الصق كل منهمـا بالمراه.. فاكتملت الصورة لشـخصين يجلسـان امام بعضهمـا و منضدة كاملة و رقعة شـطرنج ايضـا كاملة.. لكن لم يكونا شـخصين بالمعنـي الحرفي بل كان شـخصا يجلس على الكرسـي المقابـل للمراه و عقلـه الباطني على الكرسي الموجود في الصورة في المراة فصار كمن يلاعب خصما اخر.. لقد لاعبت عقلي الباطني اطول مباراة شطرنج في التاريخ مباراة اسـتمرت ثلاثين عاما و الغريب انهـا انتهت بثلاث حركات فقط - و هم الثلاث رحلات - فصرت كلاعب مبتدئ يواجه كاسباروف..

ذهب لزيارة مقابر ابيه و امه و قراءة الفاتحة لهما و ما ان انتهي من قراءتها حتى قال..

لقـد كنـت عشـقها لكن عشـقا قاتلا فماتـت بسـببي.. اما هي فكانت عشقي الذي سأحيا بسببه..

قلبينا تشاركا في تسمية الامراض دون ان ندري..

وداعا يا مريضة "اللساب" أو دعيني اقل وداعا يا عاشقه " الباسل"..

و وضع يده على قلبه و قال وداعا يا مريض " الانر" ام تفضل اسمك الاخر وداعا يا عاشق

" الرنا "..

❖ ❖ ❖

صوت اقدام تقترب..يزداد الصوت وضوحا ، و يزداد باسل رعبا.. الجو مظلم إلى حد ما و لا احد يمتلك الشجاعة الكافية لان ياتي للمقابر في مثل هذا الوقت.. كان القمر في تلك الليلة بدرا مكتملا و ما راع باسل الثقة التي تخطو بها القدمان و كأنهما تعرفان قصدهما جيدا.. ما ان اصبح وجه هذا المجهول تحت ضي القمر حتى بدت ملامحه في الوضوح.. هي فتاة لا يدري ا تورّد القمر من جمال وجهها فصار بدرا ام انها نازعته جماله فصارت هي بدرا.. فتاة في سن السابعة لها ملامح يحفظها عن ظهر قلب ملامح رآها مرة و مرتين و ثلاث حتى طبعت في قلبه تمسك بيدها وردة و تقول.. " كل سنة و انت طيب " فخفق قلبه في عنف.. التاريخ يتكرر يا صديقي لكن بعد ثلاثين عاما.. و كان القدر يصرّ على ان تستمر المسرحية ببطليها دون ان تفقد احدهما..

ها قد تحققت الحقيقة المرعبة لمشروبه و عاد الزمن باحدهم للوراء بدلا من التقدم به للامام.. لكن يبقي السؤال كيف ؟!

و هنا لاحت ابتسامة سخرية على وجه القدر..

**تم بحمد الله.. الجزء الاول**

**كاس فودكا**

**يتبع.. في الجزء الثاني**

**والتقينا**

# شكر خاص لهولاء..

اولا و قبل كل شئ..

صديقي الذي توفاه الله يوم ١٩ ١٠ ٢٠١٨ فقيد دفعتنا مينا سمير..

- عائلتي

- لمن شاركني العمل من البداية و ابي الا ان يكون رفيقا مخلصا في درب طويل..

- لمن احسبه عطائي من الله..

- لمن طال انتظاري له حتى أُدْرِجَ اسمه في طيات ذلك الكتاب..

- اصدقائي..

- الرجل الذي تاثر عقلي به في صغري و تاثرت كتاباتي به في كبري.. الرجل الذي خلق عوالم جديدة في عقولنا و ابي الا ان يقحمنا فيه.. الرجل الذي راي المستقبل بعين خبير فمجده التاريخ في ثناياه.. الرجل الذي تاثرت به في اجزاء عدة بل اني نلت نصيبا عظيما من الشرف باقتباسات خالدة له في روايتي.. استاذي العبقري الدكتور نبيل فاروق..

- دار دريم بن..